
المقدم
محمد حسن
عضو البعثة العسكرية العراقية
في اليمن
قلب اليمن
الجزيرة العربية
البحر العربي

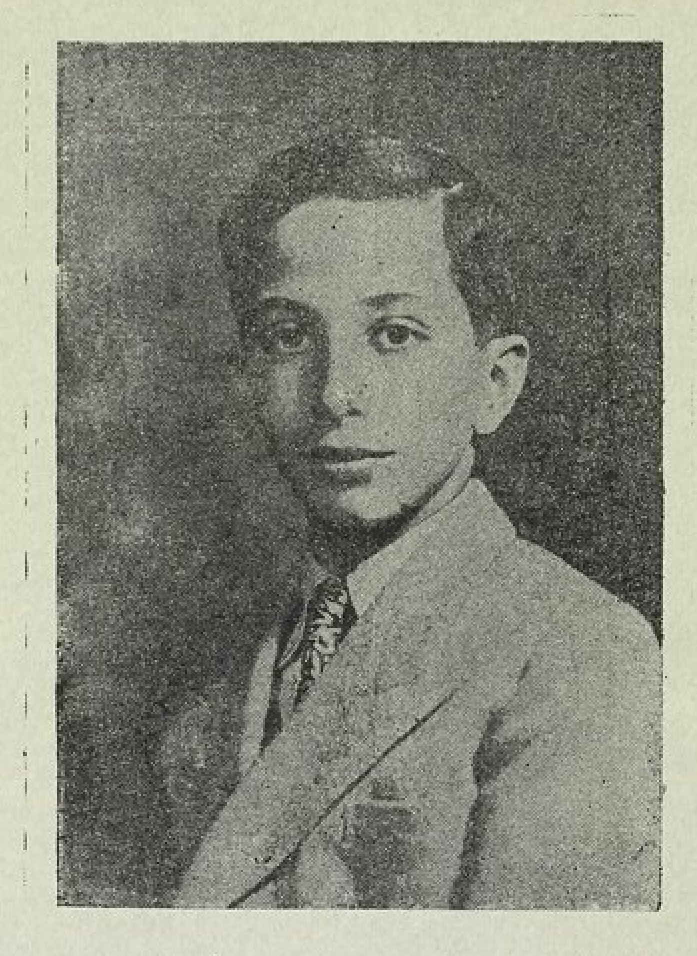
المقدم
محمد حسن
عضو البعثة العسكرية العراقية
الى اليمن



الطبعة الأولى

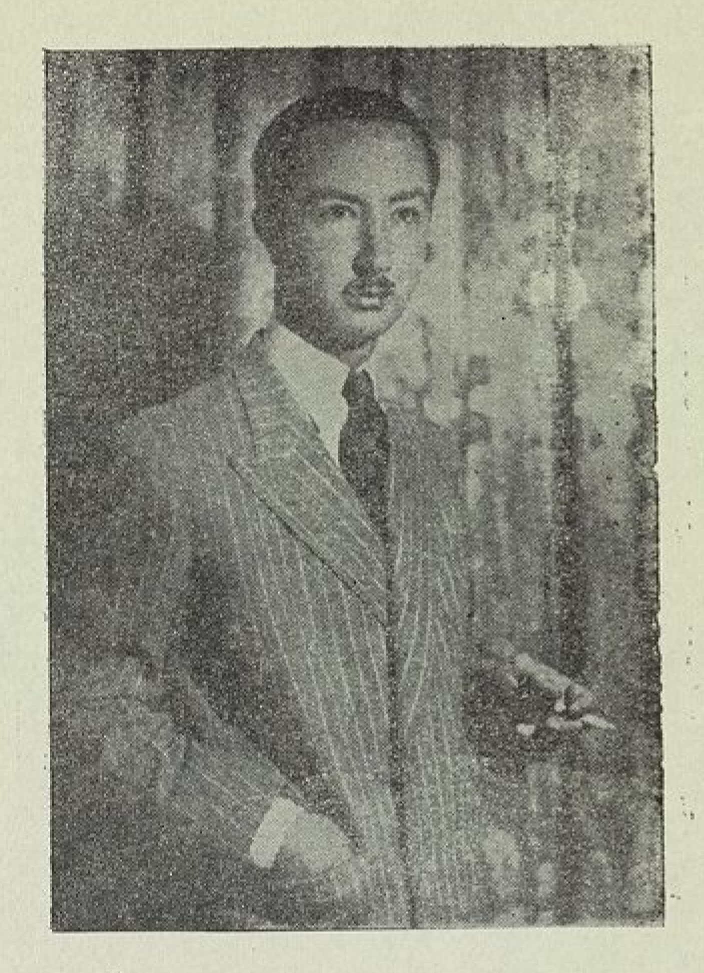
مطبعة المعارف - بغداد

١٩٤٧

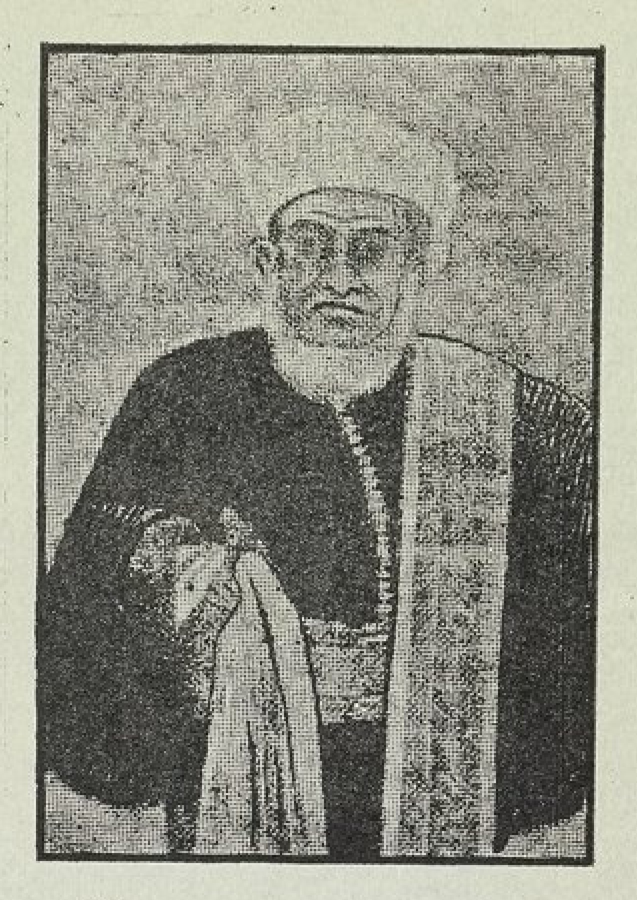


حضرة صاحب الجلالة الهاشمية

الملك فيصل الثاني ملك العراق المعظم



حضرة صاحب السمو الملكي الامير عبد الاله
الوصي وولي العهد المعظم



حضرة صاحب الجلالة الامام يحيى المعظم

الاهداء

سيدي صاحب السمو الملكي الامير الجليل

والوصي الامين وولي العهد عبد الاله المعظم

من قبس العترة الهاشمية المباركة استنار العرب، ومن فيض حكمة الهداية النبوية نهضوا نهضتهم الجبارة، وبسلائل آل هاشم الاكرمين شاعت المكارم وقامت الامم والشعوب العربية تنشد مكانة لها تحت الشمس، واذ أكون أنا أحد الجنود تحت لواء القائد الاعلى للجيش العراقي العربي الهاشمي غزوت من أفاويق لبان المعرفة الهاشمية والمكارم العربية الصميمة، فأنا أعكس قبساً من تلكم النفحات الهاشمية في كتابي هذا المتواضع، ولا غرو فان البحر يهدي ماؤه من سحابه، والطل يعود الى ديمته.

(هاشمي الهوى احب لما داري   وبمادي على هواكم وعودي)

فأنا أرجو الى السدة الملكية العالية ان تحظى باكورة مجهودي الأدبي والعلمي بالاضافة الى خدمتي التي كرستها منذ ربع قرن للعرش الهاشمي المفدى بالرضا والالتفات الملكيين الساميين وأنا ذلك الخادم الأمين لسيدي ومولاي العظيم.

المسيب في ٢٣ آب ١٩٤٧   العبد المطيع

محمد حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم :

(في تاريخ ١٥ كانون الثاني ١٩٣٩) صدر إلي أمر من وزارة الدفاع للذهاب الى اليمن مع البعثة العسكرية التي تقرر ايفادها برآسة (أمير اللواء الركن) اسماعيل صفوة . وقد خصني الأمر بأن اكون العضو المسؤول عن تدريب المشاة في الجيش اليماني ...

وقد كانت — حقاً — مفاجأة أعقبتها غبطة ، حيث شعرت بأن مهمتي ستكون في بلاد عربية وجيش شعب شقيق وعزيز ، واعتبرت اشتراكي في البعثة العسكرية العراقية الموفدة للتعاون مع الجيش اليماني الشقيق شرفاً مقدساً وثقة غالية . فصح عزمي على ان ابذل اقصى ما في وسعي كما يقتضيه الواجب المقدس ولاسيما وانني بمعية رئيس عرفته من قبل . إذ اشتهر بتمتعه باعجاب مرؤوسيه .

لم يكن فهم المهمة عسيراً عليّ وانني كضابط من واجبه ان يتبع المثل العليا للدولة العراقية وان يدرك الغاية من هذا الايفاد . فان من أيسر الامور ان أعلم وأذكر بأن جلالة المغفور له الملك المعظم فيصل الاول قد أسس دولة وجيشاً لخدمة العراق والعرب ، وأن جلالته سبق أن أعد ووضع في الواقع خطط الاتصال ببلاد اليمن السعيدة اتصالا متيناً ، فكانت بادئ ذي بدء معاهدة اعتراف ثم تطورت فأعقبتها اتصالات ودية كانت ثمراتها بعد ذلك معاهدة الحلف والإخاء العربي التي عقدت بين العراق والمملكة العربية

السعودية واليمن . كما ان موضوع توحيد التدريب العسكري لدى الجيوش العربية كان من الموضوعات التي اعتدنا نحن ضباط الجيش العراقي على التحدث فيها ورسم الخطوط الفنية لها باجتماعاتنا ومنتدياتنا . وهكذا فانني حين تلقيت أمر الايفاد شعرت بأنني لن احتاج الى التزود من معلومات تفصيلية حول المهمة .

تحدد اليوم الثالث من شهر شباط ١٩٤٠ موعداً لسفرنا فذهبنا الى المطار المدني في بغداد واشترك في توديعنا عدد كبير من المعنيين بالشؤون القومية بينهم قناصل الدول العربية . وشملونا بأوفر عطف وحملونا أحسن تمنياتهم ، فأقلتنا سيارات الى الشام ولقينا حماسة وحفاوة بالغتين من الشعب السوري الشقيق الذي كان ينظر الينا والى مهمتنا بغبطة وسرور عظيمين ، ومنها سار ركابنا الى مصر حيث قابلتنا الهيئات العربية فيها بالترحيب والتشجيع وغادرناها ـ بحراً ـ الى عدن ومنها ـ براً ـ الى صنعاء . . .

هذا والكتاب الذي يمثل بين ايدي القراء إن هو إلا مجموعة من المعلومات والخواطر دونتها اثناء اقامتي في اليمن .

دونت هذه المعلومات ولم اهدف بادئ ذي بدء ان تكون هذه المجموعة من المعلومات كتاباً ، ولكنني بعد ان عدت الى العراق وجدت لهفة وشوقاً شديدين من الأصدقاء والمعارف في التطلع الى معلومات يركن الى صحتها عن اليمن السعيدة ، ثم تشجيعاً وحثاً على ان اقوم بوضع كتاب يطفىء ظمأ القارئ العربي عن اخبار هذا القطر الشقيق الذي ندرت المصادر عن بحث شؤونه . عندئذ الفيت نفسي إزاء ذلك مضطراً الى دراسة كل ما كتب ونشر عن اليمن من معلومات جغرافية وتأريخية واقتصادية

ما استطعت الى ذلك سبيلا واضافتها الى ما جمعته بنفسي واخراج كتاب للناس قد يكون فيه بعض ضالتهم واشباع بعض رغباتهم عن مملكة عربية عزيزة وشعب عربي شقيق وآمل من وراء ذلك ان اكون قد أديت بعض الخدمة الى الدراسات العربية بالكتابة عن قطر عربي ، ربما كان العرب اكثر حاجة للتعرف على شؤونه من اقطار اخرى سواه ، واني لأتوقع من كل ما أعرضه على القارئ العربي في هذا الكتاب أداء شيء من الواجب تجاه المملكة السعيدة نفسها التي أسبغت علينا عطفها وكرمها وتجاه البلاد العربية الأخرى التي أصبحت فكرة الوحدة العربية لديها ايمانا راسخا وعقيدة نامية والله من وراء القصد .

محمد حسن

الفصل الأول

الموجز في جغرافية اليمن

حدودها . أراضيها . أقسام الجبال . أسماء الجبال . مناخها .
أهم المدن . الأنهار والأودية . قبائل اليمن .
عدد النفوس . المساحة . كثافة السكان .

حدودها :

في الجنوب الغربي لشبه جزيرة العرب تقع بلاد اليمن وهي بين خطي عرض ١٢° و١٧° و ٤٥َ . وبين ٤٣° و ٤٧° من خطوط الطول شمالي خط الاستواء . يحدها شمالا الحجاز وعسير ، وجنوباً عدن ، وشرقا الربع الخالي ، وغرباً البحر الاحمر .

أراضيها :

١ — منطقة تهامة : وهي المكملة للسهل الساحلي المبتدئ من العقبة شمالا الى نهاية امتداد اليمن جنوباً ، قليلة التضاريس غير صالحة لرسو السفن البحرية الكبرى .

وتربة هذه المنطقة رملية حصوية من الشرق ، وتأخذ بالارتفاع قليلا من الساحل نحو الشرق ومعدل انحدارها ثلاثة أمتار في كل كيلومتر ، اما عرضها فهو بين ٤٠ — ٦٠ كيلومتراً . وهذه المنطقة غير صالحة للزراعة ولكن تنمو فيها الادغال والاثل والاشواك والسدر والدوم (النخيل البري) دياً . وفي هذه المنطقة جبال لا تتصل بجبال اليمن يصل امتدادها الى الساحل وارتفاعها يزيد عن ١٥٠٠ متر .

٢ — منطقة البادية الشرقية : وهذه البادية تشبه السهل الذي ضمن منطقة تهامة بأوصافها ، إلا أن فارقا واحداً بينهما هو ان مناخ تهامة رطب وهذه شحيحة الماء جرداء اللهم إلا في بعض الاصقاع التي فيها واحات .

٣ — المنطقة الجبلية : خصت الطبيعة اليمن بأعلى الجبال الموجودة في البلاد العربية ، كما امتازت الجبال في هذه المملكة بميزات كثيرة قد لا تجتمع في أية جبال من غيرها ، منها التفريط في انحدارها وعدم انتظامها وتجمعها في جهة واحدة وتعدد تضاريسها بالاضافة الى ارتفاع قممها حيث يزيد ارتفاع بعضها على (٣٧٠٠) متراً ونجد فيما يلي أقسام جبال اليمن والوديان التي تتخللها :—

أقسام الجبال اليمانية :

١ — السفوح الغربية : غير منتظمة ، كثيرة التعاريج ، شديدة الانحدار ، تتخللها وديان تنبع من الجبال وتصب في تهامة . وهذه السفوح الغربية يتراوح ارتفاعها بين (١٥٠ — ١٢٠٠) متر ، وان تربتها صالحة للزراعة ، وتستفيد من الامطار التي تهطل عليها كما تستفيد من مياه الاسداد .

٢ — وصف المنطقة الجبلية : يرى الخبراء الفنيون ان الجبال في هذه المنطقة تدل على تموجات ارضية شديدة فيها من دور تكوينها الجيولوجي . وقد رأيت فيما سبق ان الجبال منتثرة على غير انتظام ولا ترتيب يتفق والاوضاع الطبيعية في تكوين الجبال أو سير تكوينها الجيولوجي لتظهر بذلك المظهر الطبيعي المتسق كما ترى في اكثر الجبال عدا جبال اليمن . وسنرى في غير هذا المكان اسماء الجبال اليمانية في هذه المنطقة . واذا القيت

النظر على خريطة اليمن رأيت ارتفاعات الارض عن سطح البحر في كل قسم من أقسام الأراضي اليمانية .

٣ — الهضبة : هذه الهضبة تربتها دبالية صلصالية ، وهي سهل فسيح يقع شرقي المنطقة الجبلية ، قدّرعرضها الاخصائيون بما يتراوح بين ١٠—٢٠ كيلومتراً تكتنفها الجبال شرقا وغربا ، ترويها مياه الأمطار ، ولوفرة خيراتها اصبحت مكتظة بالسكان اكثر من غيرها وغدت مظهراً بارزاً من مظاهر العمران والزراعة والبستنة اكثر من غيرها ايضاً .

وفي هذه الهضبة المدن التالية :— صنعاء ، وعمران ، وصعدة ، وإب ، وارتفاع الأولى ٢٣٥٠ متراً والثانية ٢٣٢٢ متراً .

أسماء الجبال :

وأهم الجبال في هذه الهضبة هي جبل (نقم) الواقع شرقي صنعاء وجبل (عصر) الواقع في غربها ثم جبال (شبام) و (كوكبان) و (مسور) و (ملحان) و (بعدان) و (سمارة) و (عانز) و (الريمة) و (كحلان) و (الخميس) و (برع) و (الأهنوم) و (الرازخ) و (شظب) و (شهارة) و (غبلاء) و (عراش) و (غيلان) و (الشرك) .

المناخ :

مناخ اليمن حار ـ صيفاً ـ في السهول ، بارد ـ شتاء ـ في الأماكن المرتفعة . ومعتدل في الهضبة حتى ان كانون الثاني في السهول والهضبة يعادل مناخها أيار في العراق . واليمن تخضع لمنطقة الرياح الموسمية التي تهب عليها صيفاً وشتاء .

في الفصل الاول يكون اتجاهها من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي فتؤدي الى هطول الامطار ، اما في الفصل الثاني فيكون اتجاهها من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ، ولهاتين الريحين ـ في الموسمين ـ أثر كبير على مياه البحر الاحمر التي تهيج فتعلو امواجها متلاطمة ، مهددة السفن بالزعازع والاعاصير .

ولما كانت اليمن محاطة بثلاثة بحار هي المحيط الهندي ، والبحر العربي ، والبحر الاحمر ، فان الابخرة المتصاعدة منها عندما تلاقي طبقة كثيفة من الهواء في ارتفاعات جبال اليمن تتحول الى امطار فتهطل بغزارة وشدة على الاراضي المنخفضة . فتجري سيولا ، ونهيرات ، وتملأ البرك ، والاودية .

فالامطار تنزل مرتين في اليمن بانتظام في الربيع وفي الصيف ، وتوالي هذه الامطار وغزارتها ادخل في روع الاهلين ، وهدتهم الى اقامة السدود في الوديان الضيقة لحفظها الى وقت الحاجة اليها في الزراعة ، ومعدل المطر سنوياً في اليمن ٩٠ سانتيمتراً مكعباً وفي البوادي الشرقية تشح الامطار . ومن الملاحظ ان الثلوج لا تسقط على جبال اليمن ، ذلك لجفاف الهواء ، ولكن المياه تجمد في قمم الجبال العالية ، والبرد يتساقط .

ودرجة الرطوبة في الجبال تتراوح بين ٢٠ — ٣٠ درجة شتاء وتصعد صيفاً الى ٤٠ درجة في موسم الامطار ، وفي تهامة يتراوح معدلها بين ٩٠ — ٩٥ في موسم الامطار ، ولولا هطول الامطار لكان حظ مناخ اليمن الجفاف الشديد .

فأنت ترى ان الحرارة متفاوتة الدرجة في اليمن ففي تهامة تتراوح بين ١٥ — ٣٥ درجة سانتغرادية شتاء و ٣٥ — ٤٥ درجة سانتغرادية صيفاً .

ولا يعرف في تهامة ربيع ولا شتاء انما هنالك صيف شديد وخريف معتدل .
وأنت ترى اختلاف الحرارة في المناطق الجبلية فهي تتراوح في معدلها من ٥ درجات سانتغراد تحت الصفر الى ٢٥ درجة سانتغرادية فوقه شتاء وبين ١٦ — ٢٧ درجة سانتغرادية صيفاً . وتتعاقب الفصول الاربعة في الجبال بانتظام بعكس تهامة التي لا تكاد تحس بها .

الانهار والاودية :

ليس في اليمن أنهار كبيرة أو صغيرة غزيرة المياه دائمة الجريان كما هو معروف لدينا في العراق . انما يوجد فيها نهيرات ووديان شحيحة تفيض في موسم الامطار ، واذا ما تجمعت بضعة وديان ألفت نهيراً وسيلا كبيراً ، فمن أشهر وديان اليمن : وادي (سهام) وهو لا يجري إلا في موسم الامطار فقط ووادي (مور) و (الدلاتي) و (الحورة) و (الرداعي) وتصب هذه الوديان جميعاً بعد أن تؤلف نهراً واحداً في لحج . وهناك وادي (هندوان) الذي يمر بمدينة تعز و (الوادي الكبير) و(واديالتالوق) و(وادي ريمة) و (وادي شبوة) و (وادي الخريد) و (وادي سردود) .

وكذلك في اليمن عيون ماء وآبار وبرك . اما البرك في اليمن فتؤلف على غير الشكل المعروف في بلادنا ، فهم ينشئونها في قعر الوديان أو في الهضبة وقاع البركة وجدرانها تبنى (بالاسمنت) الابيض المدعو عندهم (قضاض) لتخزن فيه الماء للاستفادة منها في مختلف الحاجات حتى الزراعة .
والبركة يسميها اليمانيون (ماجل) وجمعها (مواجل) .

أهم المدن :

١ — في الشمال :— صنعاء ، حجة ، عمران ، حوث ، صعدة ، ابو عريش ،

٢ — المدن الغربية والشمالية الغربية :— كوكبان ، شبام ، ثلا ، الطويلة ، المحويت ، مناخـه ، المنيرة ، الزهرة ، باجل ، الزيدية ، المخا ، مدينة العبيد .

٣ — المدن الجنوبية :— معبر ، ذمار ، بريم ، الجند ، إب ، تعز ، السياني ، السدة ، قعطية ، ماوية .

٤ — المدن الشرقية :— البيضاء ، الجوف وهذه متاخمة للربع الخالي .

٥ — المدن الساحلية :— الموانىء الحديدة ، مخا ، الصليف ، اللحية ، ميدي .

قبائل اليمن :

أشهر القبائل اليمانية التي معظمها من سلائل جد العرب الاكبر قحطان بن عامر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح (ع) هي :— بنو الحارث وبنو حشيش وذو حسين وحاشد . وبكيل . وذو محمد . وسنحال . وارحب . وهمدان . وخولان . وبنو جبر . وبنو ظبيان . ونهم . والاشراف . وعبيدة . والكرب . والصيعر . والمشقاص . وهمام . ودهم .

القبائل التهامة هي —: آل بجيري . آل سليمان . آل عمارة . اكلب . بالاحمر [1] . بالاسمر . بالحارث . بالعريان . بالقرن . بنو احمد . بنو محمد . بني تميم . بني خالد . بني رفاده . بني سلول . بني سعيم . بني شبيل . بني عبس . بني قيس . بني عوامر . بني مالك . بني مروان . بني نشر . حرب . ربيعة . المع . زبيد . الزرانيق . شمران . محايل .

---

(١) والقبائل المبتدئ اسمها بقولك (بال) هي مقطوعة من قولك بني آل .

عدد النفوس :

عدد نفوس اليمن (٤) ملايين نسمة كلهم عرب اقحاح ما عدا قسما من اليهود يسكنون قرب اسوار صنعاء . والدين في اليمن هو الدين الاسلامي الحنيف ، على مذهبين (الزيدي) وهو الغالب و (الشافعي) يلي الأول بالمرتبة.

مساحة اليمن :

مساحة اليمن (٢٠٠) الف كيلو متر مربع .

وانك لتجد خلال الفصول القادمة مفصل اوضـاع اليمن الجغرافية والاجتماعية والعلمية والصحية والمناخ والاجناس والحاصـلات كما رأيناها وشهدناها خلال اقامتنا باليمن ، ولقد عرضنا لك هذا الموجز لتستطيع الالمام والتذكر والعودة الى خريطة اليمن التي بين يديك وانك واجد في بحوث هذا الـكتاب ما عجز عنه السواح وعلماء الجغرافية الذين بحثوا عن جغرافية اليمن ، وذلك لبقاء اليمن منعزلة عن العالم .

وبلاد اليمن مستطيلة الشكل أقصى طولها ٢٥٠٠ كم وأقصى عرضها ٢٥٠ كم .

كثافة السكان :

اذا قسمنا مساحة الارض البالغة ٢٠٠ الف كيلومتر مربع بعدد السكان الذين يخمنون بأربعة ملايين نسمة تظهر الـكثافة لـكل كيلومتر مربع واحد (٢٠) نسمة .

الفصل الثاني

الموجز في تاريخ اليمن

اليمن القديمة . دولة سبأ . سد مأرب بلقيس . دولة حمير. انموذج من الخط
الحميري . أصحاب الاخدود . تدخل الاجانب . عام الفيل . سيف
بن ذي يزن . اليمن بعد الاسلام . اليمانيون يعتنقون الاسلام .
فتنة الأسود العنسي. ارتداد البعض بعد وفاة الرسول(ص)
حربهم بعد استتباب الأمن . اليمن في عهد العباسيين .
الدولة اليعفرية . الدولة النجاحية . دولة علي بن
مهدي . رجال ودويلات متفرقة . ملك الايوبيين
من عاصر الايوبيين من آل البيت ؟
الرسوليون والأتراك . تتمة الأئمة من
آل البيت في عهـد العثمانيين .

اليمن القديمة :

ما تزال في اليمن ومهرة وحضرموت آثار منها دارسـة ومخفية تحت الثرى ، تدل على مدنية العرب القحطانيين وقد اشتهر منهم ثلاثة وهم : (حمير) و (سبأ) و (كهلان) واشتغل النقابون في هذه البلاد فاستخرجوا أنقاضاً من المباني في المدن المدفونة وقطعاً مكتوبة بالخط الحميري (المسند) ونصوص هذه الكتابة معظمها أدعية أو تراتيل دينية ، ويتجه علماء الآثار الى نفائس المدفون في هذه البلاد ، ويترقبون الفرص السانحة للوصول الى ما استعصى واستحال على غيرهم الوصول اليها .

وانك لتقرأ في التأريخ البعيد الذي وصلت اليه هذه البلاد من المدنية والعمران بانشاء المدن والقصور والنظام الاجتماعي السائد، وبتجارتهم الواسعة المدى ، وبصرهم في استخراج المعادن ونحت التماثيل وغرس الاشجار والاوراد والازهار،واستقطار العطور والروائح ،وتنظيم الحدائق والبساتين ، وقد وصفها الرحالون بأجمل الاوصاف وفي مقدمتهم شيخهم (هيرودوتس) حيث اعترف بأنها من أغنى بلاد العالم في عصره ، وقد وجدت طائفة من الأعراب الساكنين قرب مأرب يجلبون معهم الى أسواق صنعاء آثار قديمة منها فصوص الخواتم ، وفيها نقوش ناتئة يمثل معظمها ثوراً ومحراثاً مكتوب أسفلها بالخط الحميري (المسند) ، كما وان لدى الحكومة اليمانية بعض الآثار النفيسة المتسخرجة من باطن الارض كالتماثيل الذهبية وغيرها محفوظة في بعض المخازن في صنعاء .

دولة سبأ

« لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم وأشكروا له بلدة طيبة وربّ غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل[١] خمط[٢] واثل[٣] وشيء من سدر[٤] قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور » — القرآن الكريم سورة سبأ —

---

(١) الأكل — الثمر .
(٢) الخمط — شجر الاراك أو كل شجرة ذي شوك .
(٣) الأثل — شجره يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عوداً .
(٤) السدر — شجر النبق .

بهذه الآيات الكريمه من القرآن العظيم وصف رائع لمملكة سبأ التي قامت في القرن التاسع قبل الميلاد ،فهي ولا شك كانت من أفخم الممالك التي عني بها المؤرخون عناية تامة وهي في نسبها قحطانية ترجع الى قحطان بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح .

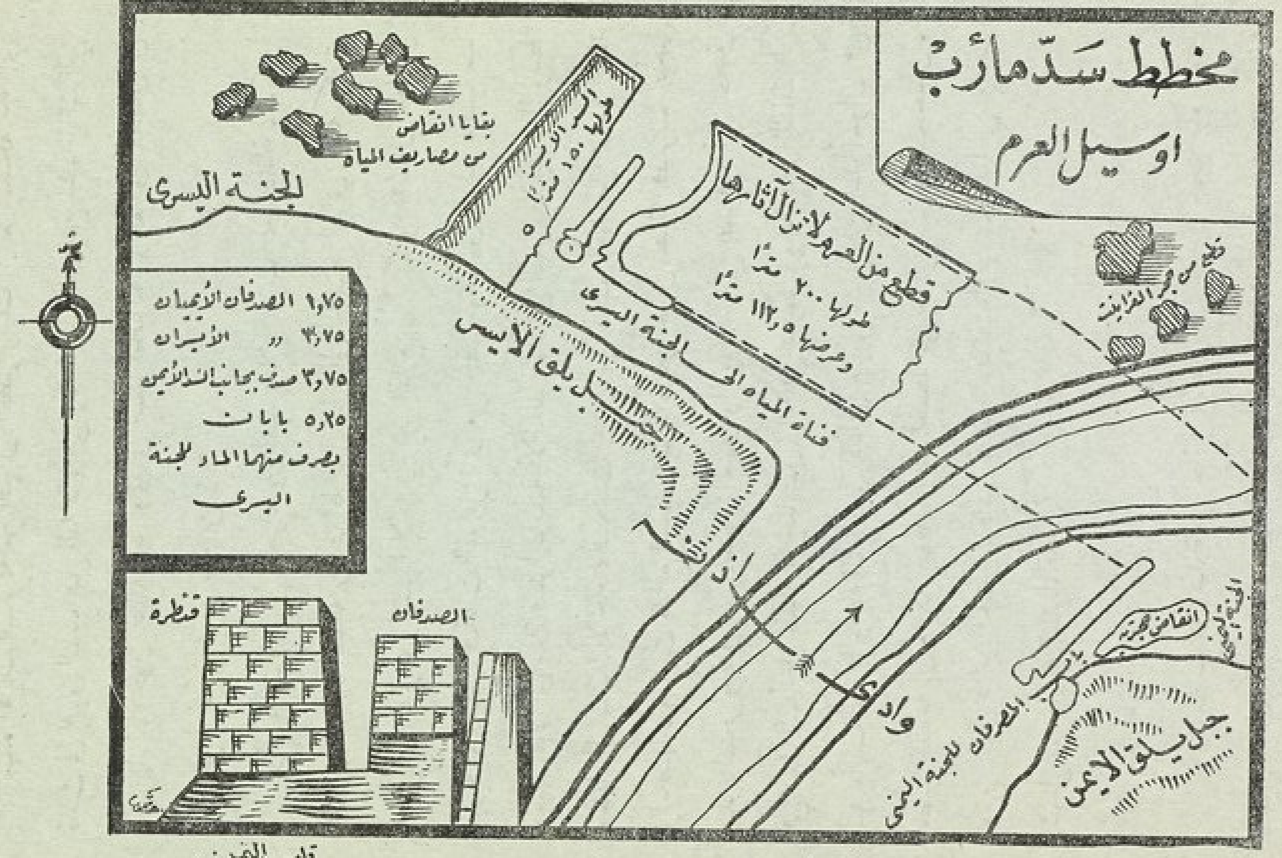
ولما كانت الطريق البحرية بين الهند وبلاد العرب غير صالحة ، فكانوا يحملون التجارة الهندية براً عن طريق عمان الى الخليج العربي ومنه كانت ترسل الى مصر ، ولعسر الملاحه في بحر القلزم [1] كانو يؤثرون الطريق البرية الى الشام ، فكانت القوافل تأتي من حضرموت الى مأرب عاصمة سبأ ومنها شمالا الى مكة فبطرا عاصمة الانباط فغزة على البحر الأبيض المتوسط ومنها الى سائر الانحاء ، فكانت أرض سبأ بذلك العهد من ارفه البلاد واخصبها ، وكانت مدافع للسيول المنحدرة بين جبلين هناك فضرب بينهما سد بالصخر والقار يحبس سيول العيون والأمطار حتى يصرفوه من خروق في ذلك السد على مقدار ما يحتاجون اليه في سقيهم ، ولقد قال الثقات ان سد مأرب على ما وصفه المؤرخون القدامى لم يكن ليقل عن سد أسوان في مصر ضخامة إن لم يكن يفوقه . ولقد انبسط على جانبي سد مأرب جنتان ، ومن حول هاتين الجنتين ، قامت قصور مدينة مأرب ، وفيما يلي وصف شامل مع خارطة للسد المتقدم الذكر : —

سد مأرب

وسد مأرب هذا عبارة عن حائط موصل بين جبلين يحجز الماء الذي يسيل بينهما فيرتفع ويروي السفحين الى اعلاهما ، جعلوا فيه شعباً واقنية

---

(١) بحر القلزم — البحر الأحمر .



المقياس ١ : ٩،٠٠٠

وساقوا اليه سبعين واديا تصب مياهها فيه . فمثل هذا السد العظيم يحتاج الى مهارة في الهندسة وهمة عالية وهو أقدم خزان للماء ذكره التاريخ . وعرب اليمن أسبق الأمم الى هذه الهندسة وكان بناؤه متيناً صبر على صدمات الماء وتأثيرات الهواء بضعة قرون . . .

ولما ضعفت الدولة عن تجديده وأحسوا بقرب تهدمه أخذوا بالمهاجرة من جواره في أوائل القرن الثاني للميلاد وتفرقوا في البلاد . والمشهور عند العرب أن الغساسنة في الشام ، والمناذرة في العراق ، والأوس في المدينة ، والأزد في منى ، وخزاعة بجوار مكة منهم ، ثم انفجر السد وطغت المياه فهاجر من بقي وذلك ما يعبرون عنه بسيل العرم .

وذكر (استرابون) الرحالة اليوناني في القرن الأول قبيل الميلاد أن مأرب كانت في زمانه مدينة عجيبة وكانت سقوف أبنيتها مصفحة بالذهب والعاج والحجارة الكريمة ، وفيها الأواني الثمينة المزخرفة مما يبهر العقول وذلك يهون علينا سماع ما ذكره العرب عن إرم ذات العماد .

وفي اعتقادنا أنهم لو بحثوا في أنقاض مأرب وصنعاء وغيرها من عواصم ملوك سبأ وحمير لعثروا على نفائس تكشف للعالم عن تاريخ جديد كما كشفت آثار وادي النيل عن آثار الفراعنة ، وكما كشفت آثار وادي الرافدين عن أخبار ملوك آشور وبابل ، ولا يتأتى ذلك إلا بارسال البعثات العلمية للحفر والتنقيب .

بلقيس :

ويروى أن هدهاد بن شرحبيل أساء السياسة وأكب على الفسق والفجور حتى جاء الى بنت عمه بلقيس في قصرها فأعدت له رجلين فقتلاه ،

ثم شاورت كبراء المملكة بعد أن أخبرتهم بما فعلت فانتخبوها لسداد رأيها وشجاعتها ملكة عليهم .

وقامت بلقيس بتدبير الملك خير قيام واتخذت لها عرشاً فخماً ذهباً وفضة مرصعاً بالجواهر وبالزبرجد والياقوت ، وفي هذا العرش قال أحد الشعراء :

عرشها رافع ثمانين باعاً   كللته بجوهر وفريد

وبدر قد قيدته وياقو   ت بالتبر أيما تقييد

وقيل إن (بلقيس) هي التي أنشأت قصر غمدان من الرخام الملون وهو من مفاخر الأبنية العربية في العصور القديمة ، وقد كان مؤلفاً من عشرين طبقة يعلوه سقف من رخامة واحدة تشف عما فوقها وعلى كل ركن من أركانه أسد كبير ضخم اذا هبت عليه الريح دخلت من منافذه فاضطربت في صدره فخرجت من فمه كزئير الأسد ، وما زالت بقايا هذا القصر تدل على عظمته الخارقة .

ولقد عاصرت الملكة العظيمة بلقيس العربية النبي سليمان بن النبي داود عليهما السلام وقد دعاها لزيارته فلم تشأ أن تستأثر برأيها في الاجابة انما استشارت رجال دولتها ومفكريها ، فجمعتهم وقرأت عليهم كتاب الدعوة الموجه اليها من قبل النبي سليمان (ع) وقالت : « أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون [1] » فتحمسوا وأعلنوا استعدادهم للقيام بكل ما تأمرهم وقالوا لها : « نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين » .

ولما كانت حكيمة بعيدة النظر بسطت لهم أمر الحرب وأنها مدعاة

---

(١) تحضرون .

دمار البلاد وقالت لهم : « إن دخول الملوك المحاربين الأجانب الى المدن ليس بالسهل على أهلها لأنهم باعتبارهم محاربين يفسدون هذه المدن ويذلون أهلها » . ثم ارتأت بلقيس أن تلجأ الى السياسة قبل الحرب فأرسلت مع وفد اليه هدية تصانعه وتصرف مطامعه عنها وأوصت رجال وفدها أن يقفوا على أحوال هذا الملك ويقدموا لها تقريراً عنه وعن مملكته لدى عودتهم . ولما عاد الرسل أخبروا الملكة بما شاهدوا فذهبت بلقيس الى سليمان فاستقبلها في القدس أحسن استقبال وأكرم وفادتها فسمعت حكمته واستبانت منه وضح الهدى وآمنت بالله على يديه وعادت الى مملكتها موفورة الكرامة عزيزة الجانب .

وهنا يرى المؤرخون أن وجود الديانة اليهودية في اليمن كان سببه اتصال بلقيس بسليمان وايمانها بالله بواسطته ، ويرون أيضاً أن سيلا من يهود بيت المقدس يقدر عددهم بثمانين الفاً تسللوا منه مخافة أن يساقوا الى الأسر عندما غزا نبوخذ نصر ملك بابل اورشليم وهدم الهيكل وأسر ملكها واليهود وارسلهم الى بابل .

نقول تسلل ذلك العدد منهم ودخلوا بلاد العرب حتى اليمن حيث لقوا فيها أرضاً خصبة وجواً ملائماً ، وما يزال اليهود يرددون تلك الذكرى — ذكرى السبي — في مراثيهم في اليوم التاسع من شهر آب وكان ذلك بين سنتي ٥٨٨ و ٥٦٦ قبل الميلاد .

وفي أواخر ملوك الدولة السبئية أخذ أمرهم في الضعف ولم يهتموا بصيانة السد ، لأن حكامهم انغمروا في الترف حتى انفجر انفجاراً عظيما في قصة لا محل لذكرها فتفرق أهل سبأ وسارت كل طائفة منهم الى جهة ومن ذلك

جاء المثل « تفرق القوم أيدي سبأ » أي تشتتوا — قال الأعشى :—

وفي ذلك للمؤتسي أسوة ومأرب عفّى عليها العرم[1]

رخام بنته لهم حمير اذا جاء موّاره لم يرم[2]

فأروى الزروع وأعنابها على سعة ماؤهم اذا قسم

فصاروا أيادي ما يقدرون منه على شرب طفل فطم

واختلف المؤرخون في تحديد تخريب سد مأرب فقد نقل بعض القصاصين حادثة انفجار السد في عهد عمرو بن عامر من ملوك دولة سبأ في أواخر القرن الثالث للميلاد بينما يقول المؤرخون ان السد لم يخرب تماماً إلا في منتصف القرن السادس للميلاد ولعل حادثة عمرو تشير الى انفجار قديم حدث في السد وبعد انفجار السد غادر البلاد أقوام سكنوا الشام فألفوا دولة الغساسنة ، وآخرون هاجروا الى المدينة وهم الأوس والخزرج ، وآخرون الى سقي الفرات وأسسوا دولة المناذرة .

دولة حمير :

ويرجع نسبها الى مؤسسها حمير بن سبأ ويلقب ملوكها بالتبابعة . انتقلت السيادة الى الحميريين بعد انقراض الدولة السبئية وهم أقرب من سبأ الى البحر . وتختلف دولة حمير من سبأ أنها أقرب منها الى الدول الفاتحة ، فلقد نبغ من ملوكها قواد فتحوا الممالك وحاربوا الفرس والاحباش وأشهر ملوكهم (التبع أسعد كامل أبو كرب) زعموا أنه غزا العجم وهزم جيوشهم وفتح

---

(١) أهلكها .

(٢) الموار — الماء الجاري بسرعة ، يرم مضارع رام بمعنى مال أو زال ويراد السد كان أولا ثابتاً أمام الموار الشديد .

البلاد الى بحر قزوين ، ثم رجع الى اليمن وهابته الملوك ويقال إنه أتى مكة وكسا الكعبة . ومن ملوكهم افريقش الذي فتح افريقيا وسميت باسمه .

نموذج من الخط الحميرى :

واليك نموذجاً من الخط الحميري (المسند) وما يقابله بالعربية :

وفي ما يلي يرى القارئ نموذجاً من الخط الحميري (المسند) وما يقابله بالعربية

العربية	المسند
ا	[illegible]
ب	[illegible]
ت	[illegible]
ث	[illegible]
ج	[illegible]
ح	[illegible]
خ	[illegible]
د	[illegible]
ذ	[illegible]
ر	[illegible]
ز	[illegible]
س	[illegible]
ش	[illegible]
ص	[illegible]
ض	[illegible]
ط	[illegible]
ظ	[illegible]
ع	[illegible]
غ	[illegible]
ف	[illegible]
ق	[illegible]
ك	[illegible]
ل	[illegible]
م	[illegible]
ن	[illegible]
و	[illegible]
ه	[illegible]
ي	[illegible]

أصحاب الأُخدود (١) :

وقبل مولد النبي محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم بسبعين عاماً كان الملك الحميري (ذرعة) الملقب (ذا نواس) له ضفيرتان كانتا تنوسان (٢) على عاتقه ، سمى نفسه يوسف وتهوّد وحمل الناس على الدخول الى اليهودية وعذب كل من خالفه ، ولهذا الملك قصة طريفة برغبته في تعليم أحد رعاياه السحر اسمه عبد الله بن السامر فأبى هذا أن يتعلم ، لكنه تنصر على أحد الرهبان وكان في طريقه الى الراهب حية عظيمة قطعت الطريق على الناس فقتلها عبدالله وجرت على يديه عجائب منها دعاؤه الى ربه ان يشفي مريضاً فشفاه وكذلك شفاء ابن عم الملك من عميه ولما سمع الملك ، بعبدالله دعاه اليه وسأله يابني هل هذا هوتأثير سحرك ؟ فأجابه : لا : أنني لا أشفي أحداً وانما هوالله تعالى يشفي من يشاء ، فسأله عن الذي علمه هذه المبادىء فأبى وما زال يعذبه حتى دله على الراهب فعذبه تعصباً ليهوديته والراهب المؤمن يرحب بالعذاب في سبيل مبدئه حتى قتل شهيد الفكرة ، وفعل هكذا بابن عمه فقضى شهيد الثبات ثم جاء دور الغلام وعذبه صنوفاً من العذاب ونجا منها بأذن الله حتى أصيب بسهم فقتل شهيد مبدئه . ورأى الناس ثبات هذا الغلام وصبره واحتماله للاذى في سبيل مبدئه فآمنوا بدينه وتنصروا فغضب ذو نواس وأغلق أبواب المدينة وأخذ أخدوداً وملأه ناراً ، ثم عرض الناس عليه رجلا رجلا فمن رجع عن مبدئه وايمانه تركه ومن لم يرجع القاه في الاخدود فاحترق واستشهد من أجل المبدأ فأخذ المؤمنون يتقدمون الى الموت بأقدام

(١) الأخدود — الحفرة المستطيلة . (٢) تنوسان — تتحركان .

ثابتة ، دلت على أن العربي اذا آمن بفكرة استعذب الموت في سبيلها .

وقد وصف الله تعالى في القرآن هؤلاء الصابرين بقوله : « وما نقموا منهم إلا أن لا يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض » .

نزول الأجانب :

ولما علم يوستنيوس الاول أحد قياصرة الرومان المشهورين بما يكابده أتباع دينه النصارى في نجران باليمن من الملك ذي نواس تأثر وتذكر ستراتيجية اليمن وخطورتها التجارية فكتب الى نجاشي الحبشة يحضه على نجدتهم فشمر النجاشي عن ساعد الجد وأرسل جيشاً جراراً من الاحباش تحت إمرة قائد اسمه « ارياط » فحارب هذا ذا نواس على ساحل بحر القلزم وتفرق رجال ذي نواس عنه وبقي وحيداً فآثر ان لا يستسلم ولا يعيش ذليلا فوقف أمام البحر وقال : « إن الغرق في البحر خير من الاسر » وعز على (علس) الملقب (ذاجدن) الهمداني العربي أن يغزو الاحباش وطنه ، فحاربهم وقومه فغلب على أمره ، ثم أقحم فرسه في البحر فقضى غرقا .
وقد عمل ارياط ما عمله ذو نواس مع اليمانيين ظلماً واستعباداً جاء باسم المنقذ ولكنه وذانواس سيان فلم تتغير الحال وإنما أبدل جور بجور .

عام الفيل :

ظلم ارياط الحبشي اليمانيين واستذل ضعفاءهم فرفعوا ظلامتهم الى رجل ذي بأس ومراس من جيش الاحباش يقال له (أبرهة الاشرم) فثار وحوله اليمانيون يعضدونه وقتل ارياط وجلس أبرهة على عرش الولاية وحاول أبرهة أن يحوّل الحج من مكة الى صنعاء فبنى فيها كنيسة فخمة يقال لها (القليس [1])

---

(١) لا تزال آثارها باقية في صنعاء .

ليحج اليها العرب بدلا من مكة ، ولـكن العرب امتنعوا عن ذلك فخرج أبرهة في جيش الى مكة لتخريب الكعبة فعز على العرب أن يغزو حبشي مكة ، ويهدم الـكعبة فهب رجل من شرفاء اليمن يدعى (ذا نفار) فأثار حميتهم لـكنه لم يستطع أن يقاتل أبرهة فأسره وسار ولما اقترب أبرهة من مكة ضل الطريق فدله الخائن العربي (ابو رغال) عليها فوصل الجيش في ضاحية مكة تدعى (المغمس) وهنا سيّر أبرهة رجلا حبشياً على رأس كتيبة من الفرسان للنهب فنهبت مئتي بعير تخص عبد المطلب بن هاشم جد النبي محمد (ص) وسيد قريش ثم بعث رجلا آخر الى مكة سفيراً وقال له : « سل شريفها ثم أبلغه اني لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت » فلما دخل مكة وجد عبدالمطلب بن هاشم فأخبره أن أبرهة انما هو آت لهدم البيت ثم ينصرف . فأجابه عبدالمطلب : « ان هذا بيت الله فان يحمه فهو بيته وحرمه ، وان يدعه فهو بيته ، وعلى كل فللبيت رب يحميه ونحن والله ما لنا به قوة » ثم طلب مبعوث أبرهة من عبدالمطلب أن ينطلق معه اليه فأردفه على بغلة وسار معه بعض بنيه حتى وصل المعسكر وقابل أبرهة فأكرم هذا وفادته ثم أمر برد إبله اليه ، وعاد عبدالمطلب الى مكة وأخبر قريشاً بما رأى وأمرهم أن يتفرقوا في الجبال وشعابها حتى لا يصيبهم أذى ، وقصد عبدالمطلب الـكعبة فأخذ حلقة الباب وقال :—

يارب لا أرجو لهم سواكا   يارب فامنع منهم حماكا

أما أبرهة فتهيأ لدخول مكة وعبأ جيشه وأعد فيله الذي لم ير مثله قوة ، وسار على رأس جيشه ولـكن الفيل برك على مقربة من مكة ، فوكزوه فأبى ان يقوم فضربوه على رأسه بالمعول فأبى فأدخلوا محاجنهم تحت مراقه ورفعوه

بكل قوتهم فأبى أن يقوم فوجهوه راجعاً الى اليمن فقام يهرول ، فحاولوا أن يوجهوه نحو مكة فأبى ، ثم وجهوه نحو الشام ففعل ووجهوه نحو المشرق ففعل فصرفوه الى البيت الحرام فبرك وأبى أن يقوم ، وبينما كانوا يحاولون استنهاضه فشا في الجند الحبشي داء الجدري والحصبة وفعل ذلك الوباء بأجسامهم مايندر وقوع مثله في بلاد العرب . فكان لحمهم يتناثر ويتساقط فذعر الجيش وصاحبه وولوا هاربين الى حيث لا رجعة بعدها أبداً .

أما أبرهة فما زال يتناثر لحمه ثم انصدع صدره فمات في صنعاء وهكذا حفظ الله بيته وحماه حتى يرسل من يحميه ، وهو سيد العرب وهاديهم محمد (ص) ، ورأى العرب جثة أبي رغال الخائن فأبقوها في مكانها ورجموها بالحجارة وفرضوا على أنفسهم أن يرجموا قبره في كل عام ، احتقاراً للخيانة وما زالوا يفعلون هذا الى يومنا .

وسمي هذا العام (٥٧٠ ب . م) الذي نجت فيه مكة من الأحباش (عام الفيل) وصار تاريخاً للعرب يدعى (عام الفيل) لأهميته العظيمة وفيه ولد محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وسلم) .

سيف بن ذي يزن الحميري :

ظل ظلم الأحباش على اليمن حتى بعد أبرهة الى أن قيض الله لها أحد أشراف اليمن المدعو سيف بن ذي يزن الحميري ، وهو من أعقاب الأذواء البهاليل ، فاستنجد سيف بقيصر الروم لطرد الأحباش فشخص اليه بعد أن قطع المسافات الطويلة وقص على قيصر ما يلاقيه قومه من الظلم والاضطهاد والذل ، فلم ينجده قيصر فقدم سيف الى الحيرة على النعمان بن المنذر ملك

العراق فشكا اليه ما عليه قومه من الذل والبلاء فأمهله النعمان حتى عرض على كسرى العجم أمره فانجده كسرى بجيش تحت إمرة قائد اسمه (وهرز) فسار به الى اليمن لقتال الأحباش فقاتلهم حتى غلبهم ، وجاء كتاب من كسرى الى قائده (وهرز) يهنئه بانتصاره ويأمره أن يعود الى بلاده . فأصبح سيف بن ذي يزن ملكا على اليمن وانفرد لسلطانه واتخذ مقر أعماله قصر غمدان بصنعاء ، ثم أتت وفود العرب من أشرافها وشعرائها وخطبائها الى صنعاء يهنئون سيفاً ، وكان من جملتهم وفد قريش وعلى رأسه عبد المطلب بن هاشم جد النبي محمد (ص) فأكرم وفادتهم جميعاً وأمر لهم بالعطايا الفاخرة ، وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ما أصاب الواحد منهم .

ولم يطب للاحباش أن يطردهم سيف بن ذي يزن من بلاده وأن يقوض سلطانهم فتآمر عليه فريق منهم وانتهزوا فرصة انفراده في مكان وقتلوه فأرسل كسرى عاملا فارسياً على اليمن فدخلت اليمن بعد مقتل سيف بن ذي يزن في سلطة العجم ، ولما جاء الاسلام دخلت اليمن في حوزته .

ومازالت بلاد اليمن هكذا حتى دخلت في حكم العثمانيين مع ما دخل من الممالك الاسلامية في حكمهم . وسترى ذلك خلال فصل من فصول هذا الكتاب . وبقيت تحت حكمهم عصوراً طوالا حتى قيض الله لليمن جلالة الامام يحي حميد الدين المعظم أن ينهض بأمته ويجمع شملهم تحت رايته ويستقل بالبلاد بعد انسحاب الأتراك العثمانيين منها حتى يومنا هذا .

اليمن بعد الاسلام

اليمانيون يعتنقون الاسلام . فتنة الأسود العنسي . ارتداد البعض بعد وفاة الرسول — حربهم . استتباب الأمن

لما انبثق الاسلام في بطحاء الحجاز وشعت أنواره في الجزيرة العربية وما جاورها دخل اليمانيون أفواجاً الى الاسلام في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فولى عليهم (ص) (باذان) الذي كان عاملا لكسرى فلم يترك والياً عليها حتى مات ، فجعل عليه الصلاة والسلام ابنه (شهرا) والياً على صنعاء وعين ولاة آخرين على بقية بلاد اليمن حيث قسمها الى عشر عمالات وكان (معاذ بن جبل) معلماً يتنقل في هذه الولايات قبل وفاة الرسول .

وقبل وفاة الرسول قام رجل من عنس إحدى قبائل قحطان اسمه (الأسود) فتنبأ وتبعه قوم من أعراب اليمن سار بهم الى نجران فاستولى عليها ودخل معه السوقة من أهل مذحج ، ثم جاء صنعاء وقاتل عاملها (شهرا) واحتلها بعد خمس وعشرين ليلة من تاريخ خروجه فجعل أمره بعد ذلك يستطير شرراً على جميع البلدان ، وقد وصل الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أهل اليمن في أمره قسمين ، قسم يتقيه وهو على إسلامه ، وقسم تابعه وارتد عن دينه فأرسل عليه السلام كتاباً على يد (وبر بن بحنس) الى من بصنعاء يأمرهم بالقيام على دينهم والنهوض الى الحرب والعمل في أمر الأسود إما غيلة وإما مصادمة وجهاً لوجه وإن يبلغوا عنه من رأوا أن عنده نجدة ودينا .

وقد صادف ذلك أن تغير الأسود على رئيس جنده (قيس بن عبديغوث

المرادي) فهو يخافه خوفا شديداً ففاتحه الأبناء في أمر اغتيال الأسود فأجابهم الى ذلك وصاروا يمهدون لذلك الأمر ، واتفقوا على ذلك مع (امرأة شهر) التي اغتصبها الأسود بعد قتل زوجها ، وبعد مصاعب كثيرة تمكن (فيروز) أحد الأبناء من قتله غيلة داخل منزله ، ولما طلع فجر تلك الليلة نادوا على القصر بشعار المسلمين وهو الأذان وبذلك خلصت صنعاء والجند من هذا الشر المستطير ، واتفق الناس أن يولوا أمرهم (معاذ بن جبل) فكان يصلي بهم وكتبوا الى رسول الله بالخبر ، فوصل الرسول المدينة صبيحة اليوم الذي توفي فيه عليه السلام ، وكان بين خروج الأسود ومقتله مايقارب أربعة أشهر.

لما بلغ أهل اليمن موت رسول الله صلى الله عليه وسلم عادوا الى ما كانوا عليه من الخلاف وقادهم الى ذلك بعض الرؤساء من المرتدين فبعث أبو بكر الى من بقي على إسلامه من رؤوس اليمن يأمرهم بالوقوف حيال المرتدين حتى تصلهم النجدات وما زالوا كذلك حتى وصلتهم الجنود يقودهم (المهاجر بن أبي أمية) فاستردت صنعاء وأسرت زعماء الفتنة (قيس بن عبد يغوث) و(عمرو بن معديكرب) ثم ذهبت الى كندة بحضرموت وكانت قد ارتدت أيضاً ، وهناك اجتمع جند المهاجر وجند عكرمة بن أبي جهل فحاربوا كندة حتى غلبوهم وأسروا الأشعث بن قيس سيد كندة وبعثوا الى أبي بكر يبشرونه بالفتح .

وكان أمير صنعاء في عهد عثمان بن عفان (رض) ثالث الخلفاء الراشدين (يعلي بن منية) حليف بني نوفل بن عبد مناف ، وبقيت اليمن في أكثر أدوار الخلفاء الراشدين بعد عثمان (رض) وحتى في عهد الخلفاء الأمويين مرتبطة بالحجاز في إدارتها وفي بعض الأدوار كانت تستقل بعامل واحد يعين لها من قبل الخليفة .

اليمن في عهد العباسيين

استقام لليمن أمرها وسارت في ظل الاسلام سيراً هادئاً مطرداً عم فيه الرخاء ، ونورد هنا أشهر الولاة الذين ولاهم الخلفاء العباسيون على اليمن :—

١ — معن بن زائدة المشهور بحلمه والمضروب فيه المثل ولاه أبو جعفر المنصور اليمن بعد أن وصله بعشرة آلاف درهم فمكث فيها مدة ، أحسن فيها السيرة في أهلها ورد بعض المنشقين عليه الى الطاعة والجماعة .

٢ — محمد بن ابراهيم الزيادى — في عهد المأمون والمعتصم (٢٠٣-٢٤٥هـ) .

٣ — محمد بن عبد الله بن زياد — من الدولة الزيادية في عهد المتوكل (٢٠٤ - ٢٤٥هـ) .

٤ — ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الزيادي — في عهد المتوكل ايضاً (٢٤٥ - ٢٨٩هـ) .

الدولة اليعفرية :

في آخر عهد المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد ، الخليفة العاشر من الخلفاء العباسيين ، قامت الدولة اليعفرية بصنعاء ، وكان جدهم عبدالرحيم بن ابراهيم الحوالي نائباً عن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي الذي كان والياً للمعتصم على نجد اليمن - صنعاء وما اليها ، ولما توفي عبدالرحيم قام في الولاية مقامه ابنه (يعفر بن عبدالرحيم) وهو رأس الدولة وباعث استقلالها ، إلا أنه كان يهاب آل زياد ويدفع لهم خراجا يحمل الى زبيد كأنه عامل لهم ونائب عنهم .

ابتدأ استقلال يعفر بن عبدالرحيم سنة ٢٤٧ﻫ واستمر ملك صنعاء في أعقابه الى سنة ٣٨٧ ﻫ وهذه أسماء ملوكهم :ـــ

(١) يعفر بن عبدالرحيم ٢٤٧ _ ٢٥٩

(٢) محمد أمين يعفر ٢٥٩ _ ٢٧٩

(٣) عبدالقادر بن أحمد بن يعفر ٢٧٩ _ ٢٧٩

(٤) ابراهيم بن محمد ١٧٩ _ ٢٨٥

(٥) أسعد بن ابراهيم ٢٨٥ _ ٢٨٨

(فترة لأئمة صنعاء والقرامطة ٢٨٨ _ ٣٠٣)

(٦) أسعد بن ابراهيم (مرة ثانية) ٣٠٣ _ ٣٣٢

(٧) محمد بن ابراهيم ٣٣٢ _ ٣٥٢

(٨) عبدالله بن قحطان ٣٥٢ _ ٣٨٧

فأنت ترى أن هنالك فترة بين ٢٨٨ _ ٣٠٣ ، حكم فيها أئمة صنعاء من الزيديين وقد تقوت الزيدية لدى تأليف الدولة الزيدية بطبرستان على عهد الخليفة المنتصر وهو الحادي عشر من خلفاء بني العباس ، وذلك بأن الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي . خرج بنواحي طبرستان واقتطع برجاله الملتفين حوله من ملك بني العباس طرفا عظيما تحميه جبال طبرستان والديلم فاستطاع الأئمة الزيديون باليمن من جمع شملهم وحكمهم البلاد في المدة المذكورة . كما أنك رأيت أن اليمن حكمها بعض عمال القرامطة ايضاً .

ويقول الحضري إن الدعوة للفاطميين في هذا الدور ـ الفترة ـ باليمن وافريقية كانت قد دبرت في آن واحد بجميع الجهات الاسلامية ،

حتى لا يبقى لبني العباس من القوة ما يستطيعون بها دره الشر عنهم (١) .

الدولة النجاحية :

وفي عهد القادر بالله أبي العباس أحمد بن اسحاق بن المقتدر الخليفة الخامس والعشرون من خلفاء بني العباس ، قامت الدولة النجاحية بزبيد على أطلال الدولة الزيادية ، وكان ابتداؤها على يد المؤيد نجاح سنة ٤١٢ هـ وهو مولى من موالي آل زياد وأصله عبد حبشي سمت به همته الى أن تولى ملك تهامة اليمن وما اليها وقد استمر ملكه فيها وفي أعقابه الى سنة ٥٥٤ هـ وهذا ثبتهم :—

(١) المؤيد نجاح ٤١٢ _ ٤٥٢

(فترة علي الداعي الصليحي ٤٥٢ _ ٤٧٣)

(٢) سعيد بن الأحول بن نجاح ٤٧٣ _ ٤٨٢

(٣) جياش بن نجاح ٤٨٢ _ ٤٩٨

(٤) فاتك بن جياش ٤٩٨ _ ٥٠٣

(٥) منصور بن فاتك ٥٠٣ _ ٥١٧

(٦) فاتك بن منصور ٥١٧ _ ٥٣١

(٧) فاتك بن محمد بن فاتك ٥٣١ _ ٥٥٤

دولة علي بن مهدي :

حكم البلاد بعد فاتك بن محمد بن فاتك (علي بن مهدي بن محمد بن علي بن داود بن محمد بن عبدالله بن عبد الجماهير بن عبدالله الأغلب بن الغوارس بن ميمون

---

(١) الخضري ج ٣ ص ٣٥٨ تاريخ الأمم الاسلامية .

الحميري الرعين) كان ناسكا متديناً يسكن قرية قرب زبيد ، انتزع السلطان من يد فاتك بن محمد بن فاتك سنة ٥٥٤ .

وقام بالأمر بعد (علي بن مهدي) ابنه (مهدي بن علي) وافتتح كافة البلاد اليمانية وتوفي سنة ٥٥٩ .

ثم قام أخوه (عبد النبي بن مهدي) بالأمر وكان مشهوراً بالشجاعة والعلم والأدب والظرف ، واجتمع في خزائن عبدالنبي ذخائر كثيرة . وكانت نهاية دولته على يد السلطان توران شاه الذي قدم الى زبيد وملكها وأسر عبدالنبي ثم قتله سنة ٥٦٩ هـ .

رجال ودويلات متفرقة

ومن الرجال الذين كانت لهم الكلمة المسموعة والرأي النافذ خلال التواريخ التي ذكرناها ومن الدويلات المتفرقة التي قامت ما يأتي :—

١ — جعفر بن أحمد بن ابراهيم الحميري المناري المناخي .

٢ — بنو الضحاك الحاشدي سكان (ريده) وهم ملوك همدان وعظماؤها أشهرهم : أحمد محمد الضحاك ، والضحاك ، وقيس بن الضحاك .

٣ — بنو المنتاب أهل جبل مسور وجدهم عبدالحميد بن محمد بن الحجاج صاحب تقاس من حزب الباطنية ، وابنه ابراهيم ، والحسين المنتاب .

٤ — آل الكربدي ملوك مخلاف المعافر وهم اولاد الأبيض بن جمال الدين ولاّه رسول الله صلى الله عليه وسلم جبل الملح ثم أقاله ، وكان لهم عليه سلطنة قوية فأزالها عنه بنو الصليحي وكذلك عن (حصن الشعر) وكان يملكه ، وكان يملك (حده) أبو عبدالله الحسين النبعي وسالمه بنو الصليحي .

٥ — آل معن ، وهم ملوك عدن وحضرموت ولحج وتوابعها ، بدأ ملكهم سنة ٤١٢ ھ حتى انقرض على أيدي بني الصليحي سنة ٤٦٠ ھ .

٦ — والباطنية بدأت دولتهم سنة ٢٧٧ھ بقيام علي بن الفضل الخنفري السبئي وفيمون بن القداح ومنصور بن حسن بن جيوشب بن باذان، قيل إن هذا الأخير من ولد عقيل بن أبي طالب ، فدانت لهم اليمن وما جاورها حيناً من الدهر بعد الاستيلاء على صنعاء سنة ٢٩٩ ، وقد سود التأريخ صفحة الباطنية في اليمن لما ارتكبوه من المنكرات .

قتل علي بن الفضل على يد الشريف الواصل من العراق ومات منصور بن حسن في مسور وأوصى بدعوته الباطنية الى ابنه حسن بن منصور والى شخص يدعى (عبدالشاوري) لكن حسناً وثب عليه وقتله ورحل عن مذهب أبيه الى مذهب السنة ، وقد وثب المسلمون على أعقاب الباطنية فأفنوا منهم خلقاً كثيراً .

٧ — واقتسم (بن العرجي) و (ابراهيم بن عبدالحميد) بلاد منصور ، ورجع ابراهيم عن دين القرامطة أيضاً الى السنة ولم يزل يطارد القرامطة ويقتلهم في أطراف البلاد ، ولم يبق منهم إلا أقلية قليلة ثم انتقلت الدعوة الباطنية بالتسلسل الى :—

(أ) ابن الطفيل (ب) نخيم (ج) يوسف بن الأسد (د) سليمان بن عبدالله الزواجي (ه) الحسين بن عامر (و) سليمان عبدالله الزواجي (ز) علي محمد الصليحي .

٨ — آل الصليحي ينسبون الى الاصلوح من بلاد حران ، ثم من حمير فلما تقلد الدعوة علي بن محمد بن الصليحي أظهر أمره في (جبل مسور) سنة ٤٢٩ ه ، وتبعه خلق كثير من سنحان وهمدان وحمير وغيرها ، وبعد عدة معارك انتصر فيها علي بن محمد الصليحي ودخل صنعاء فملكها بالقوة ، وقتل علي بن محمد الصليحي سنة ٤٥٩ ، قتله سعيد الاحول وأخوه جياش ، فقام بأمر الملك بعد ابنه (المكرم أحمد بن علي محمد الصليحي) ، وانتقم لأبيه من قاتله سعيد في زبيد واستعمل عليها خاله أسعد بن شهاب ، وعاد المكرم الى صنعاء فأصيب بالفالج ، فأدارت الملك زوجته (السيدة بنت شهاب أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحية) ونقلت العاصمة من صنعاء الى

(ذي جبلة) لاقتتالهم مع أشراف آل القاسم بن علي العياني . وتوفي المكرم أحمد بن علي الصليحي سنة ٤٨٤ هـ وقلد الدعوة زوجته (السيدة بنت أحمد بن محمد الصليحية) والداعي أبو حمير سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي ، فتوفي سنة ٤٩٢ هـ واستولت السيدة على بقية المملكة وتوفيت هذه السيدة سنة ٥٣٢ هـ فانقرضت دولة آل الصليحي .

٩ — بنو الذئب أو بنو زريع — هم أولاد المكرم واليامى ، ومنهم أبو السعود وأخوه زريع ولد العباس بن المكرم الهمداني ، فملك زريع (الدملوة) و (سبأ) بن زريع ، ومحمد بن أبي الغارات ، و (محمد بن سبأ بن زريع بن العباس بن المكرم) ، وتوفي هذا الاخيرسنة ٥٥٠ هـ . وقام بعده ابنه (عمر بن محمد سبأ) وتوفي سنة ٥٦٠ وآخر الأمر استولى الملك (توران شاه بن أيوب) على دولة بني زريع في اليمن سنة ٥٦٩ هـ .

١٠ — بنو همدان — منهم (حاتم المغنم الهمداني المغلس) استولى على صنعاء بعد زوال ملك آل الصليحي سنة ٥٩٢ وشايعه همدان . وتوفي سنة ٦٥٢ وخلفه أخوه (معن بن حاتم) لكن خلعه (أحمد بن عمر بن الفضل) قاضي همدان ، ومنهم (حاتم بن أحمد بن عمر بن الفضل اليامي) اقتحم صنعاء بسبعمائة فارس وملك البلاد وتوفي سنة ٥٥٦ هـ .

ومنهم بنو الدعام من همدان ، ومنهم الحجوريون . وهم بنو أبي الحفاظ بن شرحبيل الهمداني الحاشدي الحجوري الحارثي ، والحسن بن أبي الحناط الداخل تحت إمرة ذي الشريفين ، وأولاده سليمان والخطاب وأحمد ، وغلبهم الخطاب وقتلهم .

أئمة ودعاة من آل البيت : — ١ — ولقد عاصر أولئك الملوك أئمة

ودعاة ومحبون من آل البيت لا مندوحة لنا من ايراد ذكر أشهرهم : وأول من ولي إمامة اليمن هو عبدالله بن عباس أوفده اليها علياً (ع) لكن أخرجه منها بسر بن أرطاة عامل معاوية بن أبي سفيان .

وفي عهد العباسيين كان في اليمن الأمير ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في عهد المأمون .

٢ — ثم الامام الهادي لدين الله أمير المؤمنين يحيي بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن السيد حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، ويعد منقذ اليمن من الضلال ومزلزل أركان الباطل ، واشتهر بقتال القرامطة في سبعين واقعة له معهم وتوفي سنة ٢٩٩ هـ .

٣ — الامام أبو القاسم المرتضى محمد بن الامام الهادي لدين الله يحيي بن الحسين ، كان ذا دين وتقوى .

٤ — الامام الناصر لدين الله أحمد بن الامام الهادي لدين الله يحيي بن الحسين ، له تصانيف دقيقة وأقوال مشروحة ، فتح (عدن) في ثلاثين الفاً من العساكر وقاتل الباطنية ودحرهم ، كما حارب القرامطة ودوخهم ، وعاصر الامام الناصر علي بن الفضل ، ومنصور بن حسن وأسعد بن يعفر الحوالي وهم في أيام اسحق بن ابراهيم الزيادي أبي الجيش صاحب زبيد ، وعلى عهده أنجد العباسيون زبيداً خوفا منه ، توفي سنة ٣٢٥ هـ .

٥ — الأئمة يحيي والقاسم والحسن أولاد الامام الناصر .

٦ — الامامان الاروع الزكي يوسف بن يحيي ، والمنصور بالله القاسم بن علي العياني وعاصرها أبو الجيش اسحق بن ابراهيم الزيادي ، وابنه الحسين بن سلام مولاه ، كما أن الامامين عاصرا بني الضحاك وبني الدعام المنتاب

وبني الحناط ودعاة القرامطة ، وأسعد ابن أبي الفتوح .

٧ — الامام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي ، قتل في سنة ٤٠٤ هـ .

٨ — محسن أخو الشرف جعفر بن القاسم بن علي .

٩ — أبو هاشم الحسن بن عبدالرحمن بن يحيي بن عبدالله بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم .

١٠ — قام بأمر الاحتساب الشريف القاسم بن جعفر بن القاسم بن علي العياني .

١١ — أبو الفتح الديلمي الامام الناصر لدين الله بن الحسين بن محمد بن عيسى .

١٢ — الامام حمزة بن أبي هاشم الحسين بن عبدالرحمن .

ملك الايوبيين

سبق لك أن قرأت في اختتام بحث دولة علي بن مهدي ، أن السلطان توران شاه أخا صلاح الدين الايوبي قدم الى زبيد وملكها وأسر عبد النبي وقتله سنة ٥٦٩ هـ وساد مملكة ابن مهدي . ونزيد الآن أن السلطان توران شاه الايوبي استحوذ على مملكة (بني زريع) بعدن ، ودانت له اليمن كلها وما حولها من المقاطعات ، ولما استتب له الامر عاد الى مصر .

فوجه صلاح الدين الايوبي الى اليمن أخاه الملك العزيز سيف الاسلام[1] (طغتكين) فبلغها سنة ٥٧٧ ولما رأى أن الامور لا تسير سيرها المعتاد حزم أمره وشدد في حكمه فملك اليمن كلها تقريباً طوعاً وكرهاً ، وتوفي الملك العزيز سنة ٥٩١ هـ وفي وفاته رواية يذكرها المؤرخون لا محل لذكرها .

وخلف الملك العزيز سيف الاسلام في اليمن ابنه (اسماعيل) فسار في حكمه على سنة أبيه ووافاه الاجل المحتوم سنة ٥٩٨ هـ .

ونصب الملك الناصر الايوبي طغتكين ملكا وحيث إنه كان صغيراً فقد سير دفة الامور (سنقر) و (ردسال) وهما من عبيد أبيه ، وقد جدا في العمل على مد نفوذ الدولة الايوبية حتى استطاعا الاستيلاء على صنعاء . ودخل الملك الناصر صنعاء لكن لم يطل حكمه إذ قتله وزيره بدرالدين غازي بن جبريل سنة ٦١١ . أما (سنقر وردسال) فقد ماتا سنة ٦٢٩ هـ .

أما الوزير بدرالدين فقد قتل بعد أن أخذ على عاتقه ادارة اليمن ولما يتم الشهر على مصرع بدرالدين ، وما إن بلغ الامر للسلطان الملك العادل أيوب

---

(١) اول من استعمل لقب سيف الاسلام هو صلاح الدين الايوبي فانه منحه الى اخيه سيف الاسلام (طغتكين) عند توليته اليمن وبقي هذا اللقب لاولاد الائمة حتى يومنا هذا .

بن أبي بكر أيوب وهو بمصر إلا وثار ثائره فألف حملة عسكرية سيرها الى اليمن تحت إمرة ابن أبيه السلطان المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أيوب فوصل زبيد مع جيشه سنة ٦١٢ فاستولى على كافة البلاد اليمانية وأكثر ما جاورها وقبض على الامير بدرالدين حسن بن علي بن رسول وأخويه موسى وفخرالدين وسجنهم بتعز وأرسلهم الى مصر مخفورين خوفا على اليمن منهم ، وولى على اليمن أخاهم (عمر) وتوفي الملك المسعود في مكة سنة ٦٢٥ هـ وبوفاته كان آخر عهد للايوبيين في اليمن .

من عاصر الايوبيين من آل البيت ؟

لقد عاصر الايوبيين في اليمن من الملوك من آل البيت الكرام :—

١ — المنتصر بالله العفيف محمد بن الفضل فقد عاصر توران شاه وطغتكين على الارجح وقبض سنة ٥٩٩ .

٢ — الامام المنصور بالله عبدالله بن حمزة وهو من مفاخر اليمن عاصر طغتكين وأجلى اسماعيل ابنه من صنعاء ودخلها عنوة بعد دحر (سنقر وردسال) وطهر كافة البلاد اليمانية ودخل تحت طاعته السلطان علي بن حاتم اليامي وأولاده .

٣ — عزالدين محمد بن المنصور توفي سنة ٦٢٣ هـ .

٤ — أحمد بن المنصور بالله شمس الدين ولقب بالمتوكل .

٥ — المنصور بالله الحسن بن الدين توفي سنة ٦٦٢ هـ .

٦ — الامام المهدي لدين الله ابراهيم بن تاج الدين .

٧ — الامام السراجي الحافظ يحيى بن محمد بن أحمد عبدالله بن حسن توفي سنة ٦٩٦ هـ .

٨ — المتوكل على الله المطهر بن يحيى بن المرتضى بن القاسم .

الرسوليون والاتراك

بنو رسول من موالي بني أيوب ملكت اليمن مدة طويلة ، وقد أورد ابن خلدون عن أوليتهم فقال : كان بنو أيوب قد ملكوا اليمن ، واختلف عليها الولاة منهم ، الى أن ملكها من بني المظفر (شاهنشاه بن ايوب حافدة سليمان) وانقض أيام (العادل) سنة ٦١٢ هـ فأمر العادل ابنه (الكامل) خليفته على مصر أن يبعث ابنه يوسف المسعود الى اليمن وهو أخو الصالح ويلقب بالتركية (أطس) أو (قسنس) فملكها يوسف المسعود من يد سليمان وبعث به معتقلا الى مصر وهلك في جهاد الافرنج بدمياط سنة ٦٤٧ هـ ، وهلك العادل سنة ٦١٥ هـ وولي بعده ابنه الكامل وجدد العهد للمسعود واستخلف على اليمن ثم مرض المسعود سنة ٦٢٦ فرحل الى مكة (علي بن رسول التركماني) استاذ داره ثم مات المسعود ولقبه (الاشرف) .

وبعد مدة خلعه علي واستبد بملك اليمن وأخذ بدعوة الكامل صاحب مصر وبعث أخويه رهناً على الطاعة ثم هلك سنة ٥٢٩ وولى ابنه (المنصور عمر بن علي بن رسول) ثم توفي الكامل سنة ٦٣٥ هـ وشغل بنو أيوب بالفتنة بينهم فاستفحل سلطان (عمر) هذا باليمن وتلقب المنصور ، ومنع الاتاوة التي كان يبعث بها الى مصر . فأطلق العادل بن الكامل صاحب مصر عن اللذين كان أبوه قد رهنهما على الطاعة ليأتيا الى اليمن وينازعاه إياها فغلبهما عمر وحبسهما .

ولما توفي عمر ملك مكانه ابنه (المظفر شمس الدين يوسف) وكان عادلا محسناً وفرض الاتاوة عليه لملوك مصر من الترك لما استقلوا بالملك ، وما زال

يصانعهم بها ويعطيهم إياها حتى أمن جهتهم . وكان – لأول ملكه – قد امتنع عليه حصن الدملوة فشغل بحصاره ولم يزل واليًا على اليمن الى أن توفي بغتة سنة ٦٩٤ ﻫ فملك بعده ابنه (الأشرف ممهد الدين عمر) وكان أخوه (داود) واليًا على الشحر فدعا لنفسه ونازعه الأمر فبعث الأشرف عساكره وقاتلوه وهزموه وقبضوا عليه فحبسه ، واستمر الأشرف في ملكه الى أن سمته جاريته فمات سنة ٦٩٦ ﻫ فأخرج الناس أخاه (داود) من معتقله وولوه عليهم ولقبوه (مؤيد الدين) فقتل الجارية التي سمت أخاه ، وما زال يواصل ملوك الترك بهداياه وصلاته وتحفه وانتهت هديته سنة ٧١١ الى مائتين وتر بعير من الثياب والتحف وطرف اليمن و ٢٠٠ من الجمال والخيل ثم بعث سنة ٧١٥ بمثل ذلك ثم فسد ما بينه وبين ملوك الترك وبعث بهديته سنة ٧١٨ فردوها ، ثم هلك سنة ٧٢١ ﻫ ، وكان فاضلا شافعي المذهب وجمع الكتب من سائر الأمصار فاشتملت خزانته على مائة الف مجلد ، وكان يتفقد العلماء بصلاته ، وقام بالملك بعده أخوه المجاهد (سيف الدين علي) وهو ابن ١٢ سنة فاشتغل بلذاته وأساء السيرة في أهل المناصب الدينية بالعزل والاستبدال بغير حق فنكره أهل الدولة والأشراف وانتقض عليه (جلال الدين عمر) ابن عمه وزحف اليه وكانت بينهما حروب ووقائع كان النصر فيها للمجاهد علي فقبض على (جلال الدين عمر) وحبسه وعاد الى لهوه ولذاته ، وضجر منه أهل الدولة وداخلهم جلال الدين في خلعه فوافقوه ، ثم أطلق جلال الدين وهجم على المجاهد وهو في بعض البساتين وفتك بحرمه وقبض عليه واعتقله وبايع (للمنصور أيوب بن يوسف) فاجتمع شيعة المجاهد وهجموا على المنصور وحبسوه وأعادوا المجاهدوا الى الملك ورجع أهل اليمن الى طاعته وكان

(أسد الدين عبدالله بن المنصور أيوب) بحصن الدملوة فعصى على المجاهد ودارت بينهما المحاورات وعظمت الفتنة واقترف عليها العرب و كثر عيثهم في البلاد ، فبعث المنصور من بحبسه الى ابنه يقول له : ان يسلم الحصن فأبى ولما يئس المجاهد من عبدالله قتل أباه (المنصور) في محبسه واجتمع أهل الدملوة وبايعوا (لأسد الدين عبدالله) ولقبوه بالظاهر فبعث عسكراً مع (الشهاب الصقوي) الى زبيد فحاصروها وفتحوها وجهز (المجاهد) عسكره اليها مع قائده (علي بن الداود) فلما قاربوها أصابهم سيل وبينهم أهل زبيد فنالوا منهم وأسروا أمراءهم واتهم المجاهد قائده المذكور بمداخلة عدوه فكتب اليه أن يسير الى عدن لتحصيل المال ، وكتب الى والي عدن أن يقبض عليه فوصل الكتاب الى القائد فحاصر عدن وفتحها ، وخطب بها بـ (أسد الدين الظاهر بن المنصور) سنة ٧٢٣ هـ . ثم استمال صاحب صنعاء فقاموا بدعوة الظاهر وبعث (المجاهد) الى الاكراد ومذحج يستنجدهم فلم ينجدوه ، وكتب (الظاهر) الى أشراف مكة وقاضيها ، نجم الدين الطبري بأن الأمر قد استقر له باليمن وقد حاصر المجاهد بقلعة (المعدية) فبعث المجاهد يستنصر سلطان مصر (الملك الناصر محمد بن قلاوون) فبعث العساكر سنة ٧٢٥ هـ مع (بيبرس) الحاجب و (اينال) التركي فخرج الظاهر الى تعز للقائها فاستأمن اليه أهل تعز فأمنهم وراسل في الصلح فأجاب على أن تكون له (الدملوة) وتحالفا على ذلك .

وطلب الأتراك (الشهاب الصقري) الذي كان سبب الفتنة فامتنع عن المجيء فركب (بيبرس) وهجم عليه في خيمته وقتله ثم أثخنوا في العصاة على المجاهد في كل ناحية حتى أطاعوا ، وتمهد له الملك ورجعت العساكر الى مصر

سنة ٧٢٦ هـ فلما استقام الأمر المجاهد أخذ في تأنيس الظاهر وهو بالدملوة حتى نزل له عن الدملوة ثم احتال وقبض عليه وحبسه بقلعة تعز ثم قتله سنة ٧٣٤ هـ ولما حج المجاهد سنة ٧٥١ هـ حصلت فتنة بين أصحابه وعساكر مصر فأخذ واعتقل بمصر ثم أطلق سنة ٧٥٢ هـ في دولة الملك الصالح وأعيد الى ملكه وصار يهادي صاحب مصر ويصانعه الى أن توفي سنة ٧٣٦ هـ فولى بعده ابنه (الأفضل عباس) وتوفي سنة ٧٧٢ هـ فولى بعده ابنه (المنصور بن الفضل) ثم مات وتولي أخوه (الأشرف اسماعيل) وفي أيامه انتهى خبرهم في تأريخ ابن خلدون سنة ٧٩٦ هـ .

وذكر البستاني في دائرة معارفه التي ننقل منها أخبار هذه الدولة ، أن الغرماني ذكر دول اليمن الى أن وصل الى دولة بني أيوب التي قام بها توران شاه فوقف هناك ولم يذكر شيئاً مما ذكره ابن خلدون غير أنه استطرد الى ذكر دولة سماها آل الرسول وأبناء فاطمة الزهراء وهي بعيدة العهد كما سنرى، ولم نقف على أخبار ملوكها في المدة الطويلة بين الدولتين فذكر أن هذه الدولة ملكت اليمن في القرن العاشر من الهجرة وكان أولهم (الامام المهدي لدين الله الشريف احمد بن يحيي بن رسول) ثم ولده النجيب والسيد الجليل المدعو (الخليفة) والامام أمير المؤمنين (شرف الدين يحيي بن شمس الدين المهدي لدين الله) وكان جد شرف الدين من عظماء الزيدية وكان شرف الدين هذا يدعي الاجتهاد ويقول (تقليد الحي خير من تقليد الميت) وكانت عامة بلاد اليمن في يده الى أن ذهب من بلاد الروم أويس باشا في شهر شعبان سنة ٧٥٣ هـ وانتزع بعض مدن من يده بعد مقاتلات عديدة ثم استولى على مدينة تعز واستصفى أموالها وبذلك تزلزل أمر الشريف وعصي كل عامل له

في ناحية ثم وقعت الوحشة بينه وبين ولده الكبير الشريف (مطهر) واستبد بالأمر وتوفي الامام في جمادى الآخر سنة ٧٦٤ ﻫ وفي أيام الشريف (مطهر) عظم أمر الاتراك بالديار اليمنية وفي هذه السنة سار (أزدمر باشا) الى صنعاء اليمن وبها الشريف صلاح الدين بن الامام من قبل (مطهر) فغلب عليه واستولى على صنعاء وأباحها ثلاثة أيام قتلا ونهباً ثم اقتتل هو والشريف (مطهر) في قاع صنعاء قتالا شديداً انتصر فيه (ازدمر باشا) واستولى على خزانة الشريف ثم امتدت الحروب والفتن الى سنة ٧٦٨ ﻫ .

وفيها وصل من الاتراك مصطفى الباشا المشهور بـ (المنشاري) ومعه كتاب من السلطان سليمان فيه تهديد ولوم ونهي عن الفتن لمطهر المذكور فأجابه المطهر معتذراً بأنه لم يتعد ولم يفتح باباً للفتن بل دافع عن نفسه وعن قومه مدافعة ، ثم تولى على اليمن بعض باشوات الى أن سنحت فرصة اغتنمها (مطهر) واستولى على صنعاء ونواحيها وقاتل الاتراك قتالا شديداً حتى أفناهم ثم تغلب على عامة بلاد اليمن إلا مدينة (زبيد) فحاصرها الشريف أربعين يوماً وحينئذ وصل عثمان باشا [١] من قبل السلطان وأصلح شأن زبيد وسار عنها وحاصر تعز وبها نائب الشريف فانتصر عليه وانتزع البلد من يده ثم تقدم (محمد بن شمس الدين الشريف) بجيش كبير فحاصر عثمان باشا المذكور بتعز فانضم الى عثمان باشا سنان باشا سنة ٩٧٦ ﻫ فقاتلوا القائد المذكور من الضحى الى الليل حتى أجلوه عنها وبالتدريج استولوا على اليمن . ثم توفي الشريف وتولى مكانه خليفته وولده يحيي بن علي بن مطهر ثم صارت الولاية لصهره علي بن سويع .

---

(١) تصحيح للخطأ المطبعي لصفحة ٥٩٨ من المجلد ٨ من دائرة المعارف للبستاني حيث ذكر لفظ (باشا) فقط دون ذكر الاسم .

وفي عهد السلطان مراد سنة ٩٨٢ تولى اليمن مصطفى باشا بعد أن عزل بهرام باشا السفاك ، لكن لم يدم الأمر للباشا الأول طويلا حتى توفي فخلفه على ولاية اليمن مراد باشا ٩٨٣ ثم تولى بعده حسن باشا ٩٨٩ — ١٠١٦ في عهد السلاطين الثلاثة مراد ، ومحمد بن مراد ، وأحمد محمد مراد ، ثم تولى جعفر باشا حتى عزل ١٠٢٥ وعين فريد باشا بدله ، وفي سنة ١٠٢٧ توفي السلطان احمد بن محمد وتولى السلطنة أخوه مصطفى ، وفي سنة ١٠٢٨ خلع السلطان مصطفى بن محمد وخلفه ابن أخيه عثمان بن احمد بن محمد وتولى ولاية اليمن فضلي باشا ثم حيدر باشا . ولما انشغلت الدولة العثمانية بتنظيم الاصقاع الدانية والقاصية من المملكة التي كانت تضطرب من حين الى حين ولاسيما لدى خلع السلاطين وتولية آخرين بدلهم أو بدل المتوفين كانت المدن الكبرى في اليمن التي عليها ظل الحكم العثماني وسائرها تدار من قبل الأئمة بالدولة القاسمية ، الذين أوردنا أسماءهم في ثبت خاص بهم .

ولما ضعف القاسميون تغلبت القبائل ، وما زالت هذه القبائل تتسابق لاحراز السيادة تتناحر وتقتتل فيما بينها فكان من نتيجة ذلك أن ملك الأشراف تهامة ، وعم الفساد البلاد ، وكثرت الفوضى فجهز السلطان عبدالعزيز بن عبدالحميد محمد رديف باشا بجيش دوخ به اليمن وقضى على الفوضى والفوضويين وقتل محمد عائض بن مرعي العسيري سنة ١٢٨٨ الذي شق عصا الطاعة على السلطان إلا أن السلطان عزل محمد رديف باشا سنة ١٢٨٩ وعين بدله على الجيش احمد مختار باشا فاستولى على بلاد محمد عائض وأخضع اليمن ودانت لطاعته .

وفي عهده تقوضت نهائيًا دولة الباطنية ، ثم عزل أحمد مختار باشا وعين

بدله احمد ايوب باشا وكان بينه وبين الامام الاول المتوكل على الله وقائع مشهورة وعزل أحمد أيوب باشا وتولى اليمن مصطفى عاصم باشا وكان فظاً غليظاً أساء الى اليمن ولاسيما الى العلماء الزيدية وبالرغم من عتو مصطفى باشا وقوة بأسه فان الامام الأواه المتوكل على الله وقف أمامه مناوئاً كالطود الراسخ .

وبعد خلع السلطانين عبدالعزيز ثم مراد ، تولى الامبراطورية العثمانية عبدالحميد بن عبدالمجيد فعزل مصطفى باشـا سنة ١٢٩٠ وعين بدله اسماعيل حافظ باشا وبقي هذا على اليمن حتى سنة ١٢٩٨ حيث عزل بمحمد عزت باشا وكانت مدته أربع سنين أي حتى سنة ١٣٠٢ .

ثم تولى اليمن أحمد فيضي باشا وكانت مدته سنتين وبدّل بعزيز باشا وكانت مدته قصـيرة فبدّل بعثمان باشا وقد أساء الى أهل اليمن والجيش ولاسيما رؤسائهم وأصيب بالفالج ، وبدّل باسماعيل حافظ باشا الوالي السابق وبقي في اليمن حتى مات في صنعاء سنة ١٣٠٩ .

وتولى اليمن بعد اسماعيل حافظ باشا حسن أديب باشا وعقبه أحمد فيضي باشا فتعاونا على اخماد ثورة كبرى نشبت في اليمن ، وبدل حسن أديب باشا بأحمد فيضي باشا الوالي السابق لليمن فبقي على ولاية اليمن من سنة ١٣٠٩ — ١٣١٠ ثم عزل فتعين حسين حلمي باشا على ادارة اليمن وعبدالله باشا على الجيش .

وعزل حسين حلمي باشا سنة ١٣١٨ فأسف الناس عليه ولاسيما أهل العلم منهم كما يقول الواسعي ، وعين مكانه عبدالله باشا الذي كان يتولى الجيش في اليمن ، وقد وصفه الواسعي بالظلم ، وقد ولع باللهو والغناء والموسيقى بالرغم

من تقدمه بالسن وكثرت على عهده الرشوة واستشرى الفساد ، وعم القحط ، وخلت قرى كثيرة من ساكنيها .

مد عبدالله باشا أسلاك البرق بين صنعاء وتعز ، وقامت فتنة الزرانيق فحاربهم عبدالله باشا في معركة دامية حتى اخضعهم . وبالرغم مما بذله السلطان عبدالحميد لاستتباب الأمن في اليمن ، والوئام بين العثمانيين والامام المنصور فان مساعيه ذهبت سدى ، وفي سنة ١٣٢٢ (١٩٠٤) عزل عبدالله باشا لانه فسح المجال للانكليز بالتقدم الى الضالع من عدن . وعين السلطان توفيق باشا واليًا على اليمن بدل عبدالله باشا ، ولـكن العلماء في السنة نفسها (١٣٢٢) اتفقوا بالاجماع على إقامة الامام يحيى في مكانه ولقب بالامام المتوكل على الله وهو ابن الامام المنصور بالله ، وحاصر الاتراك في صنعاء ، وضيق عليهم الخناق في غمرة تلك المجاعة . حتى أكرههم على تسليمها له فدخل صنعاء سنة ١٣٢٣ ، وترك الترك يقيمون في مناخه . ثم غادر الامام صنعاء لما بلغه أن الترك سيستعدون للـكرة عليها وأنهم قد اعتصموا بجبل مقابل للمدينة خوفا على أهله وخشية من الخراب . وأرسلت حكومة السلطان وفداً الى الامام يحيى سنة ١٣٢٤ لاصلاح ذات البين بينها وبينه فاشترط الامام على الحـكومة العثمانية خمسة عشر شرطاً فلم تحققها ، فاندلع لهيب الثورة في كثير من المدن اليمانية ضد العثمانيين الذين عاثوا في البلاد فساداً .

وبدل فيضي باشا بحسن تحسين باشا فهدأت اليمن بعض الشيء على عهده ولما خلع السلطان عبدالحميد ١٣٢٧ (١٩٠٨م) استبشر اليمانيون بعهد جديد ، ولـكن شد ما كانت دهشته عظيمة عندما عزل تحسين باشا وعين بدله (كامل) متصرف تعز فظلم وأمعن في الظلم ، فاندلعت الثورة من جديد

على العثمانيين وهجم اليمانيون على المراكز العثمانية العسكرية في شعوب وبريم وغيرها فالتجأت الحكومة العثمانية الى تعيين عزت باشا لاصلاح الحال فكان المشار اليه يرى القتال دائراً بين العثمانيين واليمانيين وهو في طريقه لتسلم منصبه الجديد في صنعاء حتى قال كلمته المشهورة (لو كان للدولة العثمانية الف رجل من هؤلاء الرجال لأخذنا أوربا بأسرها) . ثم وقع الصلح بين عزت باشا والامام . ولم يمض مدة طويلة حتى ثارت بعض القبائل منها الحداء ، وخولان وبنو الحارث وهمدان وامتدت الفتنة الى أهالي صنعاء المنتمين الى تلك القبائل . وحاصرت ايطاليا سواحل اليمن في نفس السنة (١٣٣٠) ورمت الحديدة بالقنابل بقصد شل الجيش العثماني المرابط في اليمن لكيلا يتعاون مع الجيش العثماني القائم بالقتال في طرابلس ولكيلا يهدد المستعمرات الايطالية في افريقية الشرقية (حرب طرابلس ١٩١٢م) انتهت حرب طرابلس كما هو معروف ، وفي تلك السنة أوحت ايطاليا الى السيد محمد الادريس أن يستولي على تهامة غير أن محمد بن الهادي عامل صعدة طردهم وزحف الترك سنة ١٣٣٣ (١٩١٤ — ١٩١٥) مستهدفين الاستيلاء على عدن فوقع قتال شديد بين قوات سعيد باشا والقوات البريطانية في لحج وفي سنة ١٩١٧ غادر الترك المملكة اليمانية بأمر من السلطان محمد رشاد وفي صفر سنة ١٣٣٧ (١٩١٨ م) دخل الامام يحيي صنعاء دخول الفاتح المنقذ فتم له الملك وطهر البلاد من الفساد بعد جهاد طويل عنيف ، وكان بذلك آخر عهد للاتراك في هذه البلاد .

ثمة الأئمة من آل البيت في عهد العثمانيين :

١ ـ الامام الحسن بن داود ، حيث صالح أولاد المطهر ثم أرسلهم الى القسطنطينية وحارب الامام القاسم .

٢ ـ الامام المؤيد بالله (١٠٤٥هـ — ١٠٥٤) [1] .

٣ ـ الامام المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم بن محمد بن علي (١٠٥٤ — ١٠٨٧هـ) .

٤ ـ الامام المهدي لدين الله أحمد بن الحسن بن القاسم (١٠٨٧ — ١٠٩٢هـ) .

٥ ـ الامام المؤيد بالله محمد بن اسماعيل بن القاسم (١٠٩٢ — ١٠٩٧هـ) .

٦ ـ الامام محمد بن أحمد بن الحسن (١٠٩٧ — ١١٣٩هـ) .

٧ ـ الامام المنصور بالله الحسين بن القاسم بن المؤيد (١١٣٩ — ١١٦١هـ) .

٨ ـ الامام عباس بن الحسين (١١٦١ — ١١٨٩هـ) .

٩ ـ الامام المنصور بالله علي بن العباس بن الحسين (١١٨٩ — ١٢٢٤هـ) .

١٠ ـ الامام المتوكل على الله أحمد بن علي بن عباس (١٢٢٤ — ١٢٣١هـ) .

١١ ـ الامام المهدي عبدالله بن أحمد بن علي العباس بن الحسين بن القاسم بن الحسين (١٢٣١ — ١٢٥١هـ) .

١٢ ـ الامام الناصر لدين الله عبدالله بن الحسين بن المهدي بن العباس بن الحسين (١٢٥١ — ١٢٥٦هـ) .

١٣ ـ الامام محمد بن المتوكل الملقب بالهادي (١٢٥٦ — ١٢٥٧هـ) .

١٤ ـ علي بن المهدي (١٢٥٧ — ١٢٦٦هـ) .

---

(١) مدة قيامه بالامامة .

١٥ـ الامام المنصور بالله أحمد بن هاشم الولسي (١٢٦٦ — ١٢٦٨هـ) .

١٦ـ الامام المنصور بالله محمد بن عبدالله بن الوزير .

١٧ـ الامام الأواه المتوكل على الله المحسن بن أحمد من ولد المطهر توفي سنة (١٢٩٥ هـ) .

١٨ـ الامام الهادي لدين الله شرف الدين محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن (١٢٩٥ — ١٣٠٧هـ) .

١٩ـ الامام المنصور بالله محمد بن يحيي (١٣٠٧ — ١٣٢٢هـ) .

٢٠ـ جلالة الامام يحيي حميدالدين بن الامام المنصور يوم الجمعة ٢٠ ربيع الأول ١٣٢٢ وترى ترجمة حياة جلالته في فصل مقبل خاص .

الفصل الثالث

السفر الى اليمن

الدبلوماسية العراقية ومنى النفس . لابد من صنعاء . ساعة الرحيل .
في الشام ولبنان . الى مصر . بورت سعيد . القاهرة . الحياة
في نار كندا . باب المندب . في عدن . لحج والراهدة . تعز .
الى حيس . زبيد وبيت الفقيه . الحديدة . عبال .
معبر وباجل وعبال ايضاً . الى صنعاء .

الدبلوماسية العراقية ومنى النفس :

وهكذا شاءت الدبلوماسية العراقية العليا التي تمثل العراق وقومية العراق الصحيحة وأهداف العراق النبيلة التي ترى في الشعوب العربية أواشج يجب أن تنتظم ويجب أن تقوى ويجب أن تشتد . فحملنا هـذه المنية السامية في نفوسنا واحطناها بهالة من النور وتضاعفت آمالنا واشتدت عزائمنا وزاد شوقنا الى أداء هذه الخدمة القومية وتحقيق تلك الرغبة السامية التي أودعها بأبنائه حارس التاج الأمين وسيد البلاد الأعلى ، فمنينا النفس ساعة الرحيل بأماني ما ملك ألبابنا وعادت بنا الذاكرة الى استعراض جغرافية بلاد اليمن السعيدة ، وتاريخ اليمن منذ أوغل عصور التأريخ ، وتاريخ العرب والاسلام ، وفضل اليمن على العروبة والاسلام ، في هجرة القحطانيين الى سقي الفرات والى الشام والى الحجاز ، وفضل عرب اليمن القحطانيين في خلوص العروبة واللغة والأدب والشعر والزراعة والصـناعة والتجارة والثروة والفتوح والسياحات فأية ذكريات هذه ؟ انها ذكريات لذيذة وأمنيات عذاب .

لابد من صنعاء :

تلك الروح التي نفثتها في روعنا الدبلوماسية العراقية السامية ، وبهذه الأماني القومية المقدسة وهاته الذكريات اللذيذة ، اندفعت واخواني الى السفر وإن طال كما استطاله شاعرنا العربي القديم بقوله : —

لابد من صنعا وإن طال السفر وإن تحنى كل عود ودبر [١]

وما أعظم الفرق في السفر بين عهد وعهد ، بين عهد الابل والدواب ، وعهد السيارة والطيارة والباخرة ، ولكن وجه الشبه ـ ضمناً ومعنى ـ واحد هو استطالة المنتظر الوقت والمسافة والمكان وقد قالوا : (ما أطول الزمان على المنتظر) ، فقد خلنا أن كل دقيقة تمر هي أيام ، ثم ما أبعد الفرق بين منية شاعرنا الذي كانت له في صنعاء أوطار وأوطار ، شأنه في نوعها ولونها شأن شعراء الجاهلية وبين أمانينا المقدسة في صنعاء اليمن ويمن صنعاء إن صح هذا التعبير . وهو ذا فخامة السيد طه الهاشمي وزير الدفاع يشنف أسماعنا في محاضرة ـ في ديوانه ـ عن بلاد اليمن وهو الخبير بشؤونها ونحن في اليوم الثالث من شهر مارت ١٩٤٠ .

ساعة الرحيل :

فما أتى يوم الاثنين ، اليوم الرابع من مارت ١٩٤٠ إلا ونحن قد حزمنا ما خف من المتاع وتزودنا بجوازات السفر وإذا بنا في المطار وفي وداعنا مدير الخارجية العام وممثل لوزارة الدفاع ووزير فرنسا المفوض في بغداد

---

(١) تحنى — من حنى ظهره أي احدودب . والعود بالفتح المسن من الابل . ودبر من دبر . أي عقر ظهره .

وطلاب البعثة اليمانية والطلبة العرب الذين تحتضنهم المدارس والكليات العراقية . فسررنا لهذا الوداع وكل منا يشعر بخطورة العبء الذي تحمله البعثة العراقية الى اليمن ، وأخذنا أماكننا في السيارات بعد التوديع الحار . ثم سرنا — على بركة الله — متجهين نحو الشام . .

في الشام ولبنان والديار الفلسطينية الشقيقة :

ها هي ذي سهول الشام ونهيرات سوريا تطل علينا من قريب ومن بعيد ، بأطيب الأماني ، وها هي بلاد أبناء العمومة تعيد لنا ذكريات العروبة الحافلة بالمجد والسؤدد . صفين والغوطة . وما أقوى ذكريات صفين والغوطة وميسلون ، ذكرى التأريخ ، وذكرى الأخوة ، وذكرى النهضات ، وذكرى البطولة ، وذكرى ثغور الشام وثغور العراق . كم أزالت هذه عنا لوعات الفراق ، وهي تبدو غضة الاهاب ، سافرة النقاب ، مباركة الغدوات ، فواحة النسمات ، مخضلة الدوحات .

ها قد بلغنا الغوطة في صبيحة اليوم الخامس من مارت والسيارة تقف بنا عندها وهي تبعد عشرين كيلومتراً من الشام واذا بقنصل العراق العام في سوريا الشقيقة وسكرتيره يستقبلاننا ، وإذا بطائفة من الادباء الصحفيين وضابط فرنسي ممثلا لحاكم دمشق العسكري في استقبالنا أيضاً ، فتمتد الايدي الى الايدي ، للمصافحة وتدور عبارات السلامة والتهنئة بها على الافواه ، وقد علتها البشاشة واللطف والابتسامة . ثم اتجهنا شطر الشام ، وحللنا في أوتيل أمية وتناولنا طعام الغداء على مائدة الضباط الفرنسيين في دمشق . وفي المسء أقامت القنصلية العراقية الملكية حفلة عشاء فخمة على شرف البعثة العراقية العسكرية ، كان لنا شرف التعرف بالمدعوين الذين دعتهم ، وهم يمثلون

ساسة سوريا وعلية القوم في الشام . وزرنا الجنرال كيلر يوم الاربعاء المصادف ٦ مارت فاستقبلنا في مقره العام وأكرم وفادتنا ، وفي الساعة ١٧٠٠ مساء من اليوم نفسه أقام سعادة قنصل حكومة صاحب الجلالة العراقية العام في دمشق حفلة كوكتيل فخمة في دار المفوضية العراقية دعا اليها نحو خمسين ضابطاً فرنسياً على رأسهم الجنرال كيلر وكبار ساسة سوريا وأدبائها وشعرائها وأرباب الصحف فيها . ودامت الحفلة حتى الساعة ٢٤٠٠ . ثم غادرنا الشام يوم الخميس السابع من مارت متجهين نحو بيروت ، ثغر القطرين الشقيقين سوريا ولبنان وحاضرة الجبل الأشم فوصلناها بعد ساعتين فتناولنا طعام الغداء على مائدة سعادة السيد تحسين قدري قنصل العراق العام في بيروت ثم استأنفنا السفر في الساعة ١٥٠٠ بالسيارات الى ميناء حيفا وهنا عند بلوغنا نقطة الحدود اللبنانية — الفلسطينية استقبلنا ضابط بريطاني برتبة عقيد ركن وقائمقام حيفا وقدم الاول تحياته وتمنياته لنا باسم القائد العسكري العام في فلسطين . والثاني قدم تحياته وتمنياته لنا باسم المندوب السامي لحكومة صاحب الجلالة البريطانية في الديار المقدسة . فقابلنا تحياتهما وعواطفهما بالمثل شاكرين . ثم أقلتنا السيارات مستأنفين السفر الى حيفا فوصلناها الساعة السابعة بعد الظهر من هذا اليوم نفسه وحللنا في أوتيل سافوي الذي يعد من أفخم أوتيلات المدينة .

الى مصر :

ويوم الخميس الثامن من مارت ركبنا القطار الفخم الذي يسافر الى مصر في الساعة ٠٦٥٠ فأطللنا منه على البحر الابيض المتوسط الواقع على

يمينا ، وعلى ساحله سهل ضيق خصيب معشوشب تتلاعب بأفواف وشي الربيع نفحات اليم الرقراقة التي تمر على أجسامنا فتترك فيها أثراً هادئاً لذيذاً ، وعلى يسارنا أحراش البرتقال الجميلة وقد بدت ريا ضاحكة ، باسمة منتظمة الدوح ، بعيدة العمق ، ممتدة الطول على امتداد سكة القطار الذي يحملنا الى القنطرة ، وقد أوحى الينا مرورنا بهذا الجزء العزيز من الوطن العربي خواطر أثارت في نفوسنا حماساً واستماتة للدفاع عنه تجـاه الشعوبيين الصهيونيين الطامعين ببلادنا كما فتحت أمام أعيننا مغالق الخطر الجاثم في قلب هذا البلد العربي .

وما إن دخلنا الاراضي المصرية حتى بدت كثبان الرمال وارتفعت درجة الحرارة نسبياً .

لقد بلغنا القنطرة الساعة ١٨٠٠ وهنا استقبلنا الضباط المفوضون من ادارة الـكمارك المصرية . فتحولنا الى حكومة المملكة المصرية الشقيقة بعد أن شكرنا لموظفي الـكمارك حسن احتفائهم بنا ، ووفادتهم . فسار بنا القطار حتى بلغنا بورت سعيد فنزلنا في فندق آكري بالاس وبتنا ليلتنا فيه .

بورت سعيد :

وهنا لابد أن أقف قليلا على بورت سعيد هذه المدينة التي وإن كانت على قنال السويس فهي قلبه النابض وهي حاميته وحصنه ومفتاحه وعروسه وعروسة البحر المتوسط الجنوبي بعد الاسكندرية ، شيدت هذه المدينة الجميلة بعد فتح قنال السويس وإزاءها .

ثم ترى تمثال فرديناند ديليسبس مهندس القنـال الجبار ماداً ذراعيه العبلتين على القنال ، وقد امتازت بورت سعيد عن سائر مدن القطر المصري

بشوارعها الفسيحة ، ونظافتها الفريدة ، وجمالها الفتان ، وهدوئها الساحر ، ونضارة مساكنها . انها لمدينة مصرية تربة وتأريخاً ووضعاً .

ومدينة بورت سعيد لا تخفى أهميتها التجارية في طريق الملاحة بين قارات العالم طراً وكونها على طريق الهند في الملاحة الامبراطورية البريطانية مما أكسبها شهرة تجارية وميناء للتموين بالوقود بالاضافة الى جمالها .

القاهرة :

واليوم العاشر من مارت وصلنا أو توغلنا في القطر المصري الشقيق العظيم بلد الفراعنة والبطولة ، بلد بن العاص والمعز لدين الله الفاطمي . اننا سنبلغ هذا اليوم القاهرة فيالها من فرحة ، ويا لها من أمنية . ولئن كنا على طريق اليمن وصنعاء فلا بد من صنعاء .

أجل أننا سنبلغ القاهرة حاضرة محمد علي الكبير ومدينة الفاروق العظيم العظمى ، بلد العلم والفلسفة والحكمة منذ أقدم العصور ، بلد النجدة والشهامة والمروءة ، عاصمة الأدب العربي وكعبة العلوم اللسانية وآداب اللغة العربية في القرن العشرين فيا لها من فرحة ميمونة . وتحرك بنا قطار الديزل الساعة ٧٠٠ وطوى الارض طياً سريعاً أوصلنا محطة القاهرة الساعة ١٠٣٠ وهنا نرى سعادة نائب القنصل العراقي قد خرج لاستقبال البعثة العراقية العسكرية فرحب بنا ، وسلم علينا فقابلنا ترحيبه باللطف ورددنا تحيته بأحسن منها . ثم أخذنا الى دار المفوضية العراقية في عاصمة المملكة المصرية ، وبعد استراحة هناك نزلنا في أوتيل ناسيونال . وأقامت مفوضيتنا الموقرة حفلة غداء فخمة لنا في نادي محمد علي الذي يعد بحق من أفخم النوادي في الشرق العربي ،

وفي نفس هذا النهار قصدنا سراي عابدين العامرة فسجلنا أسماءنا في سجل التشريفات الملكية ، وزرنا بعض معاهد القاهرة العلمية وأماكنها الأثرية والعامة كالأهرام والمتاحف وحديقة الحيوانات .

وفي يوم الاثنين المصادف الحادي عشر من شهر مارت زرنا حي هيليو بوليس وهي مدينة عين الشمس التأريخية الشهيرة وحديقة الأندلس الجميلة وتناولنا غذاءنا في بار شرقي فخم . ثم طفنا بعض أحياء القاهرة الجميلة وقد لاحظت في غضون زيارتي العجلى لهذه المدينة العظيمة أن القاهرة تجمع بين مادية الغرب وحضارة الشرق الروحية ، وتمتاز عن سائر عواصم البلاد العربية بعماراتها الفخمة التي قد تصل الى ثلاث عشرة طبقة . وفيلاتها الجميلة الأخاذة بمجامع القلوب ولاسيما ما كان في الأحياء والضواحي المحيطة بها .

وفي يوم الثلاثاء المصادف الثاني عشر من مارت ركبنا القطار الى بورت سعيد فودعنا سعادة القنصل العراقي وجمع من العراقيين ، والناظر الى هذا الطريق من القطار يخيل اليه أنه يسير بين بغداد والحلة حيث يرى المزارع والحقول الخضر اليانعة ، ويرى بلدة الاسماعيلية الجميلة وغيرها من القرى والارياف اللطيفة . بلغنا بورت سعيد يوم الاربعاء ١٣ مارت ١٩٤٠ .

وفي يوم الخميس المصادف الرابع عشر من مارت نقلنا متاعنا الى الباخرة نار كوندا التابعة لشركة (P. & O) في الساعة ٨٠٠ ولما دخلناها لم نجد فيها درجة ثالثة وانما كانت درجاتها كلها ممتازة . أولى وثانية فقط . وكانت الباخرة تعج بالفتيات الانكليزيات الهاربات من انكلترا اللائذات ببلاد الشرق . أخذنا أماكننا في الباخرة ، ويا لله من هذه الباخرة ، انها فندق

عائم على سطح اليم وهاته النسوة بملابس الرياضة تمارس شتى الألعاب وتستحم في حوض الباخرة البديع ويرقصن وينشدن .

وجدت ان الباخرة جزء من الجنة التي وعد الله بها المتقين . سارت الباخرة باسم الله مجريها ومرسيها في قناة السويس وجهتها عدن . وهنا خفق القلب شوقاً الى صنعاء . ودعنا بورت سعيد التي أحببتها كثيراً ولا أنسى تلك الانطباعات الجميلة مدى الحياة . وكم كنت مشتاقا أن أزور عاصمة المملكة المصرية الثانية الاسكندرية عروس البحر المتوسط الأولى ولكن :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

الحياة في نار كندا :

ونار كندا هذه اسم الباخرة التي تحملنا الى اليمن . كم كانت الحياة في هذه سعيدة كانت حياتنا نحن العراقيين في هذا الفندق العائم الذي يدعى نار كندا حياة لا تعرف ليلها من نهارها . فكنا وكأننا في أماسي الأعراس ولا فرق بين نهارنا وليلنا ولئن كانت هناك بعض القيود التي امتازت بها الحياة الانكليزية الاجتماعية من ملابس وقواعد وأصول السلوك (أتيكيت) بيد أننا كنا نعيش في وسط من أعلى طبقات المجتمع البريطاني الذي فهم الحياة على وجهها وأعطاها حقها ، فكنت ترى الناس جميعاً في أوقات الغناء يغنون ويرقصون ويطربون ويتضاحكون ويعبثون . وأوقاتنا للاحاديث والمجاملة أصفياء مثقفين ومحدثين جادين على أقوى صور الجد وكانت المرأة الانكليزية زينة هذه الباخرة العظيمة إذ امتازت بأدب جم وعلم غزير ورشاقة وحكمة ومتانة ولين والخلاصة هي كل زينة ، أو باعثة

لـكل شيء في الباخرة فلها الفضل الأول في سعادة الجميع وهنـاء الجميع في الباخرة.

وفي يوم الجمعة الخامس عشر من مارت كانت باخرتنا تمخر عباب البحر الأحمر بمحاذاة الساحل الشرقي والركاب كلهم يغنون ويعبثون ويلعبون ، ومهما نسيت لا أنسى تلك الحيزبون الاسترالية الشمطاء التي أطلت على الستين من عمرها وبيدها كأسها وهي تغني بصوت رخيم كأنها فتاة في العشرين وترقص رقص الشابات وتدعو الشباب الى منازلتها الرقص وتنادي بهم هيا : إن الحياة كلها لذة وسعادة وهي — الحياة قصيرة — هيا الى اهتبال الفرص واقتناصها.

هذا طراز من الحياة لم نألفه نحن الشرقيين ولـكننا لمسناه وتذوقناه بعد أن رأينا القوم يعطون ما لله ، لله وما لقيصر ، لقيصر . وأعتقد أن هذا من أسباب فوزهم في جميع أدوار تاريخهم . وقضينا السبت نهاره وشطراً كبيراً من ليله على هذا الشكل الذي وصفناه بين جد وانشراح ولعب وقصف ولهو ، حتى إذا ما أسفر صبح يوم الأحد وهو السابع عشر من مارت واذا بالناقوس يدق فيملأ أجواء السفينة جرساً ورنيناً وكأني في كنيسة لا في هذا الفندق العائم على اليم وفيه هؤلاء النسوة المرحات اللعوبات كأني بهن لم يقمن بذلك المرح الصاخب ولم يقرعن الـكؤوس بالـكؤوس ولم يخاصرن الرجال ويشابكنهم [1] ويطوينهم حانيات لهم والرجال منحنون لهن.

أجل كأن أولاء النسوة لسن نسوة الليلة السالفة والليالي السالفات ، انما هن قديسات بملابس سود محتشمة تبعث الاحترام والاشفاق لهن من قبل

---

(١) كناية عن — ادخال اصابعهم بكف احداهن بكف غيرها من الرجال او النساء.

كل من رآهن ولاسيما الغريب عن معرفة عاداتهن مثلي قبل ذلك ومثل رفاقي . يسرن ومعهن الرجال في رتل منفرد لاستقبال وجه ربهم في مصلى الباخرة أمام المرتل المتحمس في صلاته وهو إمام لهم وقدوة للمقتدين في المصلى .

فما أحرانا نحن الشرقيين أن نقتدي بهؤلاء وإن صح لي أن أورد المثل السائر : ساعة لقلبك وساعة لربك لتقريب الحياة الى مثلها العليا . على أن لا يخل ذلك بحياة البر، والطهر والعفة والصلاح .

باب المندب :

هو ذا مضيق باب المندب أمامنا وأنا لا أدري هل أندبه في فجر الثامن عشر من شهر مارت وهو آخر يوم سيكون لنا في الباخرة ؟ ماذا ؟ ولم أندبه ؟ أأندبه ليبعد عنا ما نقضي أكثر ما يمكن من الأوقات في ناركندا في هذه الحياة السعيدة ؟ وماذا أقول ؟ أو نقذف بما نحمل من أمان الى البحر ؟ ونحن نحملها من عاصمة الرشيد وفيصل وغازي ومعشوقة عبدالآله وحبيبة فيصل العزيز الحفيد وفيصل الحبيب الوليد . أو ننشد مع شاعرنا القديم :—

يا ليل طل يا نوم زل ... يا صبح قف لا تطلع

لا : لا : إنما حري بنا أن ننشد مع امرئ القيس :—

فقلت له لما تمطى بصلبه ... وأردف اعجازاً وناء بكلكل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجل ... بصبح وما الاصباح منك بأمثل

أرأيت كيف تسلب المرحات الأفكار ؟ وتأسر صاحبها عن الغايات لحظات ؟ وتصرفه حيناً عن الواجبات والمآرب ، حتى اذا ما عاد الى نفسه يستفزها الغرض والغاية يعود ملوماً تائباً .

فنندب إذن ونحن على مقربة من باب المندب حظنا السعيد في ناركندا لنستقبل حظنا السعيد في عدن واليمن هدفا لنا ومقصداً .

ها هو ذا عقرب الساعة على الصفر يشير الى الرقم ١٦٠٠ حيث نصل الى شاطيء عدن ، وها هو ذا السكرتير العام لحاكم عدن يستقبلنا في عرض البحر معه بعض من الضباط وقائد القوة الجوية البريطانية في عدن وغيرهم وهم في زوارق تمخر عباب البحر متجهة نحونا تحمل العلمين العراقي والبريطاني .

وعندما شرعنا نمتطي الزوارق المعدة لنا من قبل حاكم عدن طفقت الفتيات الانكليزيات يلحن بمناديلهن البيض وبأيديهن علامة الوداع ، حتى أن طائفة منهن تبعننا الى الفندق الذي أعدته حكومة حضرة صاحب الجلالة الامام ملك اليمن المعظم لنا ليودعننا الوداع الأخير . وعندما دخلنا عدن شاهدنا الشعب العربي يخرج عن بكرة أبيه لاستقبالنا استقبالا منقطع النظير حسبما ذكرلنا وجوه عدن حيث قد خرج جميع سكان المدينة واصطفوا لاستقبالنا ، وهم يهتفون بحياة جلالة الملك فيصل الثاني المفدى وصاحب السمو الملكي الوصي وولي العهد المعظم ، وحياة الأمة العراقية الكريمة والجيش العراقي الباسل .

في عدن :

عدن بلدة تقع في النتوء الجنوبي الغربي لشبه جزيرة العرب تحيطها جبال بركانية جرد لا نبت فيها ، ولا شجر ولا زرع تحيط بها قمم الجبال ، تشرف

وتسيطر على مداخل البحر الأحمر المؤدية الى البحر العربي الخضم ، فالمحيط الهنـدي .

وعدن هذه محصنة تحصيناً قوياً كاملا وتبلغ طول حصونها نحواً من سبعة أميال . تقسم الى قسمين اثنين وتتصل التحصينات ببلدة (الشيخ عثمان) وقد حفر البريطانيون بئراً آرتوازية في الشيخ عثمان استنبطوا منها الماء العذب الذي يكفي بلدة عدن وسكانها البالغ عددهم (٦٠٠٠٠) نسمة وتقسم عدن الى قسمين وهما : التواهي [1] وعدن القديمة . ففي القسم المطل على البحر مدينة نظمت تنظيما عصرياً بديعاً من شوارع فسيحة مبلطة وسينما ومخازن وكل ما يحتاج الانسان . وسكانها خليط من الهنود والصوماليين والعرب . ومدينة عدن تعد من أرخص مدن العالم لعدم وجود أية ضريبة على ما يردها وما يعرض في أسواقها للبيع .

ذلك لأنها مستعمرة بريطانية حرة مربوطة بالتاج البريطاني لا تفرض فيها الضرائب .

أما اللهجة الغالبة في الـكلام لدى سكان عدن فهي العربية اليمانية . ولا يغرب عن البال كون عدن مركزاً تجارياً مهماً وملتقى خطوط الملاحة البريطانية في الشرق كما أنها مركز سوقي خطير جداً يسيطر على البحور : الأحمر والعربي والمحيط الهندي . وهي الى ذلك مركز تموين للبواخر القادمة اليها والمسافرة منها . وسوق للاطعمة والفواكه الواردة من بلاد اليمن الى الساحل الافريقي الشرقي . ومركزها التجاري يتجلى في تبادل عسير

---

(١) التواهي — في لغة عدن هي الضواحي .

واليمن وجنوبي جزيرة العرب والحجاز انتاجها الزراعي بخامات اليابان وانكلترا والهند في أسواق عدن نفسها .

أما نظام الحكم في عدن فهو كنظام المحميات. فهي بحق بمثابة عاصمة المحميات البريطانية الجنوبية القسم تدار من قبل الحاكم البريطاني المقيم في عدن ويسمى هنالك عندهم والي عدن . ويضاف الى ذلك كون عدن مركزاً لخطوط المواصلات التي تربط بلاد اليمن بالمحميات .

وقد أمر جلالة الامام ملك اليمن المعظم وكيله المقيم في عدن أن يعتبر تكليف نفقات البعثة على حساب جلالته الخاص . فكان لذلك أثر بليغ في نفوسنا ، وشاء كرم العدنيين النبلاء من هيئة ادارة النادي العربي في عدن أن يقيموا لنا حفلة شاي تكريمية فخمة تبارى وتوالى فيها الشعراء والخطباء والأدباء العدنيون على منصة الخطابة فألقوا ما جادت به قرائحهم من منثور ومنظوم بالترحيب بنا واكرام وفادتنا والاشادة بنهضة العراق الجبارة وبمديح آل البيت الكرام والأسرة المالكة العراقية الهاشمية الرفيعة العماد والدعاء والهتاف الحار بحياة العراق ومليكه ووصيه المعظمين .

لقد بعث وكيل جلالة الامام ملك اليمن المعظم خمس سيارات جديدة لتقل أعضاء البعثة العراقية العسكرية الى صنعاء . وهنا تخفق قلوبنا وتهتز أوتارها طرباً وفرحاً وتطير شعاعاً لرؤية صنعاء . وصنعاء دائماً مطمح أنظارنا ومستقرنا ونقطة معرسنا .

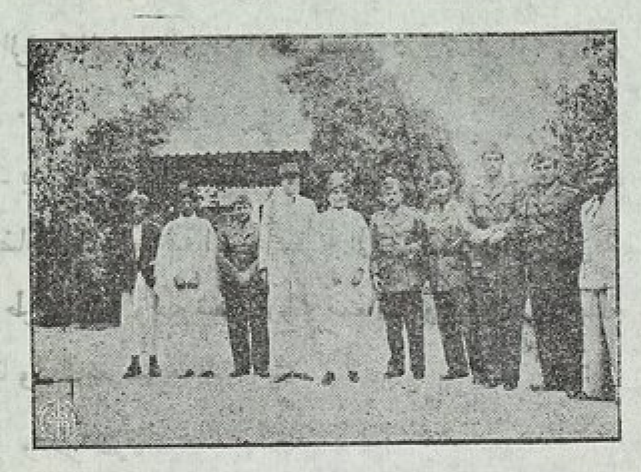
لحج والراهدة :

امتطينا في مساء يوم ٢٠ مارت ١٩٤٠ السيارات الجديدة المرسلة

لتقلنا من عدن فسارت بنا في طريق مبلطة ميممة شطر الشمال وقد رافقنا ممثل حكومة عدن الـكبتن سيجر وبعد مسير ساعتين وصلنا قرية لحج عاصمة سلطنة لحج ومقر عظمة السلطان عبدالـكريم العبدلي سلطان لحج ، فدخلنا مقره العام واستقبلنا عند مدخله وشربنا في حضرته القهوة العربية .

إن قرية لحج اذا قورنت في أية قرية عراقية لا تفرق عنها بمناظرها ومبانيها . وقاطنوها عرب يعيشون على الزراعة . أما واردات السلطان فهي تنتج من بيع الفواكه والخضر في أسواق عدن لسكانها وقصادها . وبعد ان مكثنا نصف ساعة في قصر عظمة السلطان عبد الـكريم العبدلي غادرناه فودعنا عظمته الى الباب . وقصر السلطان لايفرق في منظره وهيئته عن أية دار للطبقة المتوسطة في العراق . وجل بيوت القرية مشيدة من (العش) وجمعها (عشش) على اصطلاح لغة اليمن (مخروطي) الشكل أشبه بالهرم ولـكنه أنظف من كوخ الفلاح العراقي وأنظم .

مع سلطان لحج



البعثة العسكرية العراقية عند مغادرتها قصر سلطان لحج ويظهر في الصورة السلطان والمشاور البريطاني المستر سيجر وهم يودعون البعثة عند مغادرتها لحج

وقرية لحج تبعد نحو ٣٤ كيلومتراً من عدن والطريق المبلطة بينهما تمتد في أرض سهلة جرداء لا زرع فيها ولا مياه ويقع على جانبيها بعض القرى . قد لا نجد على طرفيها عوارض عسكرية ، اللهم إلا بعض التلول المتباعدة هنا وهناك ليست كبيرة الشأن للغرض المذكور . وبعد مسيرة سبعة كيلومترات من اجتيازنا تخوم لحج دخلنا طريقاً غير مبلطة وهنا ودعنا الضابط البريطاني المرافق لنا الى الحدود وسرنا على الطريق المؤدية الى (الراهدة) حيث وصلناها الساعة ١٧١٥ وهنا قطعنا منطقة (الحواشب) وأخذت الأرض بالارتفاع رويداً رويداً وكانت الأراضي المحيطـة بالطريق تعد مفتاحاً للاراضي الجبلية الوعرة فانقلبت من أرض رملية الى أرض حجرية والطريق بصورة عامة ، إلا القليل منها ، غير مبلطة .

إن نقطة الراهدة هذه هي أول نقطة على الحدود اليمانية وهي تبعد عن عدن زهاء ١٢٠ كيلومتراً . ويقيم في الراهدة ضابط برتبة عقيد هو سري بك آمر منطقة (تعز) العسكرية وهذه المنطقة زراعية خصبة معتدلة المناخ لارتفاع أراضيها عن سطح البحر بين ٢٠٠ — ١٠٠٠ متر وهي تقع في الشمال الغربي من قرية لحج .

تعز [١] :

وتحركنا يوم الخميس المصادف ٢١ مارت ١٩٤٠ من الراهدة الى تعز في الساعة ٧٣٠ وكان برفقتنا العقيد اليماني سري بك وبعد أن قطعنا

---

(١) بتاء مثناة مكسورة يليها عين مكسورة ايضاً وفي الآخر زاء مشددة (بلوغ المرام ص ١٤٤) ونحن نرى ان تعز علم على وزن الفعل من عز الماضي اذا وان تاء المضارعة كسرت فهي هنة من الهنوات في لهجات العرب وهي بأصطلاح تاريخ الادب العربي تلتلة بهراء وهي كسرا حرف المضارعة وهم - بهراء - بطن من قضاعة .

٣٠ كيلومتراً في الطريق استغرقت ساعتين اثنتين ، وصلنا بلدة تعز حيث استقبلنا عند مدخل القرية حرس شرف مؤلف من فوج من المشاة ونزلنا دار الضيافة للحكومة .

وبلدة تعز هذه هي حاضرة اللواء المسمى باسمها يحكمها حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سيف الاسلام أحمد وولي العهد . كما أنها مقر لواء مشاة الجيش الدفاعي ولواء من الجيش المظفر ولواء مدفعي . وهي تقع على نشز من الأرض تحيط بها الجبال من جميع الجهات وهي مقر ولي العهد للمملكة اليمانية كما أنها ملتقى نقطة القوافل التي تمر من عدن الى شمالي اليمن حاملة اليها البضائع أو قادمة من اليمن حاملة منتوجات هذه البلاد تبيعها في أسواق اليمن ويضاف اليها خطورتها العسكرية لأنها تسيطر على السهول الواقعة جنوبها أي على المحميات ولهذه الخطورة أصبحت مقراً لولي العهد سمو الأمير سيف الاسلام أحمد[1] .

وفي يوم الجمعة الثاني والعشرين من مارت صلينا صلاة الجمعة في مسجد تعز . ثم شاهدنا مواكب الجيش اليماني الى الصلاة فيه ، وكيفية قراءتهم الأناشيد المسماة (زامل)[2] . وهي أناشيد دينية لا تتعدى الدعاء للامام المعظم وانجاله سيوف الاسلام أعزهم الله جميعاً .

وأول شيء لاحظته هنا في هذه المدينة هو تناول القات الذي لم يكن لي به عهد قبلا فالضباط والجنود والأهلون كباراً وصغاراً يختزنون مادة القات في أفواههم ، وسنفرد لقصة القات فصلا خاصاً به .

( ) لقب كل ولد ذكر من أبناء جلالة الملك الأمام يحيى المعظم يسبق اسمه الحقيقي .

(٢) زامل — نشيد وطني وهو غير معروف عند الأقدمين لكنه صحيح الاشتقاق لأنه مشتق من الزملة بالضم وهي الرفقة لانهم يجتمعون جماعات لانشاده (بلوغ المرام ص ١٥٠) .

تعد بلدة تعز حوالي (١٠٠٠٠) نسمة معظمهم من الفقراء أو متوسطي الحال وهي بلدة تحتاج الى كبير عناية ومواصلة جهد لترقيتها من الأوجه الصحية والاجتماعية والتعليمية لتبلغ شأو المدن والحواضر البواقي .

وفي يوم السبت المصادف ٢٣ مارت تفضل صاحب السمو الملكي سيف الاسلام أحمد وولي العهد المعظم فأذن لنا بزيارته وتناولنا طعام الغداء مع سموه الملكي الكريم وشملنا بأكبر التفات ورعاية .

الى حيس :

وامتطينا السيارات من تعز في الساعة ٦٠٠ متوجهين الى بلدة (حيس) فوصلناها في الساعة ١٢٠٠ فاستقبلنا عاملها استقبالا حافلا حاراً دل على نبل اليماني وحبه لأخيه العربي . وبلدة حيس تقع في الشمال الغربي من تعز تبعد عنها ٦٥ كيلومتراً والطريق غير مبلطة ، وسطحها ترابي في القرب من حيس صعب السلوك فيه إلا بشق الأنفس وليس في الطريق مياه ، اللهم إلا وديان قليلة شحيحه : كوادي حيدان ورمادي وتعلو أرض حيس عن سطح البحر حوالي (١٠٠٠) متر وهناك بعض القرى في طريق حيس وقد استرحنا قليلا فيها وتناولنا طعام الغداء ثم واصلنا السفر الى زبيد .

زبيد وبيت الفقيه :

وتقع هذه البلدة في الشمال الغربي من حيس بينهما ٣٨ كيلومتراً لذلك صعدت بنا السيارات الى الشمال الغربي في سهل فسيح على مقربة من البحر الأحمر حيث لا تبعد عنه أكثر من ٢٥ كيلومتراً ولما بلغناها استقبلنا عاملها وجنوده خير استقبال .

وزبيد مدينة كبيرة اشتهرت بالعلم والفضل والصلاح وخرج منها علماء كبار لا يحصى عددهم وطار ذكرهم في البلاد والآفاق وهي مدورة الشكل وفي جنوبها واديها المسمى (المبارك) وفي شمالها (وادي رمع) وهي مدينة واقعة بين واديين ومن شرقيها على مسافة خمسة وعشرين كيلومتراً الجبال الشامخة والحصون المنيعة والمعاقل البديعة والمساكن الرفيعة ، وفي غربيها على مثل تلك المسافة البحر الاحمر الزاخر والسفن المواخر وحول المدينة النخيل الباسقة والقصور الرائقة ، وبينها وبين صنعاء مائة كيلومتراً وهي كثيرة المياه والفواكه ، عظيمة البساتين ونخلها من كل لون أحمر وأصفر وأخضر وفيها كثير من الفل الابيض والياسمين والكاذي وسائر الازهار التي يستخرج منها العطور .

هكذا وصف القاضي حسين بن حمد العرشي مدينة زبيد وضواحيها في كتابه « بلوغ المرام » آثرت اثبات هذا الوصف نظراً لأنني لم أبق فيها طويلا ولكن أعجبني منظرها وأرضها وطبيعتها الفتانة التي تنطبق على ما وصف القاضي العرشي رحمه الله ، ويضيف قاضينا الى ذلك قوله : « وأول من اختط هذه المدينة هو (محمد بن عبدالله بن زياد الاموي) بأمر المأمون الخليفة العباسي في شهر شعبان سنة ٢٠٤ من الهجرة » . وفي مدينة زبيد تصنع الثياب الفاخرة القليلة النظير في المدن العربية وبأنوال وطنية محلية خاصة اشتهر فيها الحاكة منذ أقدم العصور التاريخية . وفي نفس هذا اليوم واصلنا سفرنا الى بلدة (بيت الفقيه) فبلغناها الساعة ١٨٠٠ بعد أن قطعنا أربعين كيلومتراً من زبيد وتقع شمالي هذه المدينة تماماً وهي مركز قضاء بيت الفقيه ، وبيت الفقيه موطن قبيلة الزرانيق الاشداء .

الحديدة [١] :

هاهي ذي السيارات تقلنا من بيت الفقيه يوم الاربعاء السابع والعشرين من مارت الى مدينة الحديدة التي تبعد عن الاولى ثمانية وأربعين كيلومتراً . الطريق رملية وعرة غير مبلطة ولا ماء فيها ولا ديار فلا ينام فيها انسان ولا يبغم حيوان ، عدا قطعان من الغزلان وطائفة من الحيوانات الضارية ونزر قليل من أشجار الدوم .

فأنت ترى أن مدينة الحديدة من مدن اليمن القديمة العريقة الشهيرة وميناء ذو مركز مرموق وهو مركز ولاية الحديدة . يشرف على ادارتها سيف الاسلام عبدالله إضافة على واجباته الأساسية كوزير للمعارف ورئيس المجلس العسكري الأعلى ، ويعد سكان مدينة الحديدة (٤٠٠٠٠) نسمة معظمهم عرب وفيها هنود يمتهنون التجارة كما أن فيها سوريين وايرانيين .

كانت الحديدة من المدن العربية الشهيرة وكانت ميناء اليمن الاكبر على عهد الاتراك واسعة التجارة عامرة الملاحة ، تقيم فيها حامية تركية

---

(١) تقع الحديدة جنوبي غربي صنعاء . وبينها وبين صنعاء مسافة ١٤٠ كم . وعلى بعد عشرة اميال من الحديدة رأس أو لسان يتقدم في البحر يسمونه (رأس الكثيب) وقد توفق الفرنسيون وحصلوا على أمتياز في عهد الدولة العثمانية يخولهم بناء مرفأ فيه ، فكان نظرهم حسنا في اختيار ذلك المكان لانه موقع طبيعي واسع يصلح لبناء مرفأ أمين والدخول اليه سهل ولا سيما للسفن الشراعية عدا البواخر التجارية الكبيرة . لأن الفرنسيين وسعوه وحفروه حفراً عميقاً بالآلات اللازمة ومدوا بجانبه خطاً حديدياً ضيقاً من جنس المسمى (ديكوفيل) واوصلوه الى (الطنمية) وهي قرية صغيرة قريبة من باجل وسارت القطر على هذا الخط مدة وجيزة . ولما اعلنت ايطاليا حرب الدولة العلية سنة ٩١٢ (١٣٣١) للهجرة ارسلت بعض بوارجها وضربت المكان المذكور بقنابرها فدمرت كل ما عمره الفرنسيون ثم اقتلع اليمانيون الخط الحديدي واتخذوه في ابنيتهم وبقي هذا الميناء حتى يومنا هذا غير صالح لرسو السفن الكبيرة .

لاخضاع أهل اليمن وأوصلوا الاسلاك البرقية الى الجبال ووضعوا مشروع سكة حديد بمنح شركة فرنسية مساهمة .

تمتد السكة من هذا الميناء الى بلدة مناخة فالى صنعاء . وما كادت تباشر الشركة العمل حتى أعلنت الحرب في أوربا سنة ١٩١٤ ولقد بقيت الحديدة غضون الحرب العظمى بيد الاتراك الذين حاربهم اليمانيون من أربعين عاماً . وقد والى اليمانيون الاتراك وهم كما تعلم أعداؤهم المستعمرون لانهم أخوان في الاسلام . فحافظ جلالة الامام أعزه الله على المعاهدة التي عقدها الاتراك معه ، وآثر اعتزال السياسة والاقامة في جبال شهارة ، وكان يومئذ محمود نديم بك والي اليمن ، وعلي سعيد باشا قائد الجيوش المحتلة ، وفي حوزتها البلاد كلها من لحج حتى صنعاء ومن اللحية على الساحل حتى المخا . ثم عادت الحديدة الى أحضان جلالة الامام مع سائر بلاد مملكته في أحداث ووقائع رائعة سجلت لجلالته في تاريخ اليمن بأحرف من نور .

ومناخ مدينة الحديدة حار ورطب ليس فيها مشروع إسالة ماء أو كهرباء وينقل الماء اليها على ظهور الابل من مسافات بعيدة وأكثر سكانها فقراء يكادون أن يكونوا معدمين لا سبب للعيش عندهم حتى ولا سبيل الى الاشتغال بالزراعة لجدب تلك المنطقة ، اللهم إلا بعض الناقلات التجارية التي تقوم بها الزنابيك [1] لنقل البضاعة ومواد التجارة المشحونة بالمراكب من مختلف القارات من الساحل الآسيوي الى الساحل الافريقي ، والحديدة

---

(١) واحدها الزنبوك وهو القارب او البلم والكلمة من اللغة اليمانية العامة والأصل فى اللغة الزنبوق بالسين والقاف وضم الأول وهو القارب الصغير وتجمع على (سنابيق) وزن عصفور عصافير .

بالرغم من كونها الميناء اليماني الوحيد المطل على البحر الاحمر فليس فيها مرسى صالح لرسو السفن البحرية الكبيرة ، وبناء على هذا فان السفن لا تقربها ، واذا ما اضطرت سفينة في وقت من الاوقات الى تفريغ حمولتها فهي ترسو على مسافة كيلومتراً واحداً من الساحل . ومن ثم تقوم الزنابيك بمهمتها لتفريغ حمولة السفن أو تحميلها لبضاعة . وفي هذا ما فيه من المحاذير الاقتصادية والجهود الضائعة .

وتفضل الامير سيف الاسلام عبدالله فأقام لنا مأدبة عشاء في داره العامرة في الحديدة دعا اليها كبار القوم وعلى رأسهم السيد عبد الله الوزير عامل الحديدة سنتئذ ، ثم حضرنا حفلة استعراض الجيش المرابط هناك بأمر سمو سيف الاسلام عبدالله .

عبال :

وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من مارت أقلتنا السيارات في صبحه ، وتركنا الحديدة متوجهين شرقا على بركة الله ، الى قرية عبال . ودخلنا كثباناً رملية بادئ ذي بدء ثم أخذت تزول بعد نصف الطريق حتى بلغنا عبال التي تعد مفتاح السلسلة الجبلية في مملكة اليمن السعيدة ، وهي بموقعها الممتاز تسيطر على السهول الواقعة في غربيها يخترقها واد شحيح المياه في أوقات الجفاف لكنه غامر في مواسم الامطار والري . وقرية عبال صغيرة تؤلف قرابة ثلاثين (عشة) [1] .

---

(١) عشة — وتجمع على عشش هي كالقشة اي مسكن حقير مبني بالشجر والكلمة يمانية عامية .

معبر وباجل والعودة الى عبال :

تحركنا صبيحة يوم الجمعة التاسع والعشرين من مارت من قرية عبال ميممين شطر معبر وما كدنا نصل الى وادي سهام حتى دهمتنا أمطار غزيرة أجرت السيول الجارفة العارمة اضطررنا على أثرها للعودة الى عبال حيث استمر المطر ينهمر بغزارة فاسلمنا أمرنا الى الله تعالى .

أقول أسلمنا أمرنا الى الله تعالى وبتنا ليلتنا في سياراتنا بعبال قرب معبر وادي سهام . وفي يوم السبت المصادف ٣٠ مارت اتجهنا الى طريق الحديدة ثم سرنا على نفس الطريق الاولى الى قرية باجل الواقعة في منتصف طريق عبال والحديدة فوصلناها الساعة ١٦٠٠ بعد أن عانينا مشقات جسيمة وأتعاباً جمة . فقد ساخت عشرات المرات دواليب السيارات في الطريق وبتنا في باجل كما أننا بقينا في هذه القرية يوم الاحد المصادف ٣١ مارت . وفي الساعة ٤٠٠ بعد منتصف الليل من يوم ١ نيسان سافرنا من باجل الى معبر وكانت الطريق جبلية وعرة جداً تعذر سير السيارات فيها في هـذا الفصل الماطر الذي حولت فيه الامطار الطرق الى برك مائية والى أوحال ، والطريق من عبال يتجه الى الشرق والى الشمال ومنه الى الجنوب حتى ينتهي بقرية (مناخة) التي تبعد عن عبال خمسة وثلاثين كيلومتراً وبينما كانت وجهتنا معبراً ، اضطررنا الى البقاء في مناخة من جراء هطول الامطار الغزيرة باستمرار دون انقطاع وبتنا في مخفر من المخافر المسيطر على الطريق .

وفي صبيحة يوم الثلاثاء تحركنا من المخفر الى معبر حيث بدأت سياراتنا تتسلق الجبال العالية حتى وصلنا معبر . والطريق هنالك بين مناخة ومعبر لا تصلح لمرور السيارات إلا بصعوبة عظيمة وانها غير معبدة وتقع

على جوانبها مزارع البن وفي جنوبها مزارع الموز والفواكه المختلفة الكثيرة وهي أخصب بقعة شاهدتها في هذه الطريق منذ وطئت أقدامنا أرض اليمن الخضراء السعيدة، فأنت ترى أن في منطقة معبر تكثر أحراش البن والأشجار المثمرة . ومعبر تقع شرقي عبال وتبعد عنها نحو سبعين كيلومتراً وهي قرية لطيفة المناخ يبلغ عدد سكانها نحو (٢٠٠٠) نسمة وتقع على الهضبة المؤدية الى مدينة صنعاء وترتفع نحو ٢٣٥٠ متراً عن سطح البحر .

الى صنعاء : الى صنعاء :

لقد كابدنا ما كابدنا من وعثاء السفر الشاق في طريق اليمن الوعرة وبتنا ليالي سود ، لكن دنونا من صنعاء ، أنسانا كل شيء ، ونحن بالواقع نتحمل كل شيء في سبيل صنعاء ، يحدونا هذا الأمل ولا أدري كيف خطرت لي هذه الأبيات التي قد حفظتها منذ سنين لكنني لم أتذكر قائلها وأنا مع زملائي استقبل طريق صنعاء خارجين من معبر :—

سقيا لصنعاء لا أرى بلداً   أوطنه الموطنون يشبهها
خفضاً ولينا ولا كبهجتها   أرغد أرض عيشاً وأرفهها
يعرف صنعاء من أقام بها   أغذى بلاد غذا وأنزهها

بالاضافة الى قول القائل :—

لابد من صنعا وإن طال السفر   وإن تحنى كل عود ودبر

أجل . لقد طال السفر ومر شهر منذ مغادرتنا بلادنا ، ولكن لو قدر لابل كانت معنا في هذه الرحلة لشابت ، ودبرت حقاً ، ولكن سقياً لصنعاء فهي المقصد وهي ما زالت المبعد فكلما استدنيناها استبعدت ، وكلما ناجيناها

استغابت ، ولكن السيارة لتقسم أنها لتوغل في طريقها ، تستسهل صعابها ، وتدك متون حزونها ، وانجادها ، ولتكسح كثبانها ليرى راكبوها الرغد لا في دور البداوة والجهالة إنما في كنف جلالة الامام يحيي حميدالدين المعظم . لقد اجتزنا آلاف الكيلومترات فما هذه الخمسة والأربعون كيلومتراً بين معبر وصنعاء ؟ آه .

انها طريق (رغيب) تجتاز السيارات من معبر نحوها شمالا بشرق وها ذي القرى الجميلة المؤنسة بعد أن اوحشتنا الطرق الكثيرة قبلها ، ها نحن نأنس وقد تركنا في وحشة وها هي القبائل الساكنة في هاته القرى . وبينما أنا في هذه الخواطر واذا ضباط يمانيون يستقبلوننا في الطرق فنواصل السفر بعد تبادل السلام والتحيات الى صنعاء : والى صنعاء . فبلغناها ونزلنا في دار الضيافة هناك المعدة لنا وقد توفرت فيها كافة وسائل الراحة على أكمل وجه . ولأول مرة من دخولنا اليمن نجد الاضاءة بالكهرباء في الدار المعدة لنا حسب أمر جلالة الامام المعظم .

الفصل الرابع

هذه صنعاء . المياه في صنعاء . الزراعة والبساتين . المجاعة في اليمن .
الحيوان . دور السكنى . الطابع اليماني الخاص . المجتمعات
في الدور . مجالس القات . آراء الثقات في القات .
قصيدتان في مدح القات وهجوه

هذه صنعاء [1] :

هذه صنعاء مقر أمير المؤمنين سيد الزيديين واليمانيين حضرة صاحب الجلالة الامام يحي حميدالدين المعظم وجلالته يرتقي نسبه الى السيد الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) . وهي المدينة التاريخية القديمة منذ أقدم العصور ومركز دولة حمير وما وليها من الدول . وملوكها ورجالها غزوا قدماً العجم حتى بلغوا قزوين وا كتسحوا ممالك شرقية كثيرة وقد روي أن أحد قوادهم

---

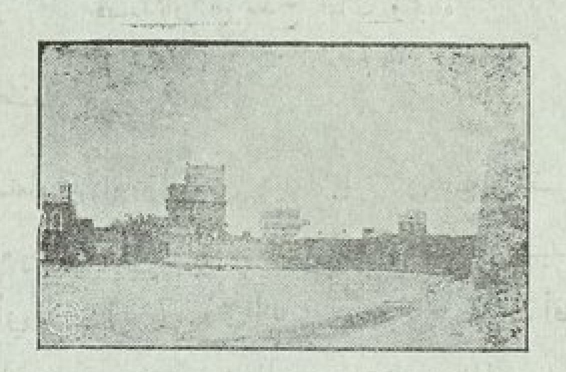
(١) قال ياقوت : صنعاء منسوبة الى جودة الصنعة في ذاتها كقولهم أمرأة حسناء وعجزاء وشهلاء والنسبة اليها صنعاني على غير قياس كالنسبة الى بهراء بهراني . وصنعاء موضعان احدهما باليمن وهي العظمى وأخرى قرية بالغوطة من دمشق . ونذكر اولا اليمانية ثم نذكر الدمشقية . فأما اليمانية فقال ابو القاسم الزجاجي . كان اسم صنعاء في القديم (أزال) قال ذلك الـكلبي والشرقي وعبدالمنعم فلما وافتها الحبشة قالوا نعم نعم فسمي الجبل (نعم) أي أنظر فلما رأوا مدينتها وجدوها مبنية بالحجارة حصينة قالوا هـذه صنعة ومعناه حصينة فسميت صنعاء بذلك وبين صنعاء وعدن ثمانية وستون ميلا وصنعاء قصبة اليمن وأحسن بلادها تشبه بدمشق لـكثرة فواكها وتدفق مياهها فيما قيل . وقيل سميت بصناء بن أزال بن يقطان بن عابر بن شالخ وهو الذي بناها .

قال ابن الـكلبي ؟ انما سميت صنعاء لأن وهرز لما دخلها قال صنعة صنعة يريد ان الحبشة أحكمت صنعتها قال : وانما سميت باسم الذي بناها وهو (صنعاء) بن أزال بن عبير بن عابر بن شالخ فكانت تعرف بازال وتارة بصنعاء .

وقال مجاهد في قوله تعالى : غدوها شهر ورواحها شهر كان سليمان يستعمل =

فتح أفريقيا ، وهي مركز دول القحطانية . القسم الرئيسي الكبير من العرب الأقحاح . هي مدينة التجارة ومركز التبابعة ، وهي مدينة القصور الفخمة والرساتيق الغنساء والأودية الكبرى ، ثم هي بلد الذهب والأفاويه والنفائس والفواكه ، ولعبت دوراً بل أدواراً معروفة في تاريخ الاسلام .

دار السعادة



قصر جلالة الامام فى صنعاء

أقيمت هذه المدينة في واد بين جبلي نقم وعصر ، وجبل نقم أقرب الى

= الشياطين بأصطخر ويمرضهم بالري ويعطيهم أجورهم بصنعاء فشكوا أمرهم الى أبليس فقال لهم : عظم البلاء وقد حضر الفرج . وقال عمران بن أبي الحسن : ليس بجميع اليمن أكبر ولا أكثر موافق واهلا من صنعاء وهو بلد فى خط الاستوا. وهي من الاعتدال من الهواء بحيث لا يتحول الانســان من مكان طول عمره صيفاً ولا شتاء وتتقارب ساعات الشتاء والصيف وبها بناء عظيم عال وقد عرف بغمدان .

وقال معمر : وطأت ارضين كثيرة شاما وخراسان وعراقا فما رأيت مدينة أطيب من صنعاء . وقال محمد بن احمد الهمداني الفقيه : صنعاء طيبة الهواء كثيرة الماء يقال ان أهلها يشتون مرتين ويصيفون مرتين وكذلك أهل قران ومأرب وعدن الشحر واذا صارت الشمس الى أول الحمل صار الحر عندهم مفرطا فاذا صارت الى اول السرطان وزالت عن سمت رؤوسهم اربعة وعشرين شتوا ثم تعود الشمس اليهم اذا صـارت الى اول الميزان فيصيفون ثانية ويشتد الحر عليهم فاذا زالت الى الجنوب وصارت الى الجدي شتوا ثانيـة غير ان شتاءهم قريب من صيفهم . قال وكان فى ظفار وهي صنعاء =

[صنعاء من جبل]عصر اليها . وتبعد عن عدن شمالا نحو ٥٥٠ كيلومتراً تقريباً وبينها طريق صالحة في أغلب الفصول لسلوك السيارات التي تستغرق ثلاثة أيام وعلى متون الدواب تسعة أيام . ولما كانت صنعاء واقعة في المنطقة الحارة وقريبة من خط الاستواء يخيل الى القارئ انها ذات حرارة لا تطاق شأنها شأن الموانئ الواقعة على البحر الاحمر . إلا أن ارتفاع صنعاء عن سطح البحر بـ ٢٨٥٠ متراً بهذا الارتفاع الشاهق جعل مناخها معتدلا . وأشهر السنة كلها متساوية في درجة الحرارة فليس هنالك كبير فرق بين شهري آب وكانون الثاني من حيث درجات الحرارة ، يعتد به ، ويكاد لا يحس الانسان بالفرق بين مناخي ذينك الشهرين وقد يصادف أن يكون البرد قارساً في ليالي كانون

= (كذا قال وظفار مشهورة على ساحل البحر ولعل هذه كانت تسمى بذلك) فربما من القصور قصر زيدان وهو قصر المملكة وقصر شوحطان وقصر كوكبان وهو جبل قريب منها . قال وكان فى المدينة صنعاء تسعة ابواب وكان لا يدخلها غريب الا بأذن . كانوا يجدون فى كتبهم انها تخرب من رجل يدخل من باب لها يسمى باب حقل فكانت عليه اجراس متى تحركت سمع صوت الاجراس من الاماكن البعيدة . وكانت مرتبة صاحب الملك على ميل من بابها وكان من دونه الى الباب حاجبان بين كل واحد الى صاحبه رمية سهم وكانت له سلسلة من ذهب من عند الحاجب الى باب المدينة محدودة وفيها أجراس متى قدم على الملك شريف او رسول او بريد من بعض العمال حركت السلسلة فيعلم الملك بذلك فيرى رأيه . وذكر لأبي محمد اليزيدي شعر حسن فى مدح صنعاء وتفضيلها على غيرها .

وبنى أبرهة بصنعاء القليس واخذ الناس بالحج اليه وبناه بناء عجيبا وقدم يزيد بن عمرو بن الصعق صنعاء ورأى اهلهـــا وما فيها من العجائب فلما انصرف قيل له كيف رأيت صنعاء ؟ فقال : —

من يأت صنعاء الجنود واهلها ... وجنود حمـــير قاطنين وحميرا
يعلم بأن العيش قسم بينهم ... حلبوا الصفاء فأنهلوا ما كدرا
ويرى مقامات عليها بهجة ... يارجن هنديا ومسكا اذ فرا

وينسب اليهـا عدد كبير من العلماء منهم عبدالرزاق بن همام بن نافع ابو بكر الحميري احد الثقات المشهورين ولد سنة ١٢٦ وعمر طويلا وروى عنه كثيرون منهم الأمام احمد بن حنبل والشاذكوني وغيرهما .

الثاني وشباط بيد أن درجة الحرارة لا تهبط الى الصفر وتحت الصفر . وبلاد اليمن تخضع لمنطقة الرياح الموسمية ، فتهب عليها هذه الرياح صيفاً فتحول الى أمطار لدى ارتفاعها ولا سيما الى أجواء الجبال حيث الضغط الجوي الثقيل ، فتسقط غزيرة ولاسيما على صنعاء ومنطقتها الكبرى كما أن هذه الامطار تكون غزيرة أيضاً في شهر آذار من كل عام وتهطل غالباً واعتيادياً هذه الامطار بعد الظهر ومن النادر جداً أن تستمر الى الغروب ولغزارة الامطار أثر بارز في صنعاء من النواحي الزراعية ، وحياة الحيوان وفي بعث الانتعاش الى الانسان . وتقسم مدينة صنعاء الى ثلاث مجموعات أوثلاث مدن ، فالمدينة الاولى أو المجموعة الاولى هي صنعاء القديمة، يحيط هذه المدينة سورمن الطوب (الطين الحلب) يبلغ سمكه أربع أقدام وارتفاعه عشر أقدام وهذا السور يحيط بالمدينة إحاطة السوار بالمعصم وللسور أربعة أبواب تغلق هذه الابواب بعد غروب الشمس تماماً ويقف على كل باب منها جماعة من الحرس ومعهم بوق للنفير يعطون به إشارة الوقت ومعهم كذلك طبول يضربون عليها إشارات النوم ولا تفتح هذه الابواب بعد الغروب إلا بأمر عامل صنعاء واليك أسماء أبواب المدينة :—

١ — باب شعوب أو باب الروم .

٢ — باب اليمن .

٣ — باب السبح .

٤ — باب الشقاديف .

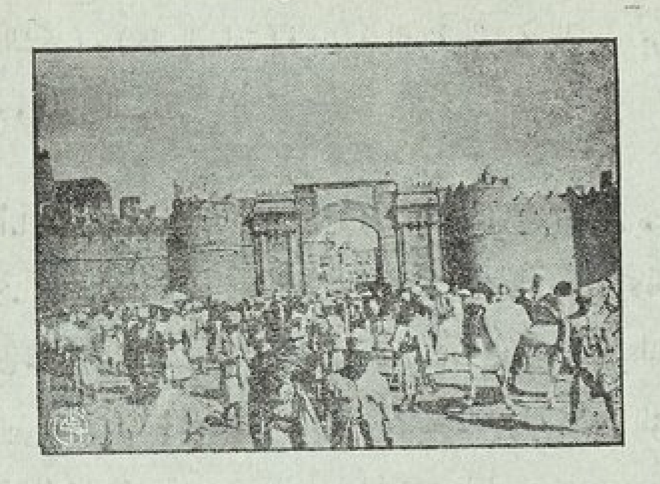
والمدينة مستديرة الشكل شأنها شأن المدن القديمة وهي خالية في داخلها من البساتين والاشجار يروي : (غيل الآلاف) كما قدمنا سكان المدينة

وهذا الغيل يقع بالقرب من باب السبح . وتقع القصور الامامية قصر (دار الشكر) و (دار السعادة) في نهاية المدينة الغربية بالقرب من باب السبح وبداخل السور .

أما المجموعة الثانية أو المدينة الثانية فهي (بئر العزب) الذي يعتبر بحق من الاماكن الحديثة ، وحي بئر العزب هذا كذلك محاط بسور كافة صنعاء غير أن معظم دوره تشرف على حدائق جميلة تناسب ذوق العصر الحاضر . ولحي بئر العزب عدة ساحات وشوارع وحديقة عامة وفيه من المؤسسات الرسمية دائرة البرق والبريد ودور أمير الجيش وعامل صنعاء ودور معظم الموظفين الاجانب والطبقة المتنفذة ، وهذا الحي لو أسبغ عليه شيء من العناية والمال لضاهى محلة السعدون ببغداد ، وأبواب هذا الحي متصلة بصنعاء من جهة باب السبح وباب شعوب وأسواره شبيهة بأسوار صنعاء ، وانه مستطيل الشكل بعكس أمه .

والمدينة الثالثة أو المجموعة الثالثة هي (قاع اليهود) أو مدينة اليهود وهذه المدينة مستديرة الشكل كصنعاء لها ثلاثة أبواب ، على كل باب جماعة من الحرس لا يسمح لغير اليهود بالمبيت فيها والتملك ، فيها سوق اليهود ومدارسهم ودورهم وتجارتهم وهي كذلك ترتبط بصنعاء ببابين والباب الثالث يؤدي الى مقبرة اليهود ويبلغ سكان صنعاء بمجموعاتها الثلاث نحواً من ٦٠ الف نسمة وتحيط بالمدينة البساتين والمزارع وأشجار الأثل ولا يوجد بداخل المدينة طريق مبلط أو انارة .

باب اليمن



باب من أبواب مدينة صنعاء
(قلب اليمن)

قال صاحب دائرة المعارف (البستاني) ج ١١ ص ٤١—٤٣ عن صنعاء ما نقتطفه باختصار أو تصرف من هذه الصفحات (أي من ٤١ — ٤٣ من الجزء ١١): —

صنعاء قصبة اليمن في بلاد اليمن موقعها في سهل جميل يرتفع ٤٠٠٠ قدم[1] فوق البحر على ١١٠ أميال الى شرقي الشمال الشرقي من الحديدة . عدد سكانها ٤٠٫٠٠٠ نفس ، يحيط بها أسوار طولها ½ ٥ أميال فيها عدة مدافع ، أكثر أبنيتها من الآجر ، فيها قصران من الحجر ونحو أربعين جامعاً مزخرفاً وعدة حمامات وجسر حجري مبني فوق أشهر شوارعها وأكثر تجارتها في البن وقشره الذي يباع بأثمان باهضة ويستعمله الاهالي كدواء للسل وفيها رياض وبساتين كثيرة وهي طيبة الهواء عذبة المياه وقد وجد بها حديثاً كتابات قديمة ذات شأن .

---

(١) الصحيح (٢٩٥٠) متراً .

ولقد سبب ارتفاع صنعاء أن تكون جافة فالناس هناك يشكون الجفاف . ونزول الأمطار صيفاً يسبب تلطيف المناخ وبعث النشوة والانتعاش في النفوس ، لأن الرطوبة معدومة بالتمام ، وعلى هذا فانك ترى السكان يترطبون كل يوم بالدهان . ولا ترى في هذا البلد أي أثر لاستعداد الناس لمستلزمات الفصول كما نفعل نحن في بلادنا العراقية . فهم لا عهد لهم بالمروحة ولا بالمدفأة ، ولا بالفراش الوثير والسميك المبطن لحافه بحشايا الصوف أو القطن اتقاء صبارة الشتاء . فلا يعرفون سوى بدلة واحدة وفراش واحد في جميع المواسم . فما أجمل الطبيعة في صنعاء وما أبدع الربيع المقيم في صنعاء . فهذا المناخ يتمناه كل انسان في معظم أقطار الدنيا .

لقد سررنا غاية السرور عندما وطئت أقدامنا أرض صنعاء بمناخها ومناخ أكثر بلاد اليمن ، وقدرنا أن هذا المناخ سيمهد لنا الأعمال التي سنضطلع بها ، علاوة على ما نحمل من الرغبة الصادقة في الخدمة لهذا القطر العربي الشقيق الحبيب . وقد صح ما توقعنا وانطبق ما بلغنا على ما شاهدنا وشعرنا به .

المياه في صنعاء :

ليس في اليمن أنهر بالمعنى المفهوم من مدلول النهر وإنما هنالك سيول شحيحة تسمى بلغة اليمن غيولا واحدها غيل (بفتح الغين وسكون الياء) وتروي هذه السيول البساتين ، وأشهر الغيول التي في صنعاء (غيل الآلاف) ويمر ببئر العزب ، و (الغيل الأسود) ويمر بمسجدين : مسجد المتوكل ، ومسجد حجر . ويروى بستان المتوكل منه الى (شعوب) شمالي صنعاء ، ويروي تلك

الأراضي الى (الجراف) ، ومعظم الغيول لا تصلح مياهها للشرب ، لأنها ملوثة ، لذا فان سكنة صنعاء يعتمدون في شربهم على مياه الآبار فان في معظم الدور آباراً خاصة بها اقتضتها أحوال الفوضى والفتن التي مرت على اليمن في العصور المختلفة الماضية والتي جعلت الناس يتأهبون للحصارات الطويلة الآماد ليتزودوا من هذه الآبار أثناءها . وليس في اليمن أي أثر لمشاريع ري الأراضي .

الزراعة والبساتين :

ويا لله من مناخ صنعاء ، ومناخ اليمن . ويا لله من تربة صنعاء ، وتربة اليمن التي فيها الخير والبركة والنماء والوفرة والجودة التي لم يكن لنا عهد بها لا في العراق ولا في غير العراق من الأقطار التي رأيناها أو درسنا عنها . فالزراعة هنالك ليست دورية في الأرض ، وليست موسمية ، وليست باتخاذ طرق تسميد الأرضين ووضع المواد لتحسين التربة وتنظيم شؤون الري وفنون الري . فالفلاح اليماني لا يعرف هذه كلها ، فأنت اذا ما وقفت على أرض صنعاء أو أية بقعة من بقاع اليمن ترى فلاحاً يلقي البذار على يمينك وآخر يحصد نفس المحصول من هذا البذر على يسارك ، والزراعة يعتمد في ريها على الأمطار والأمطار فقط ، ولولا المطر لأصبحت بلاد اليمن صحراء قاحلة وبقاعاً جرد تتمم الربع الخالي أو البحر السافي من الجزيرة العربية ، أما البساتين فيعتمد في ريها على بعض السيول أو الغيول كما رأيت .

ومن مواد الزراعة في الحقول البر أي القمح والبلسن [1] والشعير والذرة بنوعيها الصفراء والبيضاء والبن ، هذا في الجبال والسهول الشمالية .

---

(١) البلسن — بضم الأول والثالث هو العدس أو حب يشبهه .

أما الوديان الجنوبية فتنتج الفواكه الكثيرة التي تنتجها المنطقة الحارة كالموز والعمبة وغيرها وهي لوفرتها تباع بأبخس الأثمان . والبقاع الجبلية في اليمن تنتج كذلك الفواكه كالعنب والرمان والليمون الحلو والحامض والبلس [١] والخوخ والمشمش واليوسف افندي والجوز واللوز والكمثرى وألذها كلها العنب الذي له أربعون نوعاً [٢] وأكثر بلاد اليمن اشتهرت بأعنابها المنوعة ويلي العنب في الجودة واللذة والوفرة الليمون الذي لا ينقطع طوال أيام السنة . أما البقول والخضر في اليمن فانها دائمية لا تنقطع .

ارض [٣] تخيرها سام وأوطنها وآس [٤] غمدان فيها بعد ما احتفرا
أم العيون فلا عين تقدمها ولا على حجر من قبله حجرا
لا القيظ يكمل فيها فصل ساعته ولا الشتاء يمسيها إذا قصرا

المجاعة في اليمن :

تهب على بلاد اليمن موجات من المجاعة في فترات متفاوتة في التأريخ يحدث البعض منها بنتيجة عوامل طبيعية كانقطاع الامطار أو حدوث موجة

---

(١) البلس — بفتح الأول والثاني في لغة اليمن هو التين .

(٢) من الطريف ان نثبت هنا اسماء انواع العنب وهي :— الأشهب واصابع زينب والاطراف أو اطراف العذارى والبياض وبيض الحمام والتبوكي والقرني والجرسي والجوزة والجوفي والخاتمي والحبشي والحسيني والحنان والحلواني والدريخ والدوالي والذبيبي والرومي والزيتون والزمدي والسكر والديبان والشامي والصندوع والعذاري والعرقي والعيون أو عيون البقر والقبر والقزاقز والقوارير والقهجي والكشمش والختم والملاحي والناهر والنشاني والنهر والنواسي والوادي والعاصمي .

(٣) أنشد هذه الأبيات ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف بن داود المشهور بالهمداني المتوفي في سجن صنعاء سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٥ م) في بعض مخاطباته لأهل العراق وقد كانوا قد وصفوا بغداد في مخاطبتهم له .

(٤) أس — آسس — (من باب التفعيل) وهو غير صواب .

من موجات الوباء كالتيفوئيد والجدري والطاعون او الكوليرا وغيرها وبفعل الحروب والغارات كتلك المجاعة التي حدثت من جراء الحصار الذي ضربه جلالة الامام على الجيوش العثمانية المحاصرة في صنعاء سنة ١٣٢٠ هجرية وكالمجاعة التي حدثت في بعض اطراف اليمن في سنة ١٩٤٣ ميلادية الناتجة من انقطاع الامطار وتفشي مرض التيفوئيد الذي سبب هلاك عدد عظيم في الانفس والارواح ونزوح عدد من القبائل الى الحواضر وكان في كلتا المجاعتين الاخيرتين يقوم جلالة الامام بدور المنقذ الاعظم اذ سرعان مايوعز لعماله بفتح مخازن الحبوب المدخرة في بيت المال وتوزيعها على السكان .

فلو قدر لليمن ان تتطور ـ وهي ستتطور فعلا ـ فلابد انها ستتغلب على عاملي القحط والمرض بالرجوع الى وسائط الري وخزن المياه بأعادة تشييد السدود التي برع بها اليمانيون منذ أقدم الازمنة وخزن مياه الامطار فيها بطريقة حديثة . والتغلب على عامل الوباء بالاكثار من البعثات العلمية الى مدارس الطب في الدول العربية ، ريثما يتاح لصنعاء أن تحتضن عدداً من الكليات العلمية والفنية والمدارس العصرية كشقيقاتها القاهرة وبغدادوالشام .

وفي نظري ان التغلب على هذين العاملين من السهولة في عصرنا هذا بدرجة لاينقصها الا المال والاخلاص . فالمال من فضل الله متيسر والاخلاص موجود والمهندسون العرب ذوو الدرجات العلمية العالمية منبثون في العالم العربي بكثرة والشركات العربية كثيرة . وبامكان حكومة جلالة الامام ان تنجز السدود في بحر خمس سنوات وتتغلب على الامراض في خلال عشرين سنة .

أما الخطط المقررة للتغلب على هذين العاملين الخطيرين في حياة اليمن ورفاهها فبامكان اليمن ـ لو قررت ـ أن تعلن عنها في صحف العالم العربي وستتقدم الشركات للمناقصة كما عملت الحكومة العراقية في تشييد سد الكوت ونخمة وجسور بغداد وغيرها من مشاريع الري العظيمة التي شهد البعض منها صاحب السمو سيف الاسلام عبدالله بن أمير المؤمنين في زيارته الرسمية لبغداد سنة ١٩٤٥ .

الحيوان :

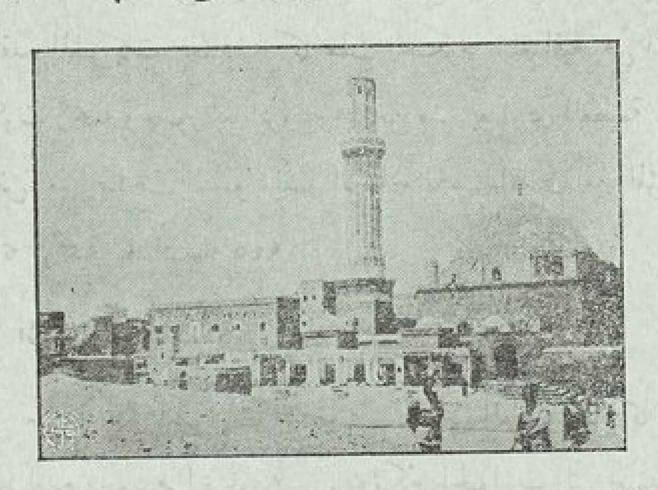
تعيش أكثر الحيوانات الأليفة في اليمن على العلف ، لذا كانت ضعيفة هزيلة لعدم وجود مراع خاصة بها ، وتكثر الحيوانات التي يعتمد الانسان فيها على معيشته وغذائه كالابل والبقر والاغنام والمعز . أما الطيور فنادر أن يشاهد ما يصلح منها للصيد ما عدا البلابل والعصافير التي تعيش في الحدائق الخاصة . أما السمك الذي يسمونه (حوت) فهومدار عيش سكان تهامة الرئيسي . وهنالك فصائل من القردة والطيور الجوارح تقطن المنطقة الوسطى الواقعة بين تهامة والبلاد الجبلية .

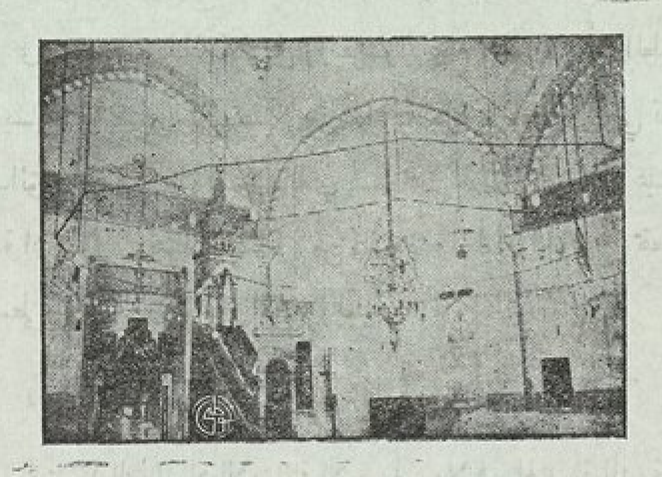
دور السكنى . الطابع اليماني الخاص :

لم تدخل اليمن المواد الانشائية الاجنبية ، ولا فن الهندسة المدنية المعروف في بلاد الغرب والشرق معاً ، إنما في اليمن هندسة عربية محلية ، هندسة لها طابع يماني خاص ، جميلة الشكل جذابة الرواء في الريازة اليمانية والشكل اليماني ممايتفق والطبيعة اليمانية والحياة اليمانية في مختلف مرافقها المحلية الخاصة .

أكثر الدور في مدينة صنعاء ومعظم مدن اليمن تجدها مشيدة من عدة

طوابق ، وندر جداً أن تجد احداها مؤلفة من طابقين اثنين ويسمون الغرفة المخصصة للاستقبال في الطابق الأسفل (مفرج) وفي الطابق الأعلى





يظهر في الصورتين جامع البكيلي في صنعاء من الخارج والداخل وفيه يظهر فن الريازة الجميل الذي لا يوجد له مثيل في البلاد الأخرى

(قلب اليمن)

(منظر) . والمواد الانشائية للبناء هي الصخور التي تقطع من الجبال فتنحت على أشكال خاصة طبقاً للفن اليماني الهندسي وحسب هندسة البنائين والنقارين

أو النحاتين اليمانيين من ذوي الاختصاص والخبرة . ثم الجص والاسمنت الابيض الخالص والنورة والخشب والحديد كلها مواد يمانية بحتة تستعمل في البناء منذ عصور سحيقة .

ترى لم نلجأ نحن الى استيراد مواد البناء من الخارج وبلادنا كبلاد اليمن تتوفر فيها كافة هذه المواد ؟؟ والجواب على هذا السؤال على لسان كل واحد فطين . وهل ينطق من في فيه ماء ؟.

الاجتماعات في الدور :

وغرفة المنظر [١] في الطابق الأعلى كما رأيت في اصطلاحها منفردة وجدرانها من البلور الملوّن وهي مستطيلة الشكل ينظر من نوافذها الى أكثر الجهات من برية وجبلية ، وغرفة المفرج في الطابق الاسفل كما رأيت غرفة كالمنظر لكن النافذة فيها كبيرة العرض وتكون بعرض جهات المكان بحيث يشرفون على الشذروان . ففي هاتين الغرفتين ، أي في المنظر والمفرج يجتمع الرجال كل يوم الساعة الواحدة بعد الظهر حتى غروب الشمس يمضغون كلهم القات ويدخنون المداعة [٢] . نظموا لون حياتهم روتينياً محلياً في ترتيب البناء ومقتضيات المنظر والمفرج لمضغ القات وتدخين المداعة . واليمانيون كلهم يتساوون في هذا اللون من الحياة سواء منهم الصنعاني

---

(١) يقول المرحوم الأب انستاس الكرملي — كان الاقدمون من فصحاء العراقيين يسمونها (المنظره) بهاء في الآخر واما قدماء المصريين فكانوا يسمونها (المشرفة) ونظن ان اصلها مشرفة من الاشراف لانها كانت تشرف على جميع انحاء المنزل الى بعد شاسع .

(٢) المداعة — بلغة اليمن المحلية هي عندنا الأركيلة أو النارجيلة .

والحديدي العبالي والفقيهي[١] . فالصنعاني مثلا يبكر في النهوض الى أداء فريضة صلاة الفجر في أقرب مسجد الى داره وبعد الفراغ من الصلاة يعود الى داره فيستسلم الى النوم فلا يستيقظ إلا في الساعة العاشرة صباحا وفي هذه الساعة يهرع الى حصانه أو بغله أو حماره وإن لم يملك أحد هذه الحيوانات فانه يسير راجلا إما متجهاً خارج أسوار المدينة متسلقاً قمة جبل نقم أو يقطع مسافة طويلة ترويضاً للجسم والنفس معاً ثم يقفل راجعاً الى سوق المدينة فيبتاع حوائجه البيتية اليومية ، ثم يعرج على سوق القات الذي يعج بالناس أكثر من سائر الاسواق فيقتني مربطاً من (القات) الذي تفوق أثمانه أضعاف ما تحتاج العائلة من الطعام والشراب ، ثم يعود الى داره فيبدأ يأكل ما تيسر من الفاكهة ثم يستحم في ماء حار في الحمام وبعد أن يخرج من الحمام يتناول طعام الغداء ، ومن ثم يحمل عدة تخزين القات وهي مؤلفة من المداعة ومربط القات وكهدة [٢] ماء مبرد وهو يدثر بالمناشف اتقاء البرد فيسير الى مجلس القات الذي ضرب له الموعد المعين من قبل كل يوم كما أسلفنا .

مجلس القات :

تغلق معظم الحوانيت وتقف تقريباً حركة الاسواق في المدينة ويهرع أكثر الناس الى المناظر أو المفرجات ، الى مجالس القات حيث البهجة والخيال والمسرات .

ونحن تنطبق علينا قاعدة العادات قاهرات بحذافيرها ودون ما استثناء .

---

(١) النسبة الى بيت الفقيه وقد مر .

(٢) الكهدة — بضم الكاف اناء من خزف يحفظ فيه الماء ويسميه المصريون (القلة) والعوام عندنا في العراق (التنكة) بكاف فارسية وتاء مضمومة في الأول .

فأحدنا إذا ما اعتاد ارتياد مقهى أو سينما أو ناد قد يشذ يوما ، ويستطيع أياماً التخلف . أما الدوام في صنعاء وفي سائر مدن اليمن فلا شذوذ ولا تخلف البتة عن مجالس القات . وفي الوقت المعين من كل يوم وهذه سوق صنعاء وشوارع صنعاء المقفرة شاهدة ، وهذه مجالس القات في المناظر والمفارج ناطقة ، ها هم أولاء ترامم في المنظره أو المفرج جالسين على الفرش أو متكئين على الارائك وقد تقاربوا في مجلسهم كأنهم قد تراجعوا متلاصقين دون فراغ بين واحد وواحد وهم يقبلون هذا خشية البرد ، وقد أحكم رب البيت المضيف إغلاق النوافذ والأبواب حرصاً على ضيوفه من البرد على ما يزعمون . ولدى اكتمال عقد المدعوين يخرج كل منهم مربط قاته والتتن لنارجيلته فيسلم الأخيرين لخادم الدار ليعدها له على الطريقة المعروفة وترتب عندهم النارجيلات ترتيباً لطيفاً فتوضع كل نارجيلة في معشر (صينية) من النحاس الأصفر ، بينما وضع كل من يضمه المجلس مربط قاته أمامه وأخذ ينتقي الوريقات الصفر من كل غصن من أغصانه — مربط القات — ويضعه في فمه فيلوكه الفينة بعد الفينة بحركة رحوية وبعد مضي بضع دقائق على تناول الوجبة الأولى من القات يملأ (المخزّن) كوباً صغيراً من الماء المبرّد الموضوع أمامه ويرتشفه بطيئاً بصوت كأنه يتلمظ ، فهو ـ الماء ـ يجب أن يمر بأوراق القات المخزونة في الفم ، وبعد امتصاص ماء القات يرمي بنفاية القات من فمه في الكانون[1] النحاسي أمامه، ويستعيض عنه بأوراق جديدة، وهكذا يعيد التمثيل . والاحاديث التي تدور في هذا المجلس وسائر مجالس القات لا تتعدى أحاديث السياسة والادب والشعر .

---

(١) الكانون — هو الموقد أو ما يسميه العامة في العراق (المنقل) .

ويبقى الجلاس في هذا الاجتماع دون ما انقطاع يمضغون القات ويدخنون النارجيلات ويملأون المناظر والمفرجات غازاً ودخاناً خانقين حتى يسمعوا المؤذن ينادي على صلاة المغرب وهنا يهبون من مجالس القات الى دور عبادة رب الأرضين والسموات ليؤدوا فريضة الصلاة وهم محمرو الوجوه هادئون . والغريب أن القات منبه لمدمنه فتجعله يقضي الليل ساهراً يقظاً حتى الهزيع الأخير من الليل ، ويشترك في مضغ القات جميع سكان صنعاء لا فرق في ذلك بين كبيرهم وصغيرهم وفقيرهم وغنيهم .

آراء الثقات في القات :

يقول فورسكالي العالم النباتي الثقة ويؤيده جمهرة من الثقات أن القات اسمه العلمي (Catha Edalus) — كاثا ايدلس — أما العالم فهل (Vahal) فقد سماه Cilastlus أما اسمه باللغة الانكليزية فهو (Kat) كما هو مثبت في معجم وبستر ويسميه بعض العرب (شاي العرب) . قال الشيخ عبدالقادر بن محمد الانصاري الجزري الحنبلي [١] :— « وأما القات فما أظنه يغير العقل ولا يصد عن الطاعة إنما يحصل به نشاط ورويحة وطيب خاطر » .

ويغرس القات كما يغرس البن في الأودية المرتفعة التي لا تتعرض لحرارة الشمس الحادة إلا بضع ساعات في اليوم .

وتوجد منه أنواع مختلفة تختلف أسماؤها باختلاف الاماكن التي ترد منه وتغرس فيه ، فهنالك (القات الوادي والقات التعزي والبرعي واليريمي) « نسبة الى قرى الوادي وتعز وبرع وريمه » ويشبه القات بعض الشبه الحور

---

(١) بلوغ المرام حاشية ص ١٤١ راجع هذه الحاشية فقد اعتمدنا عليها في الموضوع .

الصغير عندنا ويبلغ طول شجرته أحياناً خمسة أمتار ، ويمتاز بعض الانواع عن بعضها بالحلاوة ، والطول والقات أثمن وأغلى نبات في اليمن .

قصيدتان في القات في هجوه ومدحه :

وقد أورد فيلسوف الفريكة والرحالة العربي اللبناني أمين الريحاني قصيدة في كتابه « ملوك العرب » في القات نظمها رفيق سفره قسطنطين بناء على طلب يماني اقترح عليه ذلك وهي :ـــ

القات فيــه عجاب كما يقول الصحاب
درت به الشـاة لما أن طـاردتها الذئاب
ذاقتــه فاســتعذبته وسـال منها اللعاب

الى أن قص القصة التي يروونها في اليمن : أضاع الراعي شاة من غنمه فراح يبحث عنها فرآها نائمة في فيء صخرة ، وورق القات في فمها فجربه مثلها فاستعذبه :ـــ

و أمسى يجمع منه حتى تملى الجراب
مشى يحـدث عنه وفي الحديث صواب
فصــدقوه وذاقو ه مثله واستطابوا

وبعد أن يصف كيفية استعماله في اليمن ويعدد الفضائل التي يروونها فيه يضع القيثارة جانباً ويرفع المطرقة فوق السندان :

ما نفعــه أنبئوني هل عند شخص جواب؟
جربته واختباري يجدي به الاسهاب
تنتاب جسم الفتى قشـــــعريرة والتهاب
وفيــه يفعل ما لا يقوى عليه الشراب

والصدر فيه من الوخـــز والعذاب حراب
والنسل يضعف منه ما في كلامي ارتياب
لا تمع في القات لكن فيه الشقا والعذاب
وتزهق النفس منه والقلب والأعصاب
والجفن يذبل حتى يغشى العيون سحاب
وسوء هضم وقبض منه يغيب الصواب
والرأس يثقل وطنًا وبالدوار يصـــاب
ويعتري بعد هـذا المفـــاصل والاضـــطراب

ثم التاريخ ولابد منه في قصائد قسطنطين لأنه أشد من عرف من الشعراء شغفاً به وأسرع في نظمه وقد اقترن المعنى بالصناعة في تاريخ القصيدة اقتراناً طبيعياً وفيه الضربة القاضية :

لم يبق أرخت ريباً القات للقتل باب

في ٣ رمضان سنة ١٣٤٠

وقد ذكر أمين الريحاني كيف رفع زميله قسطنطين القصيدة الى حضرة صاحب الجلالة الملك الامام في كلام طويل خلاصته انه الريحاني يطلب من الامام : إذا كان أحد من شعراء صنعاء يبغي المعارضة والدفاع فليسرع قبل أن يرحل الشاعر . وقد جاءهما أحد الشعراء اليمانيين وقصيدته في خنجره يشتهي دم الشاعر الذي تجاسر أن يذم القات ، ولكن الحارس أوقفه ولم يأذن له بالدخول وبعد بضعة أيام وردهما من الحجيم المنصور من الامام نفسه كتاب ففضاه فاذا فيه قصيدة من نظم الامام وبخطه الشريف وفي القصيدة دفاع عن القات من الغزل والدمائة والتواضع — تلك روح الشاعر

الحقيقي — ما يزيد الناظم رفعة ومجداً ويزيد المعجبين به حباً وإعجاباً . وما أجمل العذر والتواضع في الكلمة التي ذيلت القصيدة بها على حد تعبير الريحاني .

الزعيم قسطنطين :

صدر ما يشبه الجواب ومهما رأيتم قصوراً فلا عتاب مع كثرة الاشغال وتبلبل البال .

قال في مطلع القصيدة نفعنا الله بمزاياه الحميدة ، ان للقات مزايا لا يحصيها الاسهاب فيذكر عشراً منها فقط :

للعيون جلاء   للضعف منه ذهاب
وللثغور صباغ   زمردي يذاب
أحسن بثغر مليح   له المذاب رضاب
يا ما أحيلاه ظلماً   تشفى به الاحباب
وللنفوس مريح   وللنشاط انجذاب

* * *

ويشحذ الفكر حتى   يخاف منه التهاب
ويطرد النوم عن من   له الجليس كتاب

وفي البيت هذا يظهر حضرة الاديب العالم الامام فيقربه من كل من آثر الكتاب جليساً . الى أن قال :—

أما الذي قال قسطنطين فهو سراب
يكون عرضة خسر   ويعتريه اكتئاب
أليس من جاوز الحد   أكله والشراب

والأكل والشرب مالا   به الكرام تعاب
وإنما العيب إسراف   منه يبدو العجاب
هـذا الملفق ياقسطنطين   منا جواب
يهدى اليك عليه   من الحياء نقاب
لأنه ليس كفؤاً   للدر وهو تراب
فاستر ملفق يحيي   فالستر فيه ثواب

ويعلق الريحاني على الابيات الاخيرة بقوله : إن فيها من الدماثة والخفة والتواضع مايستحب في أصغر الشعراء وأكبرهم ، فكيف به أحد كبار الحكماء والامراء ؟؟ ا . هـ .

ويظهر أن جلالة الامام كان يتعاطى القات فمنعه طبيبه الخاص منه .

الفصل الخامس

جلالة الامام يحيى حميد الدين

سليل الاكرمين ، وقطب من أقطاب البيت العلوي ، في القرن العشرين ، ذلك البيت الهاشمي المتعالي الشامخ ، الذي آمن الناس بعد خوف ، وأرشدهم بعد ضلال ، وأسعدهم بعد شقاء . وقد عرف الامام — أورف الله ظله — كابراً عن كابر بطيب النجار وشرف النجار وسمو الاحدوثة ونبل التضحية ، والثبات على المبدأ والعزم الصارم ، صحيح النسب صادق الحسب .

إنه — أيد الله سلطانه — يحيى حميد الدين المتوكل على الله بن الامام المنصور بالله ، محمد بن يحيي حميد الدين بن اسماعيل بن محمد بدر الاسلام بن الحسين ، بن المنصور بالله ، القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي الرشيد ، بن أحمد بن الامير حسين الاصغر ، بن علي بن يحيي بن محمد بن يوسف بن الامام الداعي الى الله القاسم بن الامام يوسف بن الامام المنصور بالله بن الامام الناصر احمد بن الامام الهادي الى الحق بن الحسين بن القاسم ، بن ابراهيم بن اسماعيل ، بن الحسن بن حسن بن الامام أمير المؤمنين وخليفة المسلمين علي بن أبي طالب عليه السلام بن زوجته سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء .

نسب عقدن أصوله بذوائب العليا فروعه

الموكب الامامى فى العيد



يظهر في الصورة صاحب الجلالة امير المؤمنين جالساً في العربة الملكية تحت المظلة اليمنى يحف به امراء مملكته ووزراء دولته ، ويرى امير الجيش السيد علي بن ابراهيم ممتطياً صهوة جواده كما يظهر الجنود وهم ينشدون الزامل امام الموكب الامامي الذي يخترق ميدان شرارة في بئر العزب في طريقهم الى اداء فريضة صلاة العيد . (النقل ممنوع)

ولد الامام يحيي في ربيع الاول ١٢٨٥ هجرية بمدينة صنعاء وتلقى دروسه فيها عن والده المنصور وعن القضاة الافاضل ، محمد بن عبدالملك ، ومحمد بن محمد العرشي وعلي بن علي اليماني وفي سنة ١٣٠٧ هجرية هاجر مع والده المنصور من صنعاء الى جبل الاهنوم ، وهناك أكمل دروسه على يد القاضي عبدالله بن احمد المجاهد الذماري ، وكانت جميع أيام حداثته سلسلة

احداث بين اليمانيين والاتراك وكان الولاة الاتراك ينهبون أموال الناس ويستحلون ما حرم الله لسد شهواتهم واشباع أطماعهم ، وكان الباب العالي لا يعرف من أحوالي اليمن الداخلية إلا ما يبعثه هؤلاء الولاة من الأخبار السيئة الممسوخة بحق اليمانيين يوغرون بها صدره عليهم ويصفونهم له بأنهم عصاة ولا يطيعون أوامر السلطان فيبعث السلطان بجيوشه لاخضاع اليمن اعتماداً على أخبار الولاة الكاذبة ، فلذلك كانت اليمن في حالة حرب دائمة مع جيوش السلطان وكان الضغط شديداً على الموظفين اليمانيين المستخدمين في الادارة العثمانية في اليمن والصراع شديداً مستمراً بين أئمة اليمن والعثمانيين ، والغرامات الحربية التي يفرضها الولاة بعد كل حركة حربية ، أثقلت كاهل البلاد وأفقرت الناس .

أما سادات اليمن وعلماؤها الزيود وأئمتها فكان نصيبهم الخسر والحرمان من الاختلاط بالناس ، ولم ينج من سجن الاتراك حتى الامام المنصور والد جلالة الامام يحيي المعظم وغيره من العلماء ، ولقد شهد الامام يحيي كل تلك المصائب بنفسه ، وعندما توفي والده سنة ١٣٢٢ هجرية في (القفلة) دعا الناس وأخبرهم بذلك فبايعوه بالامامة بالاجماع ، وبدأ عمله الشاق بقتاله مع الاتراك علاوة على عبء الامامة ، فحاصر جميع مراكز اليمن الشمالية الجبلية ما عدا البلاد الساحلية (الحديدة وتعز) وغيرهما ، وأصيبت البلاد بمجاعة لا مثيل لها وهلك وقتل آلاف من الناس ، ولقد علمت من اليمانيين الأحياء الذين شهدوا هذه الحروب أن الامام كان قد ادخر كميات عظيمة من مواد الاعاشة وأخذ العدة ليوم الحصار وفكر بهذه النكبة القومية ، وعلى ذلك فما كادت تعلن المجاعة حتى وزع ما ادخره من الطعام على جنده ، ودخل

الامام صنعاء منتصراً سنة ١٣٢٣ هجرية على الاتراك انتصاراً حاسماً بعد أن طال الحصار عليها والذي كاد فيه الناس يموتون جوعاً .

وأخبرني الثقات بأن البعض من الجنود المحاصرين والأهلين أكلوا لحم البشر والقطط والطيور المحرم أكلها وجميع الحيوانات ، ولقد دامت هـذه الحرب بضع سنين حتى عين أحمد فيضي باشا والياً على اليمن ، وحاول هذا منذ وصوله استرداد صنعاء من الامام حرباً ، وفعلا تم له ذلك بعد معارك طاحنة ، إلا أن المعارك في بقية المناطق الجبلية المأهولة بالزيود لم تخلد الى السكينة إذ كانت تلك المملكة (مقبرة الاتراك) كما سماها العثمانيون حينذاك .

ولقد حاولت الحكومة العثمانية أن تعقد صلحاً مع الامام لوقف القتال فأرسلت اليه تطلب شروطه للصلح فأرسل الامام اليها شروط الصلح مع القاضي عبدالله العمري (الذي يشغل الآن منصب رئيس الوزراء) في ١٣ صفر ١٣٢٤ هجرية . وتتلخص شروط الامام لعقد الصـلح مع الاتراك بتطبيق أحكام الشريعة في كافة أرجاء اليمن وأن يتولى الامام الرئاسة الدينية لليمن فيصبح من حقه تعيين رجال الدين وحكام الشرع وعزلهم وأن يهيمن الامام على الأوقاف وتعفى بعض القبائل الفقيرة من التكاليف الحربية ، وأن يرجع الى بعض القواعد التي وضعها الأئمة السابقون فيما يخص الرسوم المفروضة على المزروعات وأن لا يتولى أحد من غير المسلمين شؤون المسلمين وأن يعلن العفوالعام في كافة أرجاء البلاد ، على أن تتولى الدولة العثمانية السياسة الخارجية والدفاع الخارجي . إلا أن هذه الشروط لم تلق القبول الحسن من لدن الحكام العثمانيين في اليمن ، فلذلك عادت الحرب ثانية مع الامام

وكانت حالات الفوضى التي انتابت اليمن إبان حكم الاتراك لها ، حالات هالت الناس واستمرت مدة ٤٠٠ سنة حتى عهد الامام الحالي والمملكة من أقصاها الى أدناها تنتابها الثورات وتتناوشها أيدي جنود السلطان ، يعيثون بالأرض فساداً حتى تركوا اليمن (مقبرة) على تعبيرهم السائر وهذه الحالة أدت الى الفوضى والارتباك والتأخر ، وعندما قامت حرب طرابلس سنة ١٩١٢ عقد الامام مع الاتراك اتفاقية على ضوء شروطه المتقدمة البحث وبقي معمولا بها حتى انسحاب الترك نهائياً من اليمن بعد الهدنة التي أعقبت الحرب العالمية الاولى ١٩١٨ ، وقد تمكن الامام أن يجمع شتات اليمن المبعثرة تحت لوائه ويسد أبواب مملكته ويحكمها على طريقته ويقضي على نفوذ كل شيخ ومتزعم فيها وأصبح هو السيد الأول والأخير في اليمن .

هكذا تحمل جلالة الامام الملك يحيي حميدالدين المعظم أعباء الملك وخاض المعامع . وشعبه ملتف حوله ، خاضع لأوامره ، طائع لاحكامه المستمدة من كتاب الله العزيز والهدى النبوي الشريف ، وهو لا يشذ قيد أنملة عنها ، والسبيل في حكمه واضح الاسلوب لأحب المعالم ، يسيطر على المملكة سيطرة الاب الحنون ، ويديرها بحكمته وعزمه وحزمه والعدل منشور لواؤه ، والامن رافع مناره ، والاستقرار متين طنبه ، رفيع عماده .

وجلالة الامام اليوم — نفعنا الله بدعائه — في العام الثامن والسبعين من عمره السعيد تقرأ على وجهه الشريف كل آيات النبل والشرف وكرم المعدن والخلق الرضي ، وتستقرىء منه تأريخ أمته بكامله وما تحمل في سبيلها من أرزاء وإحن في أصعب الادوار وأعصب الاحداث . ولولا قوة إيمانه

ورحابة صدره ومتانة أعصابه ودهاؤه النادر والتاف شعبه حوله وتفانيه في خدمته لما بلغت اليمن حدها الكامل من الاستقلال والحرية .

تلك هي رعاية الله لبيت رسول الله صلى عليه وسلم ، وسلائل هذا البيت الكريم هداة البشر في كل زمان ومكان وآية الله في خلقه ، فهم يأتون بما يعجز عنه غيرهم .

وجلالة الامام يحيى المعظم لا يتساهل مع الاجنبي قط ومن جوامع كلمه « أفضل أن آكل أنا وشعبي القصب على أن أرى أجنبياً واحداً في هذه البلاد » ولا حاجة الى التبسط بهذه الحكمة السامية فهي تنطق على مبلغ حرصه الشديد على بقاء مملكته مستقلة استقلالا تاماً ناجزاً ، ولا تدع حكومته قدماً أجنبية تطأ أرض الوطن لغرض التجارة أو التبشير أو السياحة في الظاهر ، وتبطن السياسة التي من أهدافها أن يقوم هؤلاء الأجانب ببذل الاصفر الرنان لبعض ضعفاء النفوس ببث الفتن والاضطرابات في المملكة ، ثم استغلال ممالكهم هذه الفتن والاضطرابات لعقد الاتفاقيات بمختلف الأسماء لاستغلال بلادهم واخضاعها لحكمهم كما فعلوا بكثير من أقطار العالم عامة والبلاد العربية والإسلامية خاصة .

الفصل السادس

أنجال جلالة الامام

لجلالة الامام يحيى ثلاثة عشر ولداً أحياء يرزقون عدا الاناث وهم : —

١ ـ سيف الاسلام أحمد أمير مقاطعة تعز وولي العهد .

٢ ـ سيف الاسلام الحسن أمير مقاطعة إب .

٣ ـ سيف الاسلام الحسين عالم مجتهد ، وكان مندوب الامام في مؤتمر فلسطين بلندن سنة ١٩٣٩ .

٤ ـ سيف الاسلام علي وزير الاقتصاد والمواصلات وهو شاعر وأديب معروف .

٥ ـ سيف الاسلام عبدالله وزير المعارف ورئيس المجلس العسكري الأعلى وأمير الحديدة ومندوب جلالة الامام في مؤتمرات الجامعة العربية ، وهو الذي مثل المملكة اليمانية في قبولها عضوة في هيئة الأمم المتحدة ثم أصبح رئيس وفد بلاده في هذه الهيئة الأممية في شهر آب ١٩٤٧ .

٦ ـ سيف الاسلام المحسن شقيق سيف الاسلام عبدالله .

٧ ـ سيف الاسلام المطهر .

٨ ـ سيف الاسلام القاسم وهو وزير الصحة .

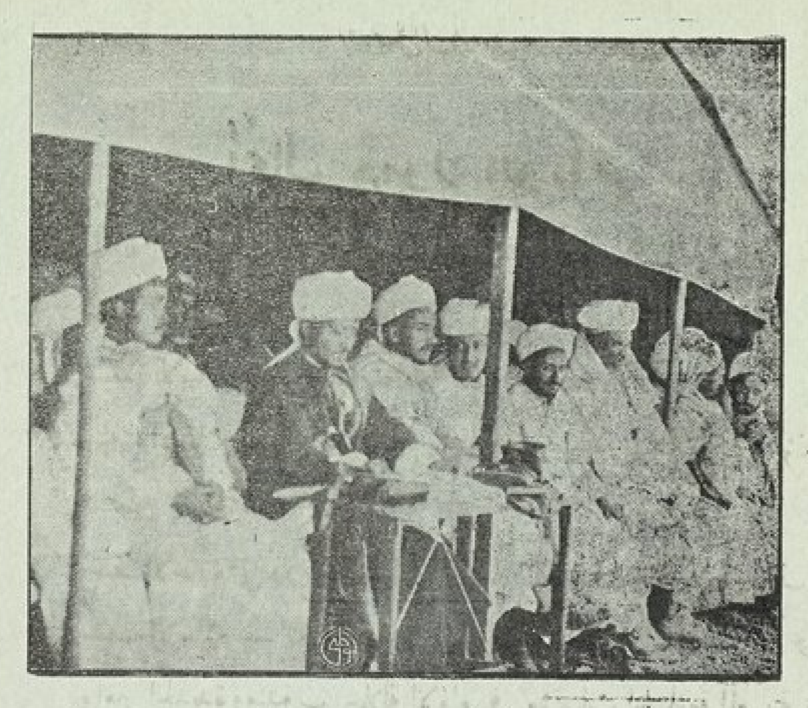
٩ ـ سيف الاسلام اسماعيل .

١٠ ـ سيف الاسلام العباس .

١١ ـ سيف الاسلام ابراهيم .

١٢ ـ سيف الاسلام يحيى .

١٣ ـ سيف الاسلام عبدالرحمن وهو أصغر أنجال الامام .



يظهر في الصورة من اليسار أصحاب السمو سيف الاسلام علي وسيف الاسلام الحسين وسيف الاسلام ابراهيم وسيف الاسلام المطهر والسيد علي المؤيد مدير المعارف العام وسعادة عامل صنعاء السيد حسين عبدالقادر عند مشاهدتهم استعراضاً عسكرياً في صنعاء .

ولاية العهد في اليمن :

ليس في اليمن ولاية للعهد إذ لا يزال الملك فيها حديث عهد، وهي تسير وفقاً لسنن السلف الصالح ، وينتخب الامام الزيدي لا لأنه ابن إمام بل لأنه كفؤ للامامة ، وعند وفاة الامام ينعقد مجلس العلماء وينتخب من تتوفر فيه الشروط واليك أهمها :—

١ — سليم البنية (سالم من الأمراض والعاهات) .

٢ — كريم وشجاع .

٣ — عالم مجتهد يحفظ ٤٠٠٠ حديث من أحاديث الرسول (ص) .

٤ — قاتل في سبيل الاسلام واهله وانتصر .

٥ — حافظ للقرآن الكريم وتفاسيره .

٦ — صحيح النسب من الجدين . (أي ابن سيد هاشمي علوي ومن أم شريفة علوية) وهذا الشرط مهم في الامامة هناك .

٧ — زيدي المذهب (وهذا مهم كذلك) .

غير أنه في سنة ١٩٢٦ حضر الى صنعاء العالم الديني الشافعي الحضرمي السيد محمد بن عقيل من علماء جاوة المشهورين واستطاع أن يقنع جلالة الامام بوجوب اناطة ولاية العهد بأرشد الأبناء كما هو متبع في الدول الملكية الوراثية خشية انتقال الامامة الى بيوت أخرى من بيوت اليمن الطامحة ، وفعلا جمع جلالة الامام مجلس العلماء وقرر ولاية العهد لسيف الاسلام أحمد باعتباره أكبر الأبناء الأحياء سناً ولأنه قاتل بالذات قبيلة الزرانيق التي كانت تهدد أمن تهامة ، وخضد شوكتها وأصبح من ذلك التأريخ يلقب بولي العهد .

رئيس الوزراء :

يشغل القاضي عبدالله العمري منصب الكاتب الأول لديوان جلالة الامام وكاتم السر العام ورئيس الوزارة ومستشار الامام الخاص ووزير الحربية والمعتمد العام لجلالته ورفيق صباه في ايام جهاده ضد العثمانيين . فلا يتحرك رجل في صنعاء ولا يسجن انسان ولا يترفع موظف ولا يستقبل ممثل ولا يودع احد كائناً من كان إلا برغبة من القاضي عبد الله العمري .

والقاضي عبدالله في العقد السادس من عمره متوسط القامة ، ممتلىء الجسم ، كث اللحية ، جم النشاط ، قوي البنية ، حنطي اللون ، له قوة الشباب وصبر الشيوخ واناتهم ، كثير التفكير لا يتكلم ولا يأخذ ولا يعطي إلا ما اقتضاه الصالح العام . فلو توفر للقاضي عبدالله العمري ثقافة عصرية لعد من كبار ساسة البلاد العربية . وهو نجل القاضي حسين العمري الذي توفاه الله عن عمر يناهز ١٢٥ سنة في سنة ١٩٤٢ ميلادية ، وكان والده أكبر أئمة الفقه الزيدي ومن أساتذة الامام يحيى في أصول الدين . والقاضي عبدالله العمري غير ميال الى التجدد الأوربي في بلاده وله فضل كبير في انكماش اليمن وابعادها عن العالم الاوربي محافظة على طابع البلاد الديني والقومي .

القاضي محمد راغب بك وزير الخارجية :

والقاضي محمد راغب بك يشغل منصب الكاتب الثاني لجلالة الامام ووزير الخارجية وصهر سيف الاسلام القاسم (أي انه زوّج ابنته من سيف الاسلام القاسم) وهو تركي النشأة والتربية والمولد ، تربى في احضان بلاط السلطان عبدالحميد الثاني وألف طريقته في الحكم وهو الوحيد الذي يتقن اللغة الفرنسية والروسية اتقاناً تاماً وأشغل وظائف خطيرة في الدولة العثمانية ، كممثل لبلاط السلطان في بطرسبورغ وفي بخارست ، وكان متصرفاً في لواء العمارة في العراق ، ومتصرفاً للحديدة ، وفي زمن الحركة الكمالية اشتغل مترجماً للمغفور له اتاتورك ، غير ان ميوله السياسية وعداءه للحركة التجددية التي قامت في تركيا الكمالية اضطرته الى الهروب من انقرة

والالتحاق بجلالة الامام واستطاع التقرب من الامام بأدبه الجم ، وعلمه الغزير في الشؤون السياسية الدولية التي كانت سائدة في الامبراطورية العثمانية القديمة ، وهو ما يزال يتكلم التركية في مجلسه وله ولد واحد أرسله الى المدارس الايطالية وعند نشوب الحرب أرسل منها الى تركيا .

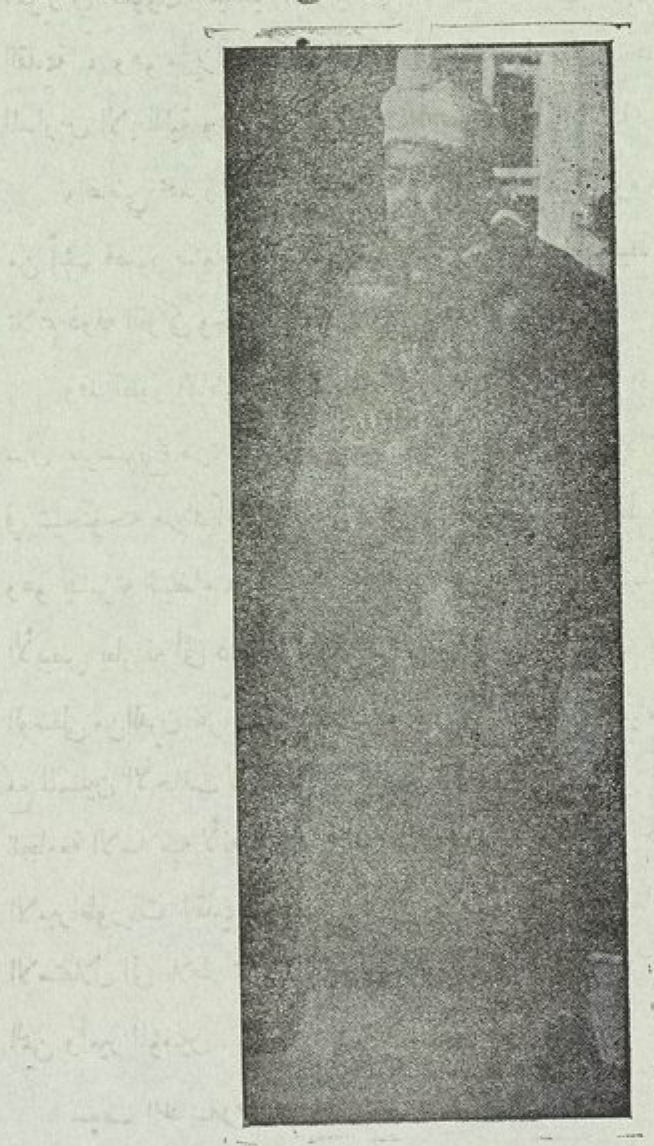
والقاضي محمد راغب بك يربو على العقد السابع من عمره، يسكن قصراً من أفخم قصور صنعاء ، يتوسط ميدان شرارة الفسيح تحيط به حديقة غناء تلائم ذوقه التركي وخياله الخصيب ومزاجه .

وقد تطور القاضي راغب بك تطوراً غريباً، فأنت تراه وهو في بلاط سان بطرسبورغ مرتدياً ملابس التشريفات والقبعة العالية إذ تراه الآن وهو في شيختوخته مرتدياً العمامة البيضاء والجبة الفضفاضة على الطريقة اليمانيــة ، وهو يبشرته البيضاء ، وعينيه الزرقاوين ، ولحيته الشقراء ممتطياً صهوة جواده الأبيض بطريقه الى دار الشكر لمواجهة مولاه الامام أشبه بفرسان القرون الوسطى من الذين نقرأ عنهم بالأقاصيص، وهو في أحاديثه السياسية ومفاوضاته مع الممثلين الأجانب لا يعطي ولا يأخذ شيئاً ، وهو من أشد المتحمسين للجامعة الاسلاميه لأنه عاش كما أسلفنا في أكناف بلاط عبدالحميد ، وفي ظل الامبراطوريات القديمة وتمكن أن يوجه بلاط جلالة الامام يحيي في عهد الاستقلال الى بلاط مماثل لبلاط عبدالحميد ، وهو الذي ارتأى فكرة ملك اليمن وأمير المؤمنين .

سيف الاسلام عبدالله :

إنه يمتاز بعقلية جبارة ، لها قابلية عظيمة الى التطور والتجدد ، التطور الذي لا يمس الغاية ، ولا ينافي التقاليد الاسلامية والعربية ، وهو المرن

المفكر الذي يركن اليه ويعتمد على رأيه ، كما أنه خطيب مصقع تهتز له أركان المنابر في بلاد اليمن ، وهو شخص ذو اطلاع واسع وعمق في التفكير ، وهو



سيف الاسلام عبد الله

معتز بوالده العظيم وعائلته النبيلة وشرفها ، وقد زاده النأي عن اليمن منذ

سنتين وسياحته الى كل من مصر وسوريا والعراق وانكلترا وأميركا وفرنسا خبرة وتجارب عظيمة ، وجددت أفكاره ومعارفه ، بفضل إشتراكه في المؤتمرات الدولية في انكلترا ، وفي الجامعة العربيـة وهيئة الأمم المتحدة في أمريكا .

أقول زاده كل ذلك خبرة للوقوف على روح العصر وعلى ما توصلت اليه بلاد كانت شبيهة ببلاده (عندما كانت جزءاً من الدولة العثمانية) من التقدم والرقي في جميع فروع المعرفة والحياة السياسية ، فلو واتته الظروف لاستطاع أن يخدم اليمن بتجربته وعقله الجديد ، وأن يخطو بها خطوات الى طرق النور والمعرفة والتجدد لأنه الشاب الحساس المتوثب الذي يجمع بين شرف المحتد ونبالة القصد وحسن التجربة ، وهو النجل المحبوب من قبل جلالة الامام والقاضي عبدالله العمري ومن مفكري البلاد .

المعارضون في اليمن :

لا توجد في اليمن معارضة تستطيع أن تظهر رأيها كما هو المألوف في العراق ومصر والممالك الأخرى ، فلا جرائد ولا أحزاب ولاهيئات ولا نواد ولا تشكيلات سياسية ولا جمعيات ثقافية ، كما أن حكم جلالة الامام امتاز عن غيره باماتة الزعامة القبلية في اليمن ، والقضاء على العنجهيات الجاهلية وقضى على روح التنافس الخبيثة التي كانت تهيمن على القبائل .

فلا معارضة في اليمن لا ظاهرية ولا سرية إلا كلمات طائشة ينفثها هنا وهناك رجال لا قيمة لهم في المجتمع اليماني الغامض من الذين هربوا الى

خارج اليمن ، وهؤلاء لا أهمية لهم لأنهم انساقوا بحكم الدعايات الأجنبية ، وتهوروا بدون أن يسندهم أحد من القبائل أو من المتنفذين ، ولافلاسهم ماديًا ومعنويًا ، وقد سيقوا بدوافع خارجية من قبل الدول الأخرى لمطامعها في اليمن لما احتوته أرضها من كنوز معدنية لم تكتشف ، واعتدال في الاقليم وتربة خصبة وموقع سوقي ممتاز يغري كل دولة تريد السيطرة على البحار الجنوبية بالتدخل في شؤون اليمن الداخلية والله أعلم .

الفصل السابع

كثافة السكان · الاستقرار في اليمن · طريقة الحكم في بلاد اليمن · السيطرة المركزية في الحكم · أشهر الاقضية والنواحي · نظام الطبقات في بلاد اليمن · الطبقة العليا · السادة · الفقهاء · الملاكون · الزراع وبائعو الخضروات · الخبازون والجزارون · اليهود · ميزات سكان المنطقة الجبلية · الامية نادرة في بلاد اليمن · الامن في اليمن · الرهائن في اليمن · السجون في اليمن · سجن النساء ·

كثافة السكان [١]:

تمتاز الرقعة التي تشغلها اليمن بحدودها الحاضرة عن القسم المتبقي من شبه الجزيرة العربية بكثافة في السكان ، فالسائح أو المسافر في بلاد تهامة أو في المنطقة الجبلية قد لا يجد له كيلومتراً واحداً من الأرض خالياً من قرية أو جماعة تسكنه ، وأن سبب هجرة أهل اليمن الى الخارج خاصة الى السودان وبلاد الساحل الافريقي ناتجة عن كثافة السكان وقلة مساحة الأرض التي يعيشون عليها ، ويقدر البعض من الملمين بالاحصاء بأن سكان المملكة اليمانية يربو على سبعة ملايين غير أن هذا العدد مبالغ فيه ، وهم لا يتجاوزون أربعة ملايين من السكان .

---

(١) راجع بحث الجغرافيا وقد تقدم .

الاستقرار في اليمن :

لا تعرف المملكة اليمانية بيت الشعر المتنقل ، ولا القبيلة المتنقلة التي نشاهدها في العراق وفي سوريا وفي شبه الجزيرة العربية ، كما أنها لا تعرف البداوة ولا تعرف العادات القبلية المألوفة في البلاد العربية . فاليماني متحضر ساكن قريته منذ آلاف السنين ، والأرض التي يزرعها ملكه أو هو شريك فيها ، وقرية اليماني قد تكون مشيدة من الطوب أو الآجر أو الحجر المنحوت أو العش النظيف اذا كانت منخفضة ، والسكنى في بيوت الشعر أو البيوت الوقتية بين القبائل غير معروفة ، اللهم إلا لجماعة واحدة تدعى (الدواشن) أي النور (أو الكاولية) ولا أثر للعادات القبلية عندهم ، فالقرآن هو الحكم الوحيد عندهم ، فالسارق تقطع يده وقاطع الطريق تقطع يده ورجله (تقطع من خلاف) والقاتل يقتل ويقطع رأسه الخ . . . والحكم واحد على ابن القبيلة وابن المدينة والجميع سواسية أمام القرآن ، ولقد أماتت هذه الأحكام الدينية الروح القبلية وقضت عليها ومحت آثارها من المجتمع اليماني منذ عهد بعيد . فأنت لا تسمع مثلا أن فلانا قتل قريبته فلانة لأنها ارتكبت جريمة الزنى ، بل تسمع أن فلانة أو فلانا قد حكم على كل منهما بالحد الشرعي الجلد والرجم بالحجارة والسجن الخ . . .

طريقة الحكم :

ما أشبه التقسيمات الادارية في بلاد اليمن بتقسيمات شقيقها العراق . ففي ـ اليمن ـ تقسم اداريا الى أربع وحدات ادارية كبرى وتسمى كل وحدة لواء وهي : (تعز والحديدة وإب وصنعاء) وترتبط في كل من هذه الألوية

الأقضية والنواحي التابعة لها ، فالألوية وهي الوحدات الادارية الكبرى يديرها سيوف الاسلام ويعاونهم عدد من العمال وهم القائمقامون ومديرو النواحي ، فأمير تعز هو سيف الاسلام أحمد ، وأمير الحديدة سيف الاسلام عبدالله مع توليه وزارتي المعارف والدفاع ، وأمير إب هو سيف الاسلام الحسن ، وأمير صنعاء هو سيف الاسلام الحسين ويعاونه عامل صنعاء السيد حسين عبدالقادر .

وأمراء المقاطعات لهم صلاحيات غير محدودة فهم أمراء الجيش المرابط في مناطقهم وأمراء الشرطة (الدرك) والجباة وحكام الشرع ومأمورو الخزائن والمسؤولون عن كل شيء أمام جلالة الامام والدهم وهم يقلدون جلالة الامام في مظهرهم وطريقة حكمهم للرعايا وحلهم وترحالهم وحتى في طريقة إصدار الرسائل والتحارير والأوامر الادارية والجباية ومقابلة الناس .

السيطرة المركزية في الحكم :

على جميع العمال والحكام أن يرجعوا في قراراتهم وأحكامهم ولاسيما الذي يقتضي الصرف من بيت المال الى الحضرة الشريفة ، أي جلالة الامام ، فالحضرة الشريفة أو جلالة الامام هو الذي يشرف مباشرة على الصرف من بيت مال المسلمين مهما كان نوعه ويشرف حتى على أمور الموظفين الصغار ، فالمستحق لترفيع درجته ولو كان نصف دينار مثلا لابد أن تصدر به إرادة ملكية خاصة ، وعلى هذا فلتقس جميع مصروفات مرافق الدولة ، ومن هذا وحده تستطيع ان تعرف مقدار حرص الامام على بيت مال المسلمين الذي أوتمن هو عليه .

أشهر الأقضية والنواحي :

ودونك الأقضية والنواحي الشهيرة في اليمن التي تلي المتصرفيات الأربع التي ذكرناها :— بلاد البستان . الحيمة . أنس . بلاد الروس . عثمه . الريمة . حراز . كوكبان . الطويلة . حفاش . عمران . ملحان . حجة . صفدة . نجران . والرئيس الاداري لكل منها يدعى (العامل) وقد لا تستطيع التفريق بين الناحية والقضاء لتشابه تسمية رئيسها الرسمية .

نظام الطبقات في اليمن :

ينقسم المجتمع اليماني الى الطبقات التالية :—

آ— الطبقة العليا :

وتتمثل هذه الطبقة باليمن من حضرة صاحب الجلالة الامام يحيى حميد الدين المعظم وأنجاله الكرام الذين يلقب كل واحد منهم بلقب سيف الاسلام ، وهو اللقب الخاص بأولاد جلالته من الذكور جميعاً بدون تفريق بين صغيرهم وكبيرهم ، فأنجال الامام كلهم سيوف إسلام تيمناً وتفاؤلا بسيوف الاسلام من أتباع جده منقذ العرب الأكبر ، محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم .

ولجلالة الامام اليوم ثلاثة عشر ولداً على قيد الحياة حفظهم الله كما مر آنفاً ، ويرتدي سيوف الاسلام العمائم البيض كجلالة الامام والدهم إلا أن عمامة سيوف الاسلام تمتاز (بعذبة) واحدة طويلة مسترسلة الى الخلف بينما تمتاز عمامة جلالة الامام والدهم (بعذبتين) إحداهما قصيرة ترسل من أعلا العمامة قليلا الى الجانب الأيمن منها ، والاخرى طويلة ترسل الى الخلف

ويسمى الامام (ذا العذبتين) وتسمى عمامته (عمامة الخلافة) ولجلالة الامام تقدم فروض الاحترامات من جميع الطبقات حتى من أنجاله .

فكل من يتشرف بزيارته عليه أن يقبل قدم جلالته ويديه ، وينسحب القهقرى ليجلس في المكان الخاص به ، وكذلك أنجاله يقدمون أبلغ فروض التحية والاجلال لوالدهم ، ولا عجب فهم الاسوة الحسنة للناس جميعاً وبعدها يجلسون الى جانبه .

أما التحية والاحترام اللذان يجب أداؤهما لسيوف الاسلام فلا تقلان عما تقدم لجلالة الامام والناس ملزمون بذلك ساداتهم وفقهاؤهم وأمراؤهم .

ب — طبقة السادة :

وهم السادة العلويون الهاشميون من العترة العلوية التي يعتمد عليها جلالة الامام في ادارة شؤون المملكة ، فمنهم العمال والحكام والأمراء والمستشارون ولا تعطى أية وظيفة ذات تبعة الى أي رجل ما لم يكن سيداً علوياً صحيح النسب واضحه ، فالمتصرف سيد والقائمقام ومدير الناحية سيد ، وأمير الجيش سيد والمحاسب سيد ورئيس المحكمة الاستئنافية سيد ، ولهؤلاء السادة وحدهم — بعد جلالة الامام وأنجاله — تقدم الاحترامات اللائقة بمقامهم ويخاطبهم جميع الرعايا بلفظة (سيدي) وتقبل أيديهم وركبهم من سائر الناس مهما كانت منزلتهم ودرجتهم في المجتمع .

ج — طبقة الفقهاء :

وتناط بالفقهاء واجبات حكام الشرع والمحامين الشرعيين وعضوية المحاكم الشرعيين وعضوية المحاكم وتدريس الفقه الاسلامي بصنعاء وواجب الدعاة في القرى والدساكر ، كما أنهم يقومون بتدريس القرآن الكريم وتعليم

الكتابة والقراءة في المدارس الكثيرة المنبثة في جميع أرجاء اليمن ودرجة هؤلاء في المجتمع تلي طبقة السادة العلويين الهاشميين .

د — طبقة الملاكين والتجار ورجال القبائل :

وهؤلاء متساوون كلهم في المنزلة ومحترمون من قبل الطبقات الأخرى ولهم في البلاد مكانة مرموقة لا ينكرها أحد ، ولاسيما في البلاد الشرقية .

ه — طبقة الزراع وبائعي الخضروات والخبازين والجزارين :

ينظر المجتمع اليماني الى هؤلاء نظرة حقيرة جداً ويمتازون عن الطبقات الأخرى في تواضع مساكنهم ولباسهم ولا يتزاوجون إلا من طبقتهم واذا قدر لشخص من غير هذه الطبقة أن يتزوج بفتاة منهم بظل طول حياته هدفا لسهام الناقدين ، وعاراً على لسان طبقته .

و — اليهود :

تأتي الطائفة اليهودية في ترتيب طبقات المجتمع اليماني وراء طبقة الجزارين وإن كانت تتمتع بعدل جلالة الامام وحكومته . ويمتازون في أزيائهم ومساكنهم وجميع مظاهرهم ، وسنبحث عن هذه الطبقة مفصلا في فصل خاص .



اليهودي اليماني في زيه الخاص

مميزات سكان المنطقة الجبلية :

لقد جربت شخصياً سكان المنطقة الجبلية وقمت بتدريبهم فوجدتهم يتحلون بالمزايا الآتية :—

آ — قوة الايمان — الايمان بالله وبالامام ، وأن الامام يمثل أقدس شخص في اليمن وأن إرادته من إرادة الله وأمره يجب أن يطاع بدون نقاش.

ب — الصبر وتحمل المشاق — وإنك لا تجد في بلاد اليمن منطقة كهذه المنطقة في الصبر على شظف العيش ، وقد يعمل الفرد منها ليل ونهار في سبيل رغيف واحد من الخبز الخليط من الاذرة والباقلاء دون أن تسمع منه تذمراً أو احتجاجا وانما يقول لك متباهياً (الله يحفظ الامام) أي أنه يعمل ذلك في سبيل الامام . والزيديون صبورون مؤمنون يرجون في كل حالاتهم رضا الامام وحسن الخاتمة .

ج — الاعتزاز الديني — والزيدي معتز فخور بزيديته الى حد بعيد من الاعتزاز ويعتقد بأن صنعاء هي مركز الأرض وهي أم الدنيا ، وان الحكمة يمانية والدين يماني واليمن الشمالية هي أم الحضارة الاسلامية ، ولذلك تجد الزيدي لا يؤمن بأجنبي مهما كانت جنسيته وقوميته ودينه ، وهو يعتقد بأن الاسلام أصيب ببعض الشوائب إلا في اليمن فانه سالم معافى ولله الحمد بفضل الامام وحكمته .

د — النشاط الجسمي والعقلي — يمتاز الفرد الزيدي بالنشاط الجسمي الذي لا حد له وهذا ناتج من اعتدال الاقليم وطبيعة سكان المناطق الجبلية كما هي الحال في جميع بلاد العالم وهذه الصفات هي التي مهدت لهم السيطرة على اليمن جميعها .

والجيش اليماني كله زيدي يماني خالص ويمتاز اليمانيون الشماليون بالجرأة والذكاء الفطري وفهم الأمور بالبداهة ، ويناقشون مايعرض عليهم من المسائل العلمية الحديثة — رغم عدم تثقيفهم بالثقافة الحديثة — مناقشة ترضي استاذهم وهذه صفات عالية لو قدر لها أن تستغل لخير العروبة لأتت بالعجب العجاب .

الأمية في بلاد اليمن :

تكاد الأمية في بلاد اليمن تكون معدومة بين الذكور بفضل الاجراءآت الحكيمة الحازمة التي اتخذها جلالة الامام في بلاده ، فأغلب الناس في اليمن يحسن القراءة والكتابة ولم ينقصهم إلا الثقافة العصرية .

أما المدارس فيها فانها موجودة بكثرة ولكنها مدارس على الطراز القديم في نظمها وطرق التدريس بها ، غير أنها تعنى بأصول الدين وفروعه عناية مشكورة ، ولا يقل عددها عن ٣٠٠ مدرسة كانت لتعليم أصول الدين وأحكامه .

والعلماء والفقهاء هم الذين يتولون تعليم الناشئين من الأطفال وغيرهم وتعليم قراءة القرآن والكتابة ومبادئ الدين الاسلامي الحنيف أمر لازم على كل طفل يماني ، سواء في ذلك الغني منهم والفقير ، مدنياً كان أم قروياً ، وعلى هذه السنة كانت محاربة الأمية في بلاد اليمن ، وحكام اليمن يفتخرون بهذه النتيجة الباهرة في القضاء على الأمية بفضل المدارس . أما الاناث فليس لهن مدارس خاصة في اليمن ونرجو أن يتلافى ذلك في مستقبل الأيام .

الأمن في اليمن :

الأمن في اليمن هو الميزة الثانية التي انفردت بها اليمن بعد التعليم وانعدام

الامية دون سائر البلاد العربية فهي والحق يقال في قارة آسيا بمثابة سويسرا أو النرويج في قارة أوربا . إن المملكة اليمانية تتمتع بأتم أمن وأوسع مدى للسلام ولا نجد لها مثيلا في أي بلد متحضر ، ففي غضون اقامتي الطويلة في صنعاء وهي التي تقارب ثلاث سنوات حدثت الجرائم الآتية :—

آ — جريمة سرقة أعقبت بقتل في بيت من بيوت المدينة إذ سطا اللصوص على دار أحد التجار وقتلوه وابنته وسرقوا دراهمه البالغة ٤٠٠٠ ريال وبعد يومين علم الجيران بأن التاجر المذكور وابنته مفقودان فبادروا لاخبار جلالة الامام بذلك فأرسل على الفور عامل صنعاء ومعه (مدير الشرطة) الى البيت المشتبه به فوجدوا التاجر وابنته قد قتلا خنقاً .

فأمر جلالة الامام من حينه مدير الشرطة أن يجد الفعلة ، وبعد مرور أربعة أيام ألقي القبض على الفعلة وكان أحدهم جندياً والثاني متشرداً فاعترف كلاهما بفعلتها ، وفي الحال أمر الامام بقطع أيديهما لارتكابهما جريمة السرقة ، وبعد مرور شهر على قطع أيديهما أحضرا في ساحة ثكنة الجيش وقطع رأساهما لارتكابهما جريمة القتل .

ب — اعتدى بعض رجال القبائل على البريد الحكومي المنقول بين تعز وصنعاء علماً منهم بأن فيه دراهم كثيرة ، فأمر جلالة الامام أن يجلب قطاع الطرق لينالوا جزاءهم فأرسل فوجا من الجنود الى منطقة السلب وعسكر الفوج هناك ، وفي هذه الحلات تقوم القبائل المجاورة لمنطقة السلب أو الاعتداء بتموين الجنود بالطعام والشراب والقات وحتى تبغ النارجيلة ودفع يوميات لكل جندي ولكل ضابط ، ريثما تسلم القبيلة المعتدين ، وبعد ثلاثة أيام من تعسكر الفوج ، سلمت القبيلة أربعة رجال قاموا بالاعتداء

على البريد ، وفي اليوم الثاني صدر الحكم عليهم بتقطيعهم من خلاف (أي أن تقطع اليد اليمنى والقدم اليسرى) لكل مجرم ولقد نفذ هذا الحكم ومات اثنان من المجرمين الاربعة في الحال .

ج — اعتدى جندي واحد على ضابطه في منطقة الحديدة بأن رماه رصاصة أودت بحياة الضابط ، فجيء بالجندي الى صنعاء وحال اعترافه قطع رأسه بالسيف.

(ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب)

تنفيذ عقوبة الاعدام



يظهر في الصورة سيف الاسلام ابراهيم ممتطياً صهوة جواده وهو راجع بعد ان سلم الأمر الشريف بقطع راس الجندي الذي قتل ضابطه (انظر فقرة ج اعلاه) . ويظهر في الصورة تنفيذ عقوبة قطع الراس في ساحة ثكنة الجيش المظفر في صنعاء .

هذه جرائم كبرى ثلاث حدثت في ثلاث سنوات أي بمعدل جريمة قتل واحدة في كل سنة ، والغريب العجيب في هذا الامن الشامل أن صنعاء التي يقدرعدد سكانها بـ ٥٠ الف مسلم و ١٠ آلاف يهودي لا يوجد فيها من تشكيلات الشرطة إلا رجل واحد وهو مدير الشرطة (اليوزباشي حسن افندي حنش) وراحلته ومرافقه .

هذه حقيقة نقلتها كما هي عن حالة الامن والاستقرار في اليمن ، وقد عرضتها صورة صحيحة عن الامن الذي فرضته أحكام الدين الحنيف المقتبسة من القرآن الكريم ، المصدر الاساسي والقانون الذي ترجع اليه جميع الاحكام ومبلغ تأثيرها على الناس هناك .

واذا قلنا إن اليمن خالية من الشرطة إلا من ضابط واحد في صنعاء فلا نريد أن يفهم القراء بأن البلد يديره هذا الرجل وحده بل إن هناك مقراً لجيشين أحدهما (الجيش المظفر) في صنعاء ويحتوي على ما لا يقل عن لواء مشاة ولواء مدفعية و (الجيش الدفاعي) ويحتوي على ما لا يقل عن لواء مشاة وبعض سرايا الرشاش ، والجيش المظفر هو الذي يقوم بواجبات الامن وجباية الاموال وحراسة السجناء وخدمة دور الامراء والضباط وحراستهم . وسنذكر بحثاً خاصاً بالجيش فيما يلي من فصول هذا الكتاب :—

الرهائن في اليمن :

لقد أقام جلالة الامام منذ بدء استلامه زمام السلطة الدينية والزمنية من الاتراك خلال انسحابهم من اليمن بيتاً سمي بـ (بيت الرهائن) وضع فيه ما يقرب من الـ ٤٠٠ فتى وغلام من أولاد المتنفذين في المملكة أو من

أولاد الشيوخ ، وهؤلاء الرهائن يجلبون من أطراف المملكة ويوضعون في بيت الرهائن تحت حراسة الجند حتى لايقوم أولياؤهم بعمل مضر بسلامة الدولة من فساد وبث روح الشقاق والفتنة وخلق الفوضى في المملكة . وهذه الحال اقتضتها حالة الفوضى التي سادت أيام حكم الامام الاولى ، غير أنها استمرت وأصبحت عادة مألوفة في اليمن والشيخ أو المتنفذ الذي لا ولد له يحضر هو نفسه أو يأتي بأخيه أو ببدل رهين جديد ليبقى هو في الحالة الاولى أو رهينه طول الحياة في بيت الرهائن .

فأنت ترى أن ما يفعله بيت الرهائن في اليمن من نتائج تتمثل في الامن والهدوء والاستقرار ما لا يفعله أي قانون دستوري في الممالك الشرقية التي منيت بالقلاقل والفتن والاضطرابات .

السجون في اليمن :

١ — عندما يحكم على شخص بالسجن يرسل الى (القصر) وهذا القصر هو بقايا قصر غمدان التأريخي كما يقول مؤرخو صنعاء ، وهو قصر مهجور لا تدخل الشمس الى حجراته ويترك هناك بعد أن تغل أقدامه بالحديد ويبقى الى أن تنتهي مدة محكوميته .

ولا يهتم بالسجين ولا يعتنى به مهما كان مركزه انما يقومون بحراسته حراسة شديدة ويقدمون اليه الطعام والشراب واللباس والفراش . وهناك طائفة من السجناء الذين يسمح لهم بالتجوال داخل المدينة وهم مقيدون بالحديد ليحصلوا على أرزاقهم ويعودوا بعدها الى سجونهم .

وثمة نوع ثالث من السجناء الذين يحكم عليهم بقيد الارجل بالحديد غير أنهم أحرار في عملهم وهؤلاء غالباً ما يكونون من الغلمان بقصد تأديبهم

وارجاعهم الى الاخلاق الفاضلة ، واطاعة أوامر الدين ونواهيه ، والذين لهم الحق أو الصلاحية أو السلطة بسجن البشر كثيرون فهم سيوف الاسلام جميعاً : فلأي سيف من السيوف الكرام أن يوعز للعسكري المواكب لحصانه (شل هذا الى الحبس) أي خذ هذا الرجل الى السجن كما هو من حق عامل صنعاء ومن حق ابن العامل ومن حق حاكم الشريعة وفوق الكل هو حضرة صاحب الجلالة الامام أيده الله الذي لا مرد لأمره إذ هو المرجع الأول والأخير لجميع الأحكام لأنه الحجة الأكبر والمجتهد الأعظم في أحكام الدين والدنيا .

٢ — وهناك سجن (شهارة) وهذا السجن معد للسجناء السياسيين إن صحت التسمية أو للمشاغبين وهو عبارة عن (كهف) في جبل من جبال (صعدة) له فوهة تتسع لانسان فقط تؤدي الى بيت متوسط يوضع فيها الأشخاص الذين يخشى من شرهم ويبقون في هذا السجن أحراراً حتى يعطف عليهم جلالة الامام ويتفضل بالتصريح لهم بالحرية ويقدم لهؤلاء الطعام والماء والفراش .

٣ — سجن النساء (أو بيت الزوقبي) :

ويسمي أهل صنعاء سجن النساء (بيت الزوقبي) وهذا البيت واقع في قلب المدينة القديمة تديره امرأة شديدة شرسة الطبع تسمى بنت الزوقبي يعاونها نفر من الحراس وهذا البيت معد للنساء المشبوهات بأخلاقهن والمجرمات ، وليس في اليمن بغاء رسمي قط والبغاء غير معروف في اليمن بشكليه السري والعلني وهذه نعمة من نعم الله تغبط عليها اليمن .

الفصل الثامن

المواصلات في بلاد اليمن

صنعاء نقطة المواصلات المركزية · الطرق المعبدة · الطرق الاعتيادية ·
طريق محاذية للبحر الأحمر · طرق فرعية · الكهرباء في اليمن ·
مواد الوقود · النفط · الحطب · المعادن في اليمن ·
إرساليتان طبيتان · المستشفيات · الطب البلدي وآخر الدواء
الكي · الطباعة في اليمن · الهدايا · أموال بيت المال ·

١ – صنعاء نقطة المواصلات المركزية :

ترتبط جميع بلاد اليمن بالعاصمة صنعاء بالمواصلات السلكية – التلغرافية – التي ورثتها اليمن من الاتراك وترتبط بالعالم الخارجي بخط التلغراف العالمي عن طريق عدن ، وفي صنعاء محطة لاسلكية خاصة بالمخابرات الشخصية بين جلالة الامام وجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ، يدير هذه المواصلات فقهاء وعمال ورثوا هذه المهنة من موظفي الدولة العثمانية والبعض منهم ما يزال تركي اللسان فقيه المظهر واللباس شأن أكثر موظفي الحكومة اليمانية الثانويين .

أما البريد فانه ينقل على البغال بين فروع المملكة والعاصمة إذ ينقله أناس متخصصون به الى محطات معينة حيث ينتظرهم السعاة ، معهم بغالهم يستلمون أكياس البريد يسيرون خبباً الى المحطة الأخرى ليسلموه الى الآخرين ، وهكذا تسير عملية البريد حتى تصل في وقتها المعين مهما كانت الحالة ومهما كان الوقت سواء كان ليلا أو نهاراً ، قراً أم حراً ، والبريد

اليماني لا يقبل الحوالات المالية الخارجية ، أما الحوالات الداخلية فيستوفى عليها رسماً باهضاً جداً هو ١٠ ٪ من مبلغ الحوالة وهذا ما جعل الناس يبتعدون عن تحويل أموالهم بالبريد .

٢ ـ الطرق المعبدة :

ليس في اليمن طرق معبدة أو مزفتة حتى ولا داخل العاصمة كما هو معروف عندنا في العراق وغيره من البلاد العربية الأخرى .

٣ ـ الطرق الاعتيادية :

هنالك في اليمن طريق رئيسية واحدة تصلح لسير السيارات فيها ولكن بصعوبة في المواسم الاعتيادية وهي طريق : عدن ـ لحج ـ تعز ـ زبيد ـ بيت الفقيه ـ الحديدة ـ عبال ـ مدينة العبد ـ معبر ـ صنعاء . وطول هذه الطريق حوالي ٨٥٠ كيلومتراً . إن القسم المعبد من هذا الطريق يبدأ من عدن وينتهي في قرية لحج عاصمة سلطنة لحج وبعدها تصل الحدود الفاصلة بين اليمن والمحميات في قرية الراهدة ثم تتصاعد الطريق حيث المرتفعات لوجود التلول الصخرية حتى بلدة تعز مركز لواء تعز ، ثم تنعطف ـ الطريق ـ الى الغرب حيث الوديان المنخفضة حتى قرية زبيد ومنها الى بيت الفقيه حيث تتبدل طبيعة سطح الأرض من حصوية حجرية الى رملية صحراوية وبعدها تتجه الطريق الى الغرب تماماً في أرض رملية حتى مدينة الحديدة ميناء اليمن الوحيد التي لا تصلح إلا لرسو الزوارق الصغيرة على ما بينا سابقاً ، وبعد مدينة الحديدة ترى الطريق متجهة نحو الشمال الشرقي حتى مدينة العبيد التي تعتبر العقدة الفاصلة بين أراضي تهامة والمنطقة الشمالية الجبلية ،

وهنا تبدأ بتسلق المرتفعات حتى قرية (معبر) وبعد معبر تبدأ هضبة صنعاء التي ترتفع عن سطح البحر حوالي ٢٩٥٠ متراً وتتبدل طبيعة المناخ من حار رطب الى بارد معتدل شديد الجفاف ، وطبيعة سطح الارض من رملية الى حجرية بركانية وأن جميع الجبال الكائنة على الطريق جرد لا أثر للحياة فيها . غير أن الطريق قلما يخلو من القرى والدساكر الآهلة .

٤ ـ طريق محاذية للبحر الاحمر :

وثمة طريق أخرى تصلح لمرور السيارات بصعوبة تحاذي البحر الأحمر وهي طريق الحديدة ـ الزهرة ـ ميدي ـ (آخر الحدود اليمانية ـ السعودية) ـ جيزان ـ القنفذة ـ جدة . وطبيعة سطح الطريق ملحية .

٥ ـ طرق فرعية :

وهنالك طرق فرعية أخر تربط عدن بصنعاء احداها تمر من ذرى الجبال وهي أقصر الطرق البرية التي تربط عدن بصنعاء غير أنها لا تصلح إلا لمرور القوافل وبامكان المسافر أن يقطع المسافة بمدة لا تتجاوز سبعة أيام وقد تقل عن أربعة أيام ، وترتبط صنعاء بالقرى والمدن بطرق لا تصلح لمرور السيارات والعجلات .

٦ ـ إن معظم الطرق تتوقف فيها الحركة إبان موسم الأمطار ولاسيما طرق السيارات والعجلات لأنها طرق ابتدائية أوجدتها آثار أقدام السابلة منذ أقدم العصور حتى الآن ولم تعمل فيها أيدي التحسين .

٧ ـ لا توجد مواصلات تلفونية في المملكة اليمانية وكانت قد حاولت

احدى الشركات ربط البلاد بشبكة مواصــلات تلفونية غير أنها فشلت لأسباب لا محل لذكرها هنا .

السكهرباء فى اليمن :

ليس في المملكة اليمانية مشاريع الاضاءة بالـكهرباء ، وليس لليمانيين عهد بالـكهرباء أبداً ، اللهم إلا قصري جلالة الامام وهما : (دار الشكر ودار السعادة) وبعض دور أنجاله سيوف الاسلام ، فانها تنار بالـكهرباء من جهاز صغير خاص بالقصور الملـكية فقط ، وقد حاول تاجر أجنبي إنارة صنعاء بالـكهرباء لـكنه فشل في مشروعه لعدم اختصاصه .

مواد الوقود :

١ — النفط — إن أغلى مادة ضرورية لاحتياج الانسان في صنعاء هي النفط وحطب الوقود ، وتباع الصفيحة الواحدة من النفط بـ ١٨ ريالا أي مايعادل دينارين اثنين وكان ذلك في مفتتح سنة ١٩٤٣ عندما انقطعت طرق المواصلات البحرية لأن اليمن تعتمد في نفطها على ما يرد من الخارج إذ ليس في اليمن نفط مستخرج .

٢ — حطب الوقود — أما حطب الوقود فيجلبه اليمانيون على ظهور الجمال من مسافات بعيدة شاسعة ، ويباع حمل الجمل من حطب الوقود بدينار واحد .

المعادن فى اليمن :

في اليمن معادن كثيرة ، النفيس منها وغيره ، ولا يستخرج منها سوى القليل الذي ليس له كبير أثر في ايجاد ثورة صناعية ونهضة اقتصادية

في البلاد ، ولو بذلت الجهود لاستخراج المعادن المدفونة في باطن الأرض اليمانية بطرق علمية عصرية لـكانت البلاد مشمولة بارتفاع مستوى المعيشة والحياة الاجتماعية والصحية والعلمية وغيرها .

وها نحن نذكر ما وجده أهالي اليمن من المعادن التي يتداولونها اليوم بين أيديهم لأغراضهم في الحياة ثم نورد ما عرفه علماء طبقات الأرض من المعادن الثمينة :—

١ ـ الملح : ـ يوجد الملح بكثرة في شبه جزيرة (الصليف) قرب الحديدة ، وقد استغله العثمانيون في عهدهم للاغراض التجارية . وأما اليوم فأن الأهلين يأخذون منه حاجتهم المحلية فقط ، أما استغلاله تجاريا فلا أثر له .

٢ ـ الزئبق : ـ يوجد بكثرة بجوار عدن ويمكن استخراجه للاغراض التجارية .

٣ ـ الذهب : ـ يوجد هذا المعدن النفيس قرب (مأرب) رمالا دقيقة اذا غسلت ونخلت تظهر فيها شذور من الذهب ويوجد الذهب في السهل الواقع بين القاعدة و (تعز) .

٤ ـ الرصاص والـكبريت : ـ يوجدان في مأرب ، والمعروف عن القاطنين حول هذا الـكان انهم كلما ارادوا الحصول على الرصاص والكبريت أشعلوا النار في بقعة من البقاع المعروفة بوجود ذينك المعدنين فيجدونها تحت النار ، ويوجد أيضاً هذا المعدن في أسفل جبل الظفير .

٥ ـ التوتيا : ـ يكثر معدن التوتيا في (مسوار) .

٦ ـ الألومنيوم : ـ ويوجد في جبال (الغراس) و (خولان) و(كحلان) و (عفان) و (هوية) .

٧ ـ الحديد : ـ يوجد الحديد بكثرة في بلاد (صعدة) و (ريمة) و (الجوف) .

٨ ـ النحاس : ـ يوجد في جبال (خولان) و (كحلان) و (عفان) و (هوية) و (نقم) وبالقرب من بلدة (ميدي) .

٩ ـ الفحم الحجري : ـ يوجد بكثرة في هضبة صنعاء وفي الجبال واستخرجته الحكومة في خلال سني الحرب الأخيرة بشكل بدائي لتشغيل المعمل العسكري في صنعاء .

١٠ ـ الفضة : ـ توجد الفضة في (الحيمة) وفي جبل (نقم) وفي (شبام) .

١١ ـ العقيق : ـ يوجد في (نقم) وفي (جبل آنس) وفي (ذمار) .

وقد كلف جلالة الامام العلامة (طوتشل) الأميركي أن يبدي رأيه العلمي في نماذج لخمسة معادن أرسلها جلالته اليه جمعت من مواقع مختلفة من بلاده فكان جواب العلامة المذكور أن في تلك النماذج المرسلة اليه المعادن التالية: —

١ ـ الغرافيت (Graphite) .

٢ ـ المولبدينيت (Molybdenite) أي الرصاص الابيض .

٣ ـ الهماتيت (Hematite) وهو حجر أسود حديدي ومنه يتخذ الحديد الذي لا تستغنى عنه الصناعة .

٤ ـ التراهدريت (الذي يسميه العراقيون حجر الشورة) وهو حجر فيه نحاس وكبريت وربما وجد فيه فضة أيضاً .

٥ ـ شلز (Shales) وهو صلصال مورق أو مصفح يدل على أن هناك طبقات فيها نفط .

٦ - والمرقشيشا وهي (Pyrite de fer) بالاصطلاح الفرنسي يستعمل في صناعة الحامض الكبريتي .

وقال الاستاذ المذكور بعد أن اطلع على جميع النماذج ما نصه : من البديهي أن المعادن لا تستأهل الاستخراج ما لم يتوفر فيها أمران وهما : جودة النوع وكميته ، واني أرى من الضروري أن يبحث في جوار المكان الذي وجدت فيه (المرقشيشا) ويتحرى عن غيرها من المعادن ، لأنه قد يوجد في موطن واحد أكثر من معدن واحد ، ويظهر لي من جميع هذه النماذج المعدنية التي جلبت لي من أنحاء البلاد أن اليمن غنية بمعادنها ، ويمكن الاستفادة من هذه الفلزات فائدة عظيمة النفع ، ولكن يجب في بادئ الامر أن يبحث عنها في جميع الانحاء والتفتيش عن الاماكن التي ترى أنواع الفلزات بكثرة) . وقدم الاستاذ (طوتشل) نفسه طلباً الى جلالة الامام مرفقاً باتفاقية لاستخراج المعادن واستثمار مملحة الصليف تتضمن ١٥ مادة إلا أن الامام رفض له طلبه .

فأنت ترى أن البلاد اليمانية السعيدة علاوة على خصوبتها الفائقة تحتوي على كنوز معدنية وافرة كما ثبت ذلك علمياً . كما أن في البلاد العربية الاخرى معادن مشهورة اختصت بها كالنفط في العراق والمملكة العربية السعودية ، فلو تضافرت جهود الامم العربية على تأليف شركات محلية لاستخراج كنوز بلادها المعدنية ، واستثمرتها لمصالحها ، لارتفعت في مستواها ، ولاخرجت صناعات ثقيلة تستغني بها عن كل الصناعات التي تردها من الخارج ، ولتحولت البلاد العربية الى ممالك صناعية .

ارساليتان طبيتان :

في مدينة صنعاء ارساليتان أجنبيتان طبيتان احداهما انكليزية والأخرى ايطالية ، ولقد توقفت أعمال الارسالية الأولى منذ سنة ١٩٤٢ ، ويتقاضى أطباء البعثتين ورجالها راتباً من بيت المال باعتبارهم موظفين في حكومة اليمن ، وكان الناس يعتمدون على البعثة الطبية الانكليزية أكثر من سواها وهذه البعثة تتألف من طبيبين انكليزيين وطبيبة واحدة وممرضتين اثنتين ولها صيدلية خاصة بها وأدوات فنية أخرى وهي تصرف الدواء مقابل أثمان زهيدة جداً تؤخذ من المتمكنين وهو ـ الدواء ـ بالمجان للفقراء والمعوزين .

المستشفيات :

في صنعاء مستشفى واحد ، لا يقصده إلا الفقراء ، وقد تنقصه العناية العصرية ، ويشرف على ادارته أحد الفقهاء وتعاونه البعثتان الطبيتان الأجنبيتان .

الطب البلدي ـ وآخر الدواء الكي :

والطب البلدي سائد في صنعاء وسائر المدن اليمانية ، ويعتمد عليه الناس كل الاعتماد ، وهو لا يتجاوز الكي ، فالحكيم الماهر كما يدعونه هو من كان له حانوت خاص في السوق ، وأمامه عدد من القضبان الحديدية بأشكال مختلفة يأتيه المرضى (للكي) مقابل أجر معين ، وهذا التطبيب هو آخر حكمة للعرب منذ أوغل عصور الجاهلية حتى جاء في أمثالهم : آخر الدواء الكي .

الطباعة في اليمن :

خلف العثمانيون فيما خلفوا من التراث الحسن لمملكة اليمن مطبعة كاملة

يديرها بعض العمال الذين مهروا في تنضيد الحروف وادارة آلات الطبع من أسلافهم الأتراك ، ولقد كانت تطبع فيها جريدة (الايمان) الاسبوعية ومجلة (الحكمة) الشهرية ، فالجريدة تنشر في أعدادها الحوادث الداخلية والارادات الامامية الخاصة بترقيات ضباط الجيش وتعيين رجال الادارة والقضاة مع تواريخها وأرقامها فهي من هذه الوجهة كجريدة الوقائع العراقية عندنا التي تصدرها الحكومة العراقية .

وكذلك تنشر جريدة الايمان من المدائح والقصائد الشعرية التي تستهدف مدح جلالة الامام وأنجاله . أما المجلة فتنشر فصولا وحكايات يمنية تستخرجها من بطون الكتب القديمة ، ولقد أوقف طبع كل من الجريدة والمجلة في سنة ١٩٤١ وقام رجال البعثة العسكرية العراقية باخراج بعض الكتب العسكرية لتدريب ضباط الجيش اليماني وحازت هذه الكتب موافقة جلالة الامام :—

وأول كتاب عسكري عراقي طبع في صنعاء هو كتاب (رشاشة لويس) لعضو البعثة العسكرية ومؤلف هذا الكتاب طبع سنة ١٣٥٩ هجرية ، والكتاب الثاني للعقيد الركن (أمير اللواء حالياً) اسماعيل صفوة رئيس البعثة العسكرية العراقية عنوانه (الهجوم) ، والكتاب الثالث (الدفاع) لأمير اللواء الركن اسماعيل صفوة نفسه وكلا الكتابين طبعا في مطبعة صنعاء سنة ١٣٦٠ هجرية .

ولقد هيأ رجال البعثة عدة كتب للطبع غير أن اشتداد الحرب في أوربا التي أدت الى انقطاع سبل المواصلات مع اليمن انقطاعاً تاماً ونفاد الورق ترك الكتب رهن الزمن وحده . كما أخرجت مطبعة صنعاء في سنة ١٣٦٠هـ

سفراً كبيراً عنوانه (الغاية) لجلالة الامام نفسه يشرح فيه المذهب الزيدي وأصوله وأحكامه والكتاب يقع في نحو من ٨٠٠ صحيفة .

ونحن نرجو أن يكون في اليمن بعد أن ترقى وتثمر المساعي التعليمية والثقافية وتنتبه الى اقتباس أنوار العصر الصناعي الحديث عدة مطابع تخرج عشرات الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية والشهرية والكتب الأدبية والعلمية والاجتماعية والسياسية واللغوية والدينية من تأليف أو اعادة طبع أو تجديد كتب السلف الصالح مع التعليقات والتنسيق كما تفعل مطابع مصر والعراق وسوريا ولبنان اليوم .

الهدايا والرواتب :

قد يرى البعض أن الرشوة منتشرة في اليمن ، ولكن من اطلع على حقيقة الوضع لا يراها رشوة إنما هي هدايا اصطلح عليها اصطلاحاً .

والهدايا في اليمن علنية لايشكو منها الناس وهي تنزل الى البقشة الواحدة ولا تتجاوز الدينار . ويتناولها الصغير كما يتناولها الكبير . والسبب فيها قلة المخصصات إذ لا يتجاوز راتب أكبر موظف في دولة اليمن عن الثلاثين ديناراً .

أما الآخرون فأن راتب عقيد في الجيش ستة دنانير وراتب الملازم لايتجاوزديناراً واحداً ، ويضاف الى الرواتب قدح أوقدحان من الحب [1]

---

(١) القدح من الحب هو كيلة للحبوب تعادل ٣٢ كيلو والكيلة مزيج من العدس أو الشعير والذرة الصفراء وفي شهر رمضان تعطي الكيلة من الحنطة .

عيناً وراتب رئيس محكمة الشرعية هو أربعة دنانير مع أربعة أقداح من الحب وراتب الجنود يبدأ من ٢٠٠ فلس حتى يبلغ الـ ٦٠٠ فلس في الشهر يضاف الى ذلك ثلاثة كدمات من الخبز .

أموال بيت المال :

هذا هو الاصطلاح القديم الذي حافظت عليه الحكومة اليمانية فيما يخص مالية الدولة ، وتعتز الحكومة اليمانية في وفر أموال بيت المال ، وضبط الموازنة بين الوارد والصادر ، ولم يعرف من ابتداء عهد اليمن باستقلالها منذ تبوء جلالة الامام عرش البلاد ، عجز في أموال بيت المال ، أو الالتجاء الى القرض الداخلي أو الخارجي كما هي الحالة في بعض الممالك .

وتتألف أموال بيت المال من :—

أ — الزكاة المنصوص عليها في الشريعة الحنفية فهي تؤخذ عيناً مما تنتجه الأرض من الخيرات سواء كانت حبوباً أم ثمراً أم معدناً .

ب — واردات الكمارك وقدرها ٧٫٥ بالمائة على جميع البضائع الواردة من الخارج .

وتقدر أموال بيت المال الواردة سنوياً بأربعة عشر مليون ريال ، أما المصروفات فتقدر بأربعة ملايين ريال .

العملة المتداولة :

أما العملة المتداولة فهي قسمان :—

الأول — ريال (ماريا تريزا) الفضي المضروب .

الثاني — العادي .

فالأول والثاني قيمتهما واحدة ومعمولان من الفضة الخالصة ويتجزأ كل منهما الى أربعين (بقشة) ، أما الأول فيكرر ضربه في أوربا من قبل الشركات الأوربية التي تتعاطى التجارة في مياه البحر الأحمر .

والعادي والأجزاء فتضرب في صنعاء ، وقد كتب على كل جزء من أجزاء العملة عبارة (ضرب في صنعاء بدار الخلافة سنة ١٣٢٢) في أحد الوجهين وعبارة (الامام يحيي بن محمد حميد الدين نصره الله) في الوجه الآخر .

الفصل التاسع

الوزارات في اليمن . الجيش المظفر . تسليح هذا الجيش . الجيش الدفاعي التمثيل الخارجي

الوزارات في اليمن :

لقد أصدر جلالة الامام أمراً بتعيين البعض من أنجاله وزراء للدولة وخصص لكل منهم دائرة وكاتباً واحداً وثلاثة من الجند ، فعين سيف الاسلام عبدالله أميراً للحديدة ووزيراً للمعارف ورئيساً للمجلس العسكري الأعلى ، وسيف الاسلام علياً وزيراً للاقتصاد والأشغال العامة ، وسيف الاسلام القاسم وزيراً للصحة ، ورئيس الوزراء القاضي عبدالله العمري ، والقاضي محمد راغب بك وزيراً للخارجية .

أما وزارة المالية فقد احتفظ بها جلالة الامام لنفسه لحرصه على أموال المسلمين من أن تصرف في غير وجهها الشرعي ، ويساعد جلالته رهط من الكتاب مؤلف من القاضي عبدالله العمري والقاضي حسين المطهر ، وهذا يشغل وظيفة رئيس الديوان ، والقاضي عبدالكريم المطهر ، والسيد عبدالله الوزير ، وغيرهم من القضاة والفقهاء الذين يتألف منهم مجلس جلالة الامام اليومي ، والجميع لا يبتون في حكم اذا لم يذيل أو يشار بموافقة جلالة الامام عليه ، أو توقيعه الشريف عليه بعد الاشارة أو التذييل .

وتختلف إشارة الامام المقدسة بحسب خطورة الأمر ، فان كان الأمر بسيطاً أشار بكلمة (لا بأس) وان كان مهماً يوقع جلالته التوقيع الكامل

(عبدالله وفقه الله) بعد الاشارة والموافقة وكلا التوقيعين يوضع في أعلى الورقة ويوضع فوقها (تراب أحمر) (ريق) حتى يأخذ التنفيذ مجراه .

الجيش المظفر :

ولابد لي وأنا أسجل بعض الصور عن المجتمع اليماني الشقيق أن أجلو صورة ظاهرية للجيش اليماني وروحياته وأرقاماً تقريبية لوحداته وطراز تسليحه وتدريبه قبل أن تصل البعثة العسكرية العراقية التي أوفدت للتعاون مع الجيش اليماني الشقيق في عهد حضرة صاحب السمو الملكي الوصي المعظم ، وأعرض عرضاً موجزاً لما قامت به البعثة من خدمة وتدريب وتنظيم بقدر ما سمح به جلالة الامام حفظه الله .

رقصة البرع



رقصة البرع رقصة مشهورة في اليمن يرقصها الناس على نغمات الطبول ، وترى هنا جنديين من الجيش المظفر يرقصان تلك الرقصة أمام المؤلف ، حاملين باحدى أيديهم البندقية وبالأخرى خناجرهم مسلولة من أغمادها وهذه الرقصة تشبه الرقصة التي ترقصها شعوب (اللاز) الساكنة على ضفاف البحر الأسود الى حد كبير .

ينقسم الجيش اليماني الى ثلاثة جيوش واليك تفاصيلها :—

١ — الجيش المظفر — وهو الجيش الدائمي للمملكة ويؤلف من عدة ألوية ، كل لواء يتألف من ثلاثة أفواج وبامرة هذا الجيش عدد من وحدات المدفعية وسرايا الرشاش ، ووحداته منبثة في جميع أنحاء المملكة ، وواجبه الرئيسي حفظ الأمن في الداخل ، وجباية الضرائب ، والقيام بأعمال الشرطة والدرك إضافة الى واجباته الأصلية (كجيش) . وهذا الجيش معقود لواء إمرته للسيد علي بن ابراهيم من أحد البيوتات الهاشمية العريقة في اليمن والتي تمت بصلة القربى الى جلالة الامام .

وتدريب هذا الجيش كما شهدناه في بدء زيارتنا لليمن هو القيام بمسيرات واتقان بعض الايعازات والحركات التركية التي كانت موجودة في الدولة العثمانية . ويدير وحدات هذا الجيش بقية من الرجال العثمانيين العسكريين الذين آثروا البقاء في اليمن تحت ظل الدولة الامامية الحديثة ، وهم ما زالوا حتى الآن يحملون الشارات والرتب العثمانية ويرتدون اللباس العثماني .

أما طريقة التجنيد لهذا الجيش فهي التطوع مدى الحياة للجنود والضباط ، واذا أراد أحد الجنود ترك الخدمة فعليه أن يأتي ببديل له ليحل محله ، ويستفيد جنود هذا الجيش وضباطه عند قيامهم بواجبات الشرطة والجباة خارج صنعاء أي (مأمورية) على حد تعبيرهم استفادات مادية من الأهلين ، ومن هذا الجيش يخرج الحرس الخاص (العكفة) لجلالة الامام ، والحرس الخاص (العكفة) لكل سيف من سيوف الاسلام ولكل عامل من عمال الولايات (الألوية) والأقضية والنواحي ، ومن هذا الجيش أيضاً يخرج الجنود المزارعون الذين يقومون بزراعة وسقي بساتين جلالة الامام ، وبساتين السيوف ، ومزارع بيت المال ، وروحيات هذا الجيش عالية .

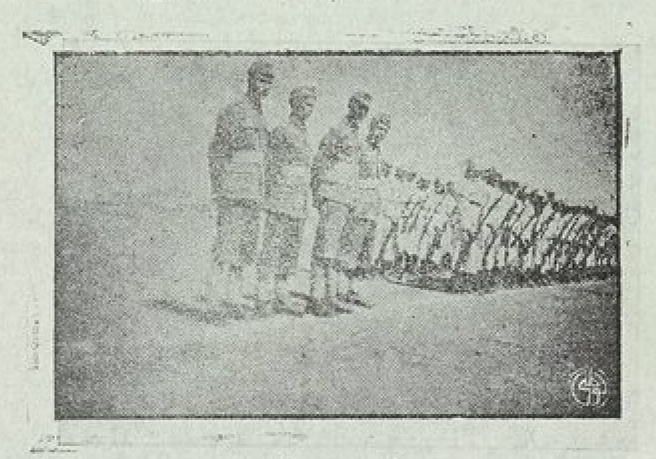
تسليح هذا الجيش :

ويسلح هذا الجيش بالبنادق والرشاشات والمدفعية كالجيوش الأخرى وقد نشأت معضلة تموين هذا الجيش بالعتاد ، وهو صالح لمقاتلة القبائل ومقاتلة الدول المماثلة لتنظيم وتسليح الجيش اليماني وأسلوب عيشه وتدريبه وادارته .

الجيش الدفاعي :

كان تحسين باشا الفقير احد الضباط العثمانيين المتقاعدين والذي سبق له ان خدم في الجيش الحجازي برتبة فريق قد عرض خدماته على جلالة الامام

اللواء الاول قبل الاستعراض



في الصورة يظهر اللواء الأول من الجيش الدفاعي بعد اكمال تدريبه متهيئاً للاستعراض أمام سيف الاسلام عبدالله ، ويرى ضباط الصف المعلمون وهم (قحطان خضر وسعدون حسين وصبري والسيد كاظم حمودي) .
(قلب اليمن)

لتنظيم الجيش اليماني مقابل راتب قدره (٢٥) جنيهاً ذهبياً ، فوافق جلالته وحضر الفريق تحسين الى صنعاء بعد الموافقة ، ثم الف كتاباً أسماه (مسهل التدريب للفريق تحسين الفقير) ويحتوي هذا الكتاب على جميع العناوين

الخاصة بتدريب المدفعية والرشاشات والبندقية والمشاة الخ . . وقام بالخدمة في الجيش الدفاعي المرابط في العاصمة .

ألف تحسين باشا الفقير جيشاً نظامياً من كافة القبائل الزيدية لتدريبهم على كافة أنواع الأسلحة كالمدفعية والمشـاة والرشاشات خلال مدة أربعة أشهر حسب المنهاج الموضوع في كتابه (مسهل التدريب) وفي نهاية كل أربعة أشهر كان يسرحهم ويأتي بغيرهم ، وهو يدعي بأنه استطاع تدريب خمسين الف جندي لليمن مدة اثني عشر عاماً وهي مدة خدماته باليمن .

الحرس اليماني

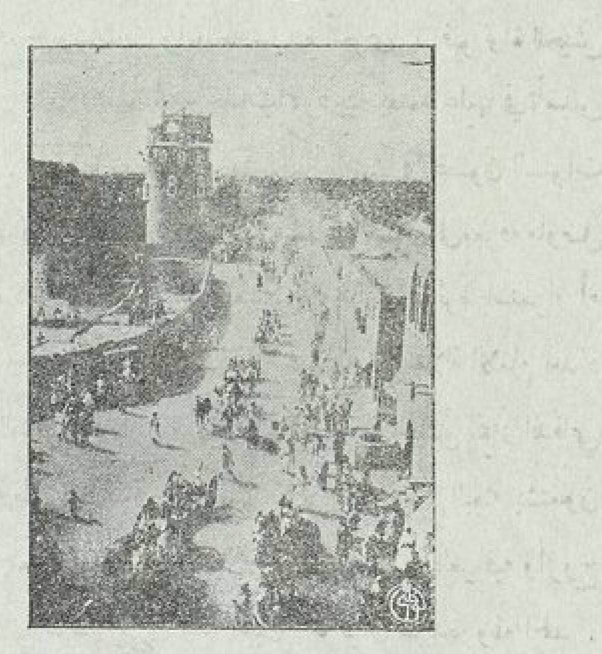


حرس من الجيش اليماني يؤدي التحية العسكرية إلى معلم الجيش

ولنا أن نقف قليلا على مشروع تحسين باشا الفقير فنقول : إن أربعة أشهر لا تكفي ولن تكفي لتنشئة الجندي الغر في استعمال بندقيته واستعمال الأرض ومعرفة أساليب القتال الحديثة وغيرها ، هذا عدا أساليب استعمال المدفعية والرشاش وغيرها إضافة على أعمال البندقية . ولكنني لا أريد أن

أبخس حق الرجل وأنكر عليه مواهبه بل أقول إنه تدرب في المدرسة العثمانية القديمة وأحيل على التقاعد قبل التطور الذي جرى على الجيوش خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها . يضاف الى ذلك أنه رجل وحيد لا مساعد له ولا عضو يعينه في التدريب من الضباط وضباط الصف ، لذا كان يهتم بالشكليات الظاهرية كالمسيرات والاستعراضات أكثر من التدريب الحقيقي للقتال . ولقد أدى الفريق تحسين الفقير مهمته بأمانة وإخلاص .

برج الاستعراض



يظهر في الصورة (برج الاستعراض) في دار السعادة الذي يجلس فيه جلالة الامام في كل يوم جمعة بعد صلاة الجمعة يستعرض فيه الجيش والمدارس ، وتظهر في الصورة أيضاً قطعات المدفعية عند مرورها من قاعدة الاستعراض . (قلب العين)

وعندما شاهدنا نحن الحالة واطلعنا على أساليب تدريبه وادارته قررنا فتح دورة لأربعين ضابطاً وضابط صف ، كما سترى في بحث أعمال البعثة العسكرية العراقية الى اليمن .

وفي خلال السنة الثالثة من اشتغالنا أصبح الجيش الدفاعي موضوع البحث بتدريبه وتسليحه ومناهجه المضبوطة والضامنة لنجاح ضباطه وضباط صفه وبأوامره وإيعازاته قريب الشبه بالجيش العراقي الباسل المعزز وإن كان يختلف عنه بالكم والكيف .

وعندما تركت بعثتنا اليمن كان الجيش الدفاعي مؤلفاً من لواء مشاة كامل وفوج نموذجي وفوج رشاشات وأسلحة ساندة أخرى ، فهو نواة للجيش اليماني الذي يجب أن ينمى وتنشأ عليه وحدات أنموذجية يعتمد عليها في تأسيس الجيش اليماني المقبل . ولا أعلم عن حالة الجيش اليماني شيئاً في غضون السنوات الثلاث الأخيرة بعد أن تركنا اليمن ، وقد كنت شديد التشوق الى معرفة ما وصل اليه ، كما كنت شاكا في التعاليم العراقية العسكرية وهل هي سائرة باستمرار أم أنها اندرست ؟. غير أن زيارة سيف الاسلام عبدالله نجل جلالة الامام بغداد أتاحت لي الفرصة للتشرف بزيارته والاستفسار عن حالة الجيش اليماني الدفاعي الذي كنت معلماً له طيلة مكثنا في اليمن بينما كان بقية أفراد البعثة يشتغلون في الجيش المظفر بأجمعه ، فطمنني سموه بأن التعاليم العسكرية العراقية والروح العسكرية العراقية التي غرسناها في هذا الجيش ما تزال سائدة ولله الحمد ، وأن وحداته ما تزال في نمو واطراد .

الجيش البرانى :

وهو الجيش الذي يدعى بأمر خاص من جلالة الامام في حالة الطوارئ ،

ويشمل هذا الأمر كل مكلف وقادر على حمل السلاح من العشائر .

وقد لاحظت الامتثال العظيم لأمر جلالته عند صدور الأمر من جميع القبائل .

أقول لاحظت سرعة تقدم الرجال للخدمة بشوق ورغبة بشكل تعجز عنه البلاد التي تتمشى بدقة وراء الدساتير والقوانين .

والجيش البراني هو الجيش الاحتياطي العام بعد الجيشين (المظفر) و(الدفاعي) المنظمين . ولم أسمع بأن جنديا هرب من الجيش لأي سبب من الأسباب .

التمثيل الخارجي في اليمن :

لم تكن اليمن قبلا ولا حكومتها تؤمن بالدعاية الخارجية ولا بالعلاقات الودية مع الدول الأخرى ، حيث كانت لها عقيدة خاصة راسخة مستمدة من حياة عزلتها بأن كل تمثيل خارجي لابد وان يعقبه اتفاق تجاري واقتصادي وعسكري وامتيازات أجنبية وآخر الأمر يفضي الى احتلال أجنبي .

وعلى ذلك لم تكن لتؤمن الحكومة اليمانية بكل الصلات الدبلوماسية ولا تقيم لها وزنا ، إنما كانت ترى أن ضررها أكثر من نفعها ، وعلى هذا لم ترسل أي موظف لها الى الخارج ليقوم بتمثيل بلاده إلا اذا استثنينا (فقيها) واحداً قائماً بواجب الوكالة للحكومة اليمانية في عدن .

ولئن فتحت اليمن اليوم كوة لها الى الخارج فانها تجابه صعوبة في ايجاد الموظفين اليمانيين الذين يقومون بتمثيلها لعدم وجود من يحسن لغة أجنبية في المملكة إلا بعض البقية من السيوف العثمانيين الذين يحسنون لغتهم التركية وحدها وذلك لأن اليمن لم تتهيأ لهذه المهام الدولية بعد . ولقد رأيت أن

سيف الاسلام عبدالله اليوم يمثل بلاده على رأس وفد اليمن في هيئة الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ومعه بعض الاختصاصيين المصريين واللبنانيين الذين يعاونونه بهـذه المهام الدولية كالمستشارين القضائيين ، والمترجمين . وقد علمت أن الشباب اليمانيين الذين رافقوا سموه في المؤتمرات الدولية أخذوا يتكلمون بعض اللغات الأجنبية بطلاقة مما يبشر بأن اليمن خرجت من عزلتها القديمة .

الفصل العاشر

العزلة والمذاهب الاجتماعية الجديدة

في بلاد اليمن

العزلة اليمانية :

كانت اليمن مع ما كان من البلاد العربية في مختلف عصور التأريخ مسرحاً لألوان من الدول من فارسية وحبشية حتى اذا ما اهتدت بنور الاسلام وتغلغلت فيها تعاليمه التي اعتنقها اليمانيون لأنها التعاليم العادلة ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عربي قريشي من صميم العرب وساداتهم وكان ماجاء به عليه الصلاة والسلام من عند ربه من الشريعة والقرآن الكريم كفيلا لأن ينظم أحوالهم ويجمع شملهم ويخرجهم من الظلمات الى النور ، ومن الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء الى الحياة والعلم والمعرفة والعدل والاخاء والمساواة وقواعد الاجتماع الثابتة وسنن العمران المحكمة وأصول الحكم الصحيحة المبنية على حفظ المصالح ، الموافقة للمنفعة العامة في كل زمان ومكان . فقد اتخذت اليمن الاسلام ديناً لها ، وانضوت تحت رايته في مختلف أدوار الحكومات الاسلامية ، وانصهرت في بودقة الاسلام فاستقام أمرها وانتظم شملها وخلقت خلقاً جديداً ، وكانت متصلة بكافة أجزاء العالم الاسلامي تبادلها البضاعة ، على الطرق المعروفة في مختلف العصور والادوار ، وتشعر بشعورها ، وتبادلها عطفها ، وتساهم واياها في الفتوح والعمران ، وقد دخلت مع من دخل من شقيقاتها العربيات تحت الحكم العثماني الى انتهاء الحرب العالمية ١٩١٤ — ١٩١٨ .

وفي خلال الحكم العثماني حاولت الدول الغربية الكبرى أن تلعب أدواراً مهمة لادخال اليمن تحت نفوذها وذلك لانها تقع على طريق الهند وبلاد الشرق الاقصى الذائعة الصيت في غناها وتجارتها ووفرة خيراتها وغزارة معادنها ونفائسها طمعاً بالاستيلاء عليها ، فكتب النجاح لبعض تلك الدول حيناً والاخفاق حينا آخر حسبما كان وضع الدولة العلية وسياسة الباب العالي آنئذ .

وكان جلالة الامام يحيي حميدالدين الحسني العلوي أسد اليمن الجبار وسيد البلاد السعيدة ، وقد انضوى جميع اليمانيين تحت رايته الامامية الشريفة ، يرقب الاحوال من كثب ويجمع العدة للوثبة وقد حنكته التجارب وأحداث الحروب السياسية أيما حنكة ، وخرجته الدروس القاسية التي اجتازتها البلاد اليمانية أحسن تخريج بالاضافة الى زعامته الدينية وتبوئه منصب الامامة الزيدية الطاهرة ، شأن آبائه وأجداده من آل البيت الكرام .

إن هذه الخبرة الطويلة التي خبرها في الاحداث الجسام جعلته ينظر الى الدول المستعمرة — مهما كان شكلها ولونها — بمنظار أسود لجشعها وطمعها في بلاده واستثمار خيراتها ، فألقى في روع قومه وشعبه الكريم العريق في عروبته ، الراسخ في إسلاميته نبذ كل أجنبي وكراهية كل أجنبي، وما إن تسلم جلالته أعزه الله بعد أن وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها زمام الحكم ، واستقام له الامر في حكم البلاد اليمانية حتى أخذ لنفسه كافة السلطات المدنية والدينية التي كانت محصورة في السلطات العثمانية المرابطة باليمن والتي كانت تستمد صلاحياتها من الباب العالي في الاستانة

بالاضافة الى سلطته الروحية كما أسلفنا والتي مارسها قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى .

فحالما استقر الحكم في اليمن لجلالة الامام وتقلص نفوذ آل عثمان فيها بل زال نهائياً بذل جهوداً جبارة باغلاق أبواب اليمن في وجه كل أجنبي مهما كانت جنسيته .

فصحّ له العزم ونجح في هذا الاتجاه نحو ربع قرن وإن أدى ذلك الى انقطاع اليمانيين عن العالم الخارجي هذه المدة الطويلة ، وسبب هذا الانقطاع الى بقاء اليماني على ما كان عليه ، وأن يكون تفكيره وتصرفاته ونظرته في الحياة كلها يمانية صرفة لا أثر بها للتأثرات الخارجية أبداً ، حسنة كانت أم غير حسنة صالحة أم غير صالحة .

فاليماني إذن بحكم عزلته هذه الحقبة من الزمن ليس غريباً عليه أن يصور لك العالم تصوراً لايمت الى المدنية العصرية بكثير - من الصلات - ولا بقليل لأنه يعتقد أن العالم الخارجي منكرات وشرور ومفاسد .

أما الجنة أما النعيم فهي اليمن واليمن فقط . والعدل الالهي ليس له وجود في غير صنعاء أبداً . فأين العالم الخارجي ؟ وما العالم الخارجي يا صاح في نظر اليمانيين أهي (بلاد مدخل[1]) ؟ فهذه وغيرها لا قيمة لها عندهم فهي مبعث شكهم وريبتهم ، وان كل وارد الى بلادهم هو مبعث شكهم وريبتهم أيضاً .

إنهم يؤثرون العزلة عن العالم الخارجي خشية استعباد بلادهم عن طريق الاتصال ، ولقد استحكمت العزلة في نفوسهم حتى أصبحت جزءاً من حياة

---

(١) أي البلاد الواقعة في مدخل البحر باصطلاح اليمانيين .

كل يماني ، فتراهم منعزلين حتى في دورهم ومعاملاتهم وهم لا يجاهرون بآرائهم وعقائدهم مهما كانت درجة ثقتهم بجليسهم ، فليس غريباً أن تتردد اليمن في قبول كل مشروع قومي أعد لخدمة العرب لا لأنها لا تريد التفاهم والصلة الكلية بشقيقاتها البلاد العربية ، بل لأنها تعتقد بأنه ليس صادراً عن مطبخ العرب وإنما هو من مطابخ لندن أو باريس أو نيويورك أو غيرها من عواصم الدول الكبرى .

هكذا أصبحت العزلة اليمانية في اليمن عزلة بكل ما في العزلة من معنى ، وقد أفادت البلاد من ناحية وأضرتها من ناحية ، أفادت في البعد عن المعنى الاستعماري المقيت الثقيل ، وأضرتها في البعد عن وسائل الراحة في الحياة الجديدة . وقد زار اليمن كثيرون من الاجانب من مندوبي الدول الاجنبية وقصدوا صنعاء ليفاوضوا حكومة اليمن في مختلف القضايا فيما يخص الحدود مثلا أو التجارة أو تأسيس مشاريع اقتصادية وعمرانية وزراعية وصناعية فكان المندوب المفاوض منهم يبقى منتظراً نتائج المفاوضة وبعد أن تمر عليه الايام والاشهر حتى يتسرب اليه الشك من أمر المفاوضة ويعتريه الكلل والملل ويخيل اليه أنه سيعود بنتيجة مرضية واذا به يجابه بعبارة : بأن الوقت الحاضر لا يساعد لانهاء هذه المسائل ويرجى أن تفيدوا حكومتكم بتأجيلها الى ما بعد الحرب .

قيمة المذاهب الاجتماعية الجديدة :

لقد حدثني رجل ثقة في صنعاء الحديث الآتي :—

قبل الحرب العالمية الاخيرة كانت قد حددت السيطرة الدولية على

البحر الاحمر وبلاد اليمن باتفاقيــة (الجنتلمان Gentelman) المعقودة بين ايطاليا وانكلترا سنة ١٩٣٨ التي تركت جنوبي الجزيرة العربية على وضعها السابق . وكانت بلاد اليمن تستورد ما تحتاج اليه من المواد الخام من بلاد اليابان لرخصها آنذاك ومن الاسواق الهندية التي كانت بضائعها رخيصة كبضائع اليابان . وكانت (الـكومنترون — الدولية الشيوعية الثالثة) تستهدف طرد النفوذ الايطالي والانكلوهندي الاقتصادي والتجاري من جنوب الجزيرة العربية ومداخل البحر الاحمر والمحيط الهندي . وفكر دعاة الشيوعية بعد استطلاع دقيق قاموا به من قاعدتهم جدة (مقر المفوضية السوفيتية) بغزو أسواق اليمن ببضائع رخيصة مشابهة للبضائع اليابانية والهندية والانكليزية والايطالية وقد استأذنوا جلالة الامام في ذلك فلم يبد جلالته أي امتناع طالما هم مقدمون على جلب بضائع رخيصة الى بلاده لتأمين رفاهية الشعب اليماني وسد حاجاته ، وفعلا أرسلوا بعثة تجارية مكونة من سيدين أحدهما مسلم شيوعي والآخر روسي وسيدة روسية وفتحوا لهم مخزناً تجارياً في صنعاء وكان ذلك قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وجلبت هذه البعثة أموالا كثيرة ، وأخذت تبيع هذه الاموال للناس بالآجال الطويلة والاثمان الرخيصة ولم تمض سنة واحدة على وجودها في صنعاء حتى استطاعت أن تحد من نشاط التجارة اليابانية والهندية وغيرها لرخص بضاعتها وتساهلها في البيع بالآجال الطويلة .

وعند تأزم الموقف العالمي أفرغت مخازن هذه البعثة ونفد ما كان فيها من أموال وعادت الى بلادها بخفي حنين .

وأفلست الشيوعية في صنعاء كما أفلست سابقتها ايطاليا في الفاشستية لأن اليمن لا تؤمن ولن تؤمن ، رغم فقر أبنائها ، بهذه المذاهب وما يرد اليها من المذاهب الاجتماعية من الخارج لأن شعب اليمن مؤمن مسلم يؤمن بالقرآن وتعاليمه وقضاء الله وقدره ، ولا تهمه كل مغريات الحياة .

الفصل الحادي عشر

الأزياء في بلاد اليمن

السادة الهاشميون . الفقهاء . الصنعائيون . القرويون والعشائر . التهاميون . اليهود .

للزي في الحياة فلسفة خاصة ، فهو ينم عن عادات القوم وتقاليدهم وطرق تفكيرهم ، واللباس يخضع من حيث نوعه ومادته لعامل المناخ كما هي الحال في أكثر بلاد العالم .

وفلسفة الزي في بلاد اليمن تتجلى لك فيها من حيث التقسيم الديني والطبقي في المجتمع اليماني ومركز كل فرد منه ، فالسكان ينقسمون في اليمن من حيث المظهر والزي الى عدة أقسام ، ويتفاوت لباس السكان تبعا لمراكزهم ودونك تفصيل ذلك :—

السادة الهاشميون :

يعتم السادة الهاشميون ، وعلى رأسهم جلالة الامام يحيى حميدالدين المعظم وأنجاله سيوف الاسلام الكرام ، بعمامة بيضاء وقد أسلفنا القول عنها ويرتدون الثوب المهلهل ذا الاكمام الفضفاضة ، تعلوه جبة من الجوخ الاحمر والبني ، ويلبس هؤلاء النبلاء نطاقات من الجل (لا يقل عرض أحدها عن خمسة عقد) موشاة كلها بالذهب الخالص والفضة المموهة ، يتوسطها خنجر ذو غمد ذهبي أو مطلي بالذهب وينتعلون الحذاء العادي المعروف .

الفقهاء :

أما الفقهاء فيرتدون لباسا مماثلا للباس السادة إلا أنه يجب أن يكون دونه نوعا وقيمة .

الصنعائيون :

ويعتم الصنعائيون من ذوي المهن العمامة البيضاء ويرتدون القميص المهلهل (الزنة) يعلوه حزام من الجلد المغشى بالفضة المموهة بالذهب ويتوسطها الخنجر (الجنبية) وينتعل النعال أو الحذاء .

القرويون والعشائر :

ويعتم القرويون والعشائر بالعمامة السوداء ، ويرتدون القمصان القصيرة عادة ويعلو القمصان القصيرة المعروفة وهي بمثابة نصف فروة ومقطب (وزرة) ويلبسون نطاقا من الجلد العريض على أحقائهم وخنجر وهما خاليان من التحلية بالفضة أو الذهب .

التهاميون :

أما سكان تهامة فيرتدون الوزرة والقميص الرقيق والقبعة الوطنية ، وكساء الرأس عند قبيلة الزرانيق في تهامة غطاء منسوج من القصب الهندي الناعم وهو يشبه الى حد بعيد الطاقية (العرقچين) فضلا عن القبعة التي يرتدونها في الخلاء فقط .

اليهود :

أما اليهود فقد فرض عليهم زي خاص ومظهر خاص ، ويتألف لباس الذكور منهم ، ومظهرهم كما يلي :— ضفيرتان من (سوالف) الرجل ترسلان الى كتفيه ، وشعر رأسه محلوق تعلوه قطعة من

القماش الاسود فوقها طربوش أسود قصير ولحية مطلقة (زنة) سوداء منقطة باللون الاصفر ، تعلوه نصف فروة ذات أكمام قصيرة ، يتوسطها نطاق من الجلد بدون خنجر ، وينتعل بخف (النعال) . هذا هو كل مظهر اليهودي اليماني وزيه ولباسه سواء أكان تاجراً أم كبيراً أم كناسا في الشوارع ، ولا يحق لليهودي أن يبدل زيه أو مظهره مهما كانت الظروف والاحوال . أما زي المرأة اليمانية وجمالها فسنذكرها في فصل خاص بها .

الأزياء المختلفة في صنعاء



الفصل الثاني عشر

المرأة في المجتمع اليماني

نظرتهم الى المرأة . الطلاق . لابد للمطلقة من التزوج . جمال المرأة اليمانية . الزواج وتقاليده . مراسيم الزواج النهائية . أزياء المرأة والتجميل . مراسيم الدفن . التحية عند اليمانيين . الملاهي .

مكانة المرأة في المجتمع اليماني :

كثر التحدث في الشرق عن المرأة وعن عزلتها وإهمالها في ربع قرن مضى ومايزال بعض الكتاب والمصلحون يعالجون هذا الموضوع الحيوي ، فكانوا يلقون من التقدميين رضا وارتياحا وتأييداً ، ومن الرجعيين عنتا وضداً ومقاومة وسخطا . ومهما يكن من الأمر فان هذه القضية الحيوية التي أشغلت زمنا سائر الكتاب وجميع الطبقات ستحل نفسها بنفسها ، حسب سنن التقدم والرقي ، ويؤيد ذلك ما نراه بمصر حيث شقت لنفسها الطريق عكس تركيا وايران وافغانستان حيث جرى سفور المرأة وخروجها الى العالم والى مراكز الاعمال بصورة رسمية .

وأنا في بحثي هذا كما يعلم الله ويشهد المخلصون من معارفي وأصدقائي الذين يعلمون مبلغ حبي للبلاد العربية السعيدة ومملكة جلالة الامام يحيى حميدالدين المعظم لا أقصد من بحثي أن أحط من شأن المرأة اليمانية والأخت اليمانية وإنما أرغب من صميم قلبي تثقيفها وتعليمها على غرار أخواتها العربيات

العراقية والسورية والمصرية ، فما يزال الرجل اليماني كما كان أخوه العراقي منذ خمسين عاماً أو أكثر ينظر الى المرأة كأمة مملوكة لأبيها إن كانت في عصمته ، ولزوجها إن كانت في حصانة الزوج ولا قيمة للمرأة في اليمن إلا من حيث خدمة الزوج ، وانتاج النسل والطهي وغير ذلك من مهام تدبير المنزل .

فكان لنظرة الرجل الى المرأة هذه النظرة القاسية أثر عميق في نفسها عاشت عليها دهراً طويلا حتى غدت ترى نفسها وضيعة مهملة مملوكة لوالدها إن كانت آنسة أوعانساً ، ولزوجها إن كانت متزوجة . أما ترى هذا الطابع للمرأة بينا في المرأة والرجل والمجتمع اليماني وتراه يجري في ألسنتهم وتتناقله حتى أمثالهم السائرة، ومن ذلك المثل عندهم (المرأة ناقة وإن هدرت) وهذا المثل وحده يكفيك مؤونة السؤال عن قيمة المرأة الحقيقية في بلاد اليمن .

ويحظر على المرأة أن تسأل زوجها شيئاً أو تناقشه في شيء ، وهي ملزمة بأداء فرائض الخضوع والطاعة اليه خضوعاً منقطع النظير . ولئن كنا نرى في لفظة (سيدي) التي تخاطب بها المرأة اليمانية زوجها جمالا ومدلولا ينطوي على المودة وتبادل الاحترام ، إلا أن لها لدى اليمانيين ولدى المخاطبين (الزوجين) مدلولا آخر ينطوي على العبودية والتملك والاستكانة المطلقة .

واذا ما قدر لفتاة يمانية حظها السعيد التزوج بسيد علوي وكانت هي أعرابية فأنجبت أولاداً فعليها أن تنادي ابنها (سيدي) وابنتها (ستي) ويتبع ذلك اسم كل منهما .

والطلاق في اليمن من الأمور المألوفة المعروفة ، والرجل عندهم اذا طلق امرأته سلبها كل ما تملك حتى الأثواب وحتى الشعار ، ويعيدها الى أهلها

كما استلمها منهم لدى زواجه . وكم من نسوة رأيتهن في كل صباح قادمات من أطراف المملكة النائية يحملن بأيديهن العرائض واقفات بباب القصر الامامي ينادين (أنصفنا يا أمير المؤمنين) . والمرأة المطلقة سرعان ما تختار لها زوجا فلا تبقى مهملة باعتبارها مجربة أكثر من سواها ، وكثيرات من النساء اللائي تزوجن بعدد كثير من الرجال في حياتهن .

جمال المرأة اليمانية :

اذا عرّفنا الجمال من الوجهة النفسية الذاتية فهو الشيء الجميل الذي يروق لفكرة الكمال في العقل .

وإن المرأة اليمانية من هذه الناحية في التعريف مظلومة أشد الظلم ، لما رأيت من وضعها الاجتماعي وكونها مهملة وساعة أو عدة أو أداة من أدوات البيت لا أقل ولا أكثر ، فأين تفكيرها وأين ميزتها العقلية وأين نضوجها العقلي في فهم الوجود والغاية من الوجود ؟؟.

أما اذا عرّفنا الجمال من الوجهة الخارجية بكونه ذلك الشيء المنسق في تركيبه ، الموحدة عناصره ، والتابع لناموس التجانس والتساوق إلا بداعي الخالي من التصنع والتكلف ، فالمرأة اليمانية جميلة من هـذه الوجهة ، فهي متناسبة الأعضاء ، متجانسة التركيب وإن اختلفت بشرتها بين صقع وصقع .

ومن يدري فلو قدر للمرأة اليمانية يوماً أن يكون لها من الحقوق ما لأخواتها العربيات أن تكون جميلة كل الجمال من الوجهة السيكولوجية أي النفسية على حد تعبير علماء النفس بعلمها وفنها وحسن انتاجها وابداعها ونظرياتها الخاصة في الأوضاع الاجتماعية والمبادئ العلمية .

ومن الضروري جداً أن تقدر لهذه المرأة العربية القحطانية النجار أن تكون جميلة من الوجهة النفسية يوماً من الأيام ، لأن دماغ القحطاني ثمين كما ثبت وأقر وأجمع على ذلك علماء الأجناس .

وها نحن أولاء نستعرض للقارئ الكريم الجمال في المرأة اليمانية من حيث هو جمال ذاتي على ما أصطلح عليه في مجتمعنا وما هو كائن في هذه المرأة في أصقاع اليمن ، واذا ما أردنا الرجوع الى تأثير المناخ على البشرة الحيوانية في هذا الحيوان الناطق ، على حد تعبير المناطقة ، وجب علينا أن نذكر لك أن اليمن تقسم جغرافياً الى قسمين : تهامة ، والمنطقة الجبلية . أما تهامة فبلاد تقع على ساحل البحر الأحمر وهي استوائية شديدة الحرارة صيفاً ، وشديدة الرطوبة شتاء ، فأثر هذا المناخ القائظ اللافح على بشرة السكان ذكوراً واناثاً فكانت بشرتهم سوداء أو قريبة من السواد أي السمرة الشديدة ، وهذه السمرة الشديدة تلمحها في نساء تهامة وقد تمازجها الصفرة أيضاً ، ومع ذلك فان التناسق الجسمي في الأنثى العربية القحطانية التي أورثتها المرأة التهامية هي هي ، وهي بالظاهر بعيدة عن لون المرأة العربية ، وقد أدت عوامل كثيرة الى أن يكون صوت التهامية رخيماً عذباً رقيقاً ، وجسمها رشيقاً ، وطبعها ليناً ، وخدمتها للبيت قيمة حسنة ، ولباسها المؤلف من القطب الملون (الوزرة) يعلوه قميص من الحرير ذو أردان قصيرة ، يضاف الى ذلك رشاقة المرأة المتحضرة وحسن هندامها وتجانسه ومناسبته لجسمها .

أما المرأة في المناطق الجبلية المعتدلة فترى لونها يبدأ بالنصول من شدة السمرة كلما ارتفعت الأرض عن سطح البحر ولاسيما اذا سرت شمالا حتى

اذا ما وصلت صنعاء ووجدت نساءها لا يختلفن في لون البشرة عن سكان المنطقة المتوسطة من وادي الرافدين .

فلون نساء صنعاء يغلب عليه اللون الحنطي والبياض ، وأجسامهن رشيقة غير مترهلة يفقن جميع نساء العربية بسواد العيون وخفتهن وميلهن الى الأنس والطرب في مجتمعهن النسوي ليتخلصن ولو لأمد قصير من قيود المجتمع الثقيلة المفروضة عليهن .

والحجاب مفروض على الأنثى اليمانية منذ سن الخامسة وما فوق ، ولكم شاهدت الصبايا يلعبن في الشوارع والأزقة وهن محتجبات ، وحجاب اليمانية أشبه ما يكون بحجاب المرأة الهندية المسلمة .

الزواج وتقاليده :

على الوالد أن يعرض على من يريد الزواج بأن له كريمة [1] تصلح للزواج ، وقد تقوم النساء بدور مشاهدة الفتاة ووصفها لطالب الزواج ، فاذا ما حصل التراضي بين الفتى ووالد الفتاة وتم الاتفاق على المهر — وهو بسيط — يستدعى (عاقل الحارة) المختار وفقيه الحارة وشاهداً عدلا فتجري مراسيم العقد وفي آخرها تقرأ الفاتحة لروح النبي صلى الله عليه وسلم ثم ينثر والد الفتاة مقداراً من الزبيب على رؤوس الحاضرين فيتلاقفه هؤلاء من الأرض كما تتلاقف الجياع الطعام من القصاع . وهذه المراسيم يجب تنفيذها بمثابة سنة محلية ، وبعد انتهاء العقد يذهب العريس الى داره ليهيء لعروسه ما يلزم من الثياب والفراش والأواني وكل مقتضيات الحياة الزوجية

---

(١) الكريمة في لغة اليمن هي البنت وهي من الفصحى .

ليلة الحلفة[1] وعلى اهل العروس تهيئة فتاتهم وتزيينها لتزف الى زوجها في ليلة الحلفة .

مراسيم الزواج النهائية :

ولا يفوتني أن أذكر لك أن (الحريو[2]) في لغة اليمن هو العريس وان (الحريوة) هي العروس ، ولأجل أن تتم مراسيم الزواج بعد ذلك الحفل في المراسيم الأولى التي رأيتها يتوجب على الحريو أن يقيم حفلة سمر في داره يدعو اليها الأهل والمقربين ، وتبدأ هذه الحفلة من غروب الشمس ويذهب الحريو ورفاقه الى المسجد لأداء فريضة صلاتي الغروب والعشاء ، ومن ثم يخرج من المسجد ويرتدي عباءة حمراء مزركشة وقد أسدل طرفا منها على وجهه ليحجبه عن الأعين ولا يظهر من وجهه إلا عين واحدة ، ويحيط به رهط من الناس يحمل طائفةمنهم مصابيح غاز الاستصباح (اللوكس) امامه ويحمل آخرون المباخر ووراءه ، حملة القراعات (مفرقعات الاولاد) ليقذفوها في هذه الزفة ، ويقوم الذين يحيطون بالعريس بقراءة الفاتحة والصلاة على محمد وآل محمد كلما ساروا بضعة خطوات ، ويسيرون رويداً رويداً حتى يصلوا الدار ، وعند مدخل الدار يستقبل والد العريس ولده بالفاتحة فيأخذ بيد ولده الى المكان المعد لجلوسه مع رفاقه ، ثم يجلس على يمينه (النشاد) الذي ينشد قصائد من الغزل القديم ولاسيما تلك التي تختم بالمديح لآل الرسول صلى الله عليه وسلم ويبدأ رب البيت بتوزيع رزم

---

(٢) الحلفة — هي ليلة العرس على لغة اليمن .

(٣) الحريو — بفتح الحاء وكسر الراء وسكون الواو .

القات على المدعوين الذين يستمرون في مضغه وتدخين النارجيلة حتى الساعة الثالثة من صباح اليوم الثاني .

وهنا وفي هذا الوقت المتأخر من الليل يذهب والد العريس وحلاق العريس ومن له علاقة بالعريس من الرجال المتقدمين في السن ومعهم واسطة النقل وقد تكون جملا أو بغلا أو سيارة الى دار الحريوة لنقلها الى دار عريسها في هذا الليل وسكونه ، وعند مدخل الدار يستقبلهم والد العروس واخوتها بكلمات الترحيب التقليدية قائلين : « حيا الله من جاء ... (جيتوا) رحبتم تراحيب المطر ... يا مرحباً وسهلا ... الخ . . » ويتقدم الوالدان ليلثم احدهما يد الآخر على طريقة اللثمة اليمانية إذ يبدأ الصغير يلثم يد الكبير ثم يقبل الكبير يد الصغير مرات ، وبعده يتعانقان ثم تنزل العروس من غرفتها ومعها شارعتها (١) وتمتطي صهوة الحيوان المعد لنقلها على ان يقوم والد العريس بمسك مقود الحيوان ويسير والد العروس في يمين ابنته راجلا والشارعة في يسار العروس واخوتها حولها .

يسير هذا الجمع في هدوء الليل وسكونه سيراً بطيئاً يقف الفينة بعد الفينة لقراءة الفاتحة والصلاة والتسليم على روح النبي (ص) حتى دار العريس ، وهناك يرحب اهل الدار من الرجال بتحية مماثلة كما قدمنا في استقبال والد العريس في مدخل دار العروس ، وهنا تقاد العروس الى غرفة زوجها ويؤتى بالزوج حيث قد بلغت الساعة الرابعة صباحا ، وهنا يقوم والد العروس بالقاء بعض النصائح على ابنته وبعد ذلك يتركها في بيتها الجديد وحياتها الجديدة .

---

(١) الشارعة امرأة تقوم بخدمة العروس حتى تقضي العروس ٤٠ يوماً مع زوجها وهي عادة تقوم بمؤاساتها والانشاد لها وتدليك جسمها وتعطيرها وتمريضها لقاء أجر يدفع لها .

أزياء المرأة والتجميل

ليس للزي الحديث في لبس المرأة الذي عم أكثر أقطار الشرق من اوربا في اليمن من أثر البتة ، إنما يتألف زي المرأة اليمانية في المنطقة الجبلية من سروال اسود طويل يصل الى اطراف القدمين وهـذا الفستان

المرأة اليمانية في زيها الخاص الخارجي



طويل عادي من الحرير الموشى بالذهب ، وفي الرأس عصابة يعلوها برقع من (الكريب) الرقيق يدعى عندهم (طرحة) وفوقها ستار منمق بالازرق

والاحمر والاخضر والاصفر والابيض وعباءة وحجاب للوجه مشابه للون الستار ، كما ان النساء في اليمن يكثرن من لبس عقود الكهرب الخشن ، وفي الجملة يشبه لبس المرأة اليمانية لبس المرأة الهندية إلا في فروق محلية بسيطة .

اما نساء تهامة فيرتدين المقطب (اي الوزرة) بدلا من الزنة (الدشداشة) ونساء قبائل تهامة يلبسن القبعة فوق الحجاب الاسود .

والتجميل[١] عند المرأة الصنعانية هو الطلاء الاسود فتنمق بالسواد حاجبها وجنتيها وأناملها ومعصميها وقدميها ، وتميل الى طلاء الوجه بالعصفر[٢] وتتعطر كثيراً ، ومن مستلزمات تجميل المرأة الصنعائية ان تضع بعض اغصان نبات يسمى (شذب[٣]) يقال أنه يدفع الروح الخبيثة فوق صدغيها وتحت العصابة بحيث يتدلى وهو ذو رائحة عافة غير مستحبة وتكثر المرأة اليمانية من استعمال الكحل أسوة بالرجال الذين يكتحلون ويتعطرون حسب السنة .

---

(١) يقال للمرأة الصنعائية عندما تتزين (انها انتقشت) اي انها نقشت جسمها بالطلاء الأسود بخطوط ورسوم غريبة .

(٢) العصفر — الصبغ الأصفر (الكركم في العراق) .

(٣) الشذب هو السداب بالفصحى معروفة رائحته ويكثر غرسه في الحدائق الخاصة بدور الموصليين لهم فيه ما يشبه عقائد اليمانيين .

الفصل الثالث عشر

الاعياد والمآتم والملاهي

العطل الرسمية في اليمن :

تعطل كافة الدوائر الرسمية في اليمن خلال أيام شهر رمضان المبارك ، ويقوم الموظفون في أعمالهم الرسمية في الليل بدلا من النهار . أما العطل الرسمية الأخرى فلا تتعدى أيام الجمع أسوة ببقية الممالك الاسلامية.

الأعياد :

يحتفل اليمانيون في الأعياد الاسلامية الدينية كعيدي الفطر والأضحى ، أما أعيادهم الخاصة فهي :—

عيد الغشور أو (عيد الغدير):

ويصادف هذا العيد بعد عيد الأضحى ، ومن تقاليد أهل صنعاء فيه أن يخرجوا الى نشز من الأرض بعيد عن المدينة حوالي ثلاثة أميال ، حيث تنصب السرادق والخيام ، ويؤتى ببعض كتائب من الجيش ، وفي الساعة ٩٠٠ صباحا يحضر جلالة الامام وأنجاله ووزراؤه فيجلس الى حيث السرادق الخاصة بجلالته ، وبعد أن يستقر به المقام ، يقوم الشعراء والخطباء لالقاء الخطب والشعر في موضوع تجديد البيعة لجلالته ، وبعد انتهائهم تقدم لجلالته بندقيته الخاصة فيفتتحه بالرمي على هدف معين ، ثم يتبعه أنجاله وبقية الحاضرين حيث يقومون بمباراة بالبنادق ، ثم ينتهي الاحتفال بالألعاب الفروسية ، ويبقون على هذه الحال حتى الساعة ١٢٠٠ ،

أول جمعة من شهر رجب :

لما كانت اليمن قبلت الدعوة الاسلامية الحنيفة من غير حرب في أول جمعة من رجب ، اقتضى ذاك أن يحتفلوا في هذا اليوم ، ويميزوه عن بقية أيام السنة .

مراسيم الدفن :

مراسيم الدفن في البلاد اليمانية لا توجد في غيرها من البلاد الاسلامية ، لذاك جعلنا لها بحثاً مستقلا في هذا الكتاب ، اذا توفي شخص يكتب صاحب الميت كتباً الى الناس ينعاه اليهم ويذكر فيها اسم الجامع الذي سيصلى عليه فيه ، فيحضر الناس الى هذا الجامع ، وبعد غسله والصلاة عليه ، يحمل في نعش ويخرج موكب الجنازة على الترتيب التالي :—

تتقدم الجنازة تلامذة احدى المدارس يرتلون (جميعهم سورة من القرآن الكريم) ، فالنعش وحوله ذووا الميت ، فسائر المعزين من الناس . ومما يجلب النظر أن البكاء والعويل على الميت ممنوع بتاتاً ، وأن لبس السواد حداداً على الميت وخروج النساء الى المقبرة أثناء أخذ الجنازة اليها أو بعد ذلك ممنوع أيضاً ، وبعد أن يوارى في التراب ، يحمل كل واحد من الحاضرين قليلا من التراب ويحثوه على قبر الميت ولسان حالهم يقول من التراب والى التراب نعود .

ثم يصطف ذوو الميت على يمين المقبرة ويتقدم المشيعون واحداً واحداً يعزونهم مصافحة قائلين : البقاء في حياتكم ، ثم توزع الأطعمة على الفقراء

في المقبرة ، وينادي أحدهم : الدريس[1] في الجامع الفلاني ، ويجري هذا ليلا فعندما يقبل الليل يتواردون الى الجامع حاملين مصابيحهم ثم يجلسون صفوفا منظمة فيوزع عليهم خادم الجامع الجزء الذي سيقرأ من القرآن ، ثم يبدأون بترتيله بصوت جهوري مجتمعين ، ويختتمون هذا الاجتماع بتلاوة الفاتحة ، ثم ينفضون ، ويجري هذا مدة ثلاثة أيام .

أما في دار الميت فيستمر الرجال يمضغون القات حتى ساعة متأخرة من الليل يقرأون خلالها الاناشيد الدينية والمواليد النبوية . أما النساء فيجتمعن لاقامة المواليد النبوية لمدة ثلاث ليال وخلال هذه المدة لا يطبخ أهل الدار شيئاً إنما تردهم الأطعمة من الجيران على مثل عاداتنا في العراق .

ونحن نرى أن هذه العادة حسنة فيما يخص منع البكاء والعويل ولطم الصدور حزناً على الميت ومنع ارتداء الألبسة السود ، ويخيل الينا أن اليمانيين تخلقوا بهذه العادة لفهمهم جوهر الدين ، وعدم الفائدة من ذلك التفريط في البكاء والعويل الشائعين في العراق .

التحية عند اليمانيين :

يستقبلك اليماني بوجه باش ، وسيماه هاش قائلا : (حيا الله من جاه) ثم يمد يده اليك فتمد أنت يدك اليه فيشتبك كفا كما ثم يبدأ الصغير يقبل ظهر كف الكبير ، فيقبل هذا أيضاً ظهر كف الصغير ، ويكون التقبيل ثلاث مرات ، وبعد الجلوس يؤتى بـ (المقطر) أو المجمرة ، فيخرج صاحب الدار من جيبه بخوراً يضعه في المجمرة ثم يتناولها فيبخر به ثيابك .

---

(١) الدريس ترتيل القرآن مجتمعاً في الجامع .

ويبادر اليماني تحية صاحبه بكلمات : (أصبحتم[١]) صباحا ، و (السلام عليكم) ظهراً ، و (أمسيتم[٢]) مساء ، فيجيب عليه صاحبه التحية بأحسن منها ، من ذلك : صبحكم الله بالخير والعافية ، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، ومساكم الله بالنور والعافية . . . الخ

ماذا يأكل أهل اليمن :

يختلف اليمانيون اختلافا تاماً ، في مأكلهم ، عن بقية البلاد العربية كالعراق وسوريا ومصر ، فاليمانيون يكثرون من استعمال التوابل بجميع أنواعها ، ويمزجونها مع كل وجبة من وجبات الطعام ، بشكل يفوق ماتستعمله الشعوب التي تكثر من أكل التوابل ، وإنهم يستعملونه حتى في أوان الماء قبل امتلائها ، ليتبخر الماء بروائحها . و (للحلبة) عندهم أهمية كبرى فانهم يستعملونها مع كل وجبة من الطعام ، وطريقتهم فيها أنهم يطحنونها وينقعونها بالماء ساعات كثيرة ريثما يذهب التنقيع بمرارتها ، ثم يمزجونها بالنعناع والكراث ، وأحيانا بالخل ويأكلونها كما تؤكل (الزلاطة) عندنا .

أما الأرز فقلما يميلون اليه ، ولا يعتبرونه غذاء أساسياً ، والخبز عندهم غاية في الجودة ، ويحسنون صنع الحلويات الممتازة ايضاً .

الملاهي في صنعاء :

صنعاء وحدة قياسية كما رأيت ، تقاس عليها كافة المدن اليمانية ، فهي انموذج للحياة الاجتماعية والثقافية والمدنية في اليمن كسائر العواصم والحواضر ،

---

(١) مختصر كيف أصبحتم .
(٢) مختصر كيف أمسيتم .

لذلك لم نر حاجة الى ذكر ما في المدن الأخرى من التقاليد الاجتماعية والعادات والملاهي لاقتدائها بالعاصمة .

ليس في اليمن ملاه ولا عهد للسكان بالملهى ، وكيف يكون في صنعاء ملهى ؟ والغناء محرم على الجميع ؟ حتى من الاذاعات الأجنبية وحتى اقتناء الحاكي يعاقب عليه مغنيه بموجب الشريعة .

ولا يعرف الصنعانيون المقاهي والفنادق والحدائق العامة كما نعرفها نحن ، اللهم إلا مقاهي متواضعة تدعى عندهم (مقهاية) يؤمها المسافرون ليبيتوا فيها مع إبلهم وحميرهم لقاء أجر زهيد كحال (الخان) عندنا منذ العصر العباسي حتى الى عهد قريب في العراق . والغناء الديني عندهم هو الكل في الكل في الترتيل والغناء ، أما الغناء بقصد الغزل والنسيب والتشبيب واللهو والتهتك وحتى في الحب العذري الى غير ذلك من أفانين الغناء فهو محرم للغاية ، ولما كانت النفس الانسانية تتطلب الطرب وتتطلب التسري عن الهموم على الأوجه المتعددة من الغناء حسب مقتضيات النفس كان لابد أن تنطلق بعض الأصوات الى التعبير عن نزعات النفس بالغناء لكنه غناء خاص سري وسري للغاية وبأصوات خافتة خشية أعين الرقباء ، فيجتمع عشاق اللهو في مكان سري يلهون ويعبثون سراً واليك قطعة انموذجية من ذلك الغناء :ـــ

(ما نزلتك بئر العزب بين الشموص الحامية

هل شي معك مكره غرض والا البنية حالية)

أي : ما الذي ساقك لتنزل الى حي بئر العزب في هذه الشمس الحامية ألك وطر تقضيه أو أن جمال البنية وحلاوتها هما ما تنشده ؟

الفصل الرابع عشر

اليهود في بلاد اليمن

أعمال اليهود . حماية اليهود . نفوس اليهود . سالم . دور اليهود في قاع اليهود . زواج اليهود . مدارس اليهود واليهوديات . الخمور

أعمال اليهود :

يشتغل يهود صنعاء في جميع الحرف ، فالاسكافي والنجار والحداد والبناء والصانع وتاجر الأقمشة والخباز وبائع الحلويات وخادم البيت والطاهي كلهم يهود، لأن المسلمين هناك لا يرون أي مانع ديني من قيام اليهود بخدمة المنزل أو طهي الطعام في بيوتهم ، أما وظائف الدولة فمحرمة على اليهود مطلقاً ، وجل مايقدمه اليهودي من خدمات هو أن يدفع الى خزينة بيت مال المسلمين كمية من المال وهذه تجري في كل رأس سنة حيث يقوم عامل صنعاء بعد الذكور من اليهود وبرفقته (عاقل قاع اليهود) مقدراً ثروة كل ذكر منهم وهي تتراوح بين ريال واحد وأربعة ريالات للشخص الواحد .

حماية اليهود :

لما كان اليهود من أهل الذمة فهم في رعاية جلالة الامام وليس لأحد أن يعتدي عليهم ، ولقد وضعهم الامام في قاع خاص وعزلهم عن المسلمين داخل سور خاص ، ووضع على أبواب مدينتهم الحراس في الليل والنهار ، ولهم الحرية المطلقة في ممارسة شعائر دينهم ودفن موتاهم ، ولهم سوقهم الخاصة ومعاملاتهم الخاصة بداخل بلدهم كما أن البعض منهم قد سمح لهم بفتح متاجر

داخل مدينة المسلمين في بئر العزب وفي صنعاء ولكن ليس من حقهم السكنى في الأماكن الاسلامية .

واذا اعتدى مسلم على يهودي فما على اليهودي إلا أن يقول : (أنا في عصمة الامام) إن كان يقصد الشكوى عند الامام أو (انا في عصمة العامل) اذا كان يقصد الشكوى عند العامل ، وعندما يفوه اليهودي هذه الكلمة امام غريمه فما عليه إلا ان يتوجه نحو قصر الامام أو قصر العامل ، وعلى غريمه ان يتبعه بدون تردد الى المرجع الذي عناه .

وهنا يحضر الغريمان فوراً وتجري المحاكمة وينفذ الحكم بدون مراسيم ، والويل للرجل الذي يقول له غريمه بانني في عصمة الامام أو العامل ويتخلف عن الحضور ، إذ ترسل مفرزة من الجند الى داره وتعسكر امام الدار مدة غير محدودة يقوم فيها المتخلف باطعام الجنود وإعالتهم ودفع يوميات لهم حتى يصدر أمر بحضوره ، وهذه طريقة فذة ولها تأثير على الناس هناك وهي تطبق في جميع الحالات حتى وإن كان الغريمان مسلمين لا يهودي بينهما كما تطبق بين اليهود كذلك .

نفوس اليهود في اليمن :

ويبلغ عدد اليهود الساكنين في مدينتهم (قاع اليهود) حوالي خمسة آلاف نسمة . أما عدد اليهود في اليمن فيقدر بعشرة آلاف نسمة بين ذكور واناث ، وقد هاجر منهم كثيرون الى القدس وهم يستوطنون المناطق المعتدلة من اليمن أي في صنعاء وحواليها ويمتهنون الصناعه والتجارة والصياغة .

سالم :

ويلقب اليهود في صنعاء بـ (سالم) كما يطلق العامة عندنا في بغداد

كلمة (خواجة) فاذا ما سمعت مناديا ينادي (يا سالم) فاعلم بأن مسلماً يستدعي يهوديا لأمر من الأمور وما على المنادى إلا أن يجيب النداء .

دور اليهود في قاع اليهود :

تكلمنا عن دور صنعاء وبئر العزب وغيرها من أحياء صنعاء وقلنا إن معظم الدور مشيدة من الحجر المنحوت أو الآجر المزين بالريازة العربية البيضاء الجميلة كما ذكرنا بأنها تتألف من عدة طوابق .

أما دور اليهود في قاع اليهود فيجب أن تشيد من اللبن أو من طابق واحد من الحجر والطابق الثاني من (اللبن) (آجر غير مفخور) أي أن دور اليهود يجب ألا تعلو على دور المسلمين .

زواج اليهود :

اليهود في اليمن بهيئاتهم ولحاهم وعمائمهم السود وزلوفهم المظفورة جدائل مسترسلة باتجاه لحاهم وزناتهم السود القصيرة (دشاديشهم) وشدة تدينهم وايمانهم وتحملهم مشاق الحياة بصبر وجلد يمثلون لك اليهودي الأول في صحراء التيه .

وهم بطقوس الزواج وتعدد زوجاتهم ينفردون بين يهود العالم ، فاليهودي في اليمن يتزوج ما شـاءت له رغبة الزواج مثنى وثلاث ورباع وخماس وسداس الخ ...

وقد كنت في دار تاجر يهودي في قاع اليهود وهو رجل يبلغ الـ ٥٠ من عمره ضخم الجثة طويل القامة ذو لحية تصل الى نطاقه اختلطت بزنانيره (زلوفه) وعمامته السوداء الصغيرة وهو بمظهره العام يمثل لك درويشاً

من الدراويش وفيما كنا نتحدث واذا بصبية لا تتجاوز الثامنة من عمرها وكنت أظنها حفيدته وعنـدما استفسرت منه قال لي إنها زوجته التاسعة وحالما لاحظ استغرابي فسر لي الموضوع بقوله : « نحن يا سيدي نتزوج بدون تحديد وحدود بشرط أن ينقص عدد النساء اللائي يتزوجهن رجلا واحداً تحت المائة امرأة لأن لملك اسرائيل وحده أن يتزوج مائة امرأة فقط » فقلت : وهل نساؤك جميعهن تحت نكاحك ؟ قال : « نعم انهن بخير وعافية وكلهن في بيتي مجتمعات وكثيرون غيري من يهود اليمن لهم أزواج كثيرات ونحن نتزوج من سن السابعة وما فوق » وقد دققت هذا الموضوع فظهرت لي صحته .

مدارس اليهود واليهوديات والمعرفة :

لليهود عدة مدارس دينية في (قاع اليهود بصنعاء) يدرسون فيها أصول دينهم ويتعلمون فيها القراءة والـكتابة باللغة العبرانية ، أما نساؤهم فمحظور عليهن العلم ، وممنوع عليهن تعلم القراءة والـكتابة ، كما انهن ممنوعات من دخول أماكن العبادة الخاصة بطائفتهن ، ولذلك تراهن في أيام السبت يجتمعن في دورهن يتفرجن على الرجال الذاهبين الى دور العبادة من نوافذ دورهن ، والمرأة اليهودية اليمانية لا قيمة لها في المجتمع اليهودي اليماني ، وينحصر واجبها في خدمة بيتها والخدمة في دور السادات والحـكام في اليمن مقابل أجر زهيد لا يتجاوز نصف دينار شهرياً ، واليهودية بارعة في خدمة البيوت وما يتبعها من غسل الملابس وكيها والطهي وتربية أولاد الذوات الخ ..

الخمور :

يسمح جلالة الامام لليهود ببيع الخمور وعملها في مدينتهم الخاصة المسماة (قاع اليهود) والخمور مقصود بيعها على اليهود فقط ثم على المسيحيين الأجانب الساكنين في حي (بئر العزب) خارج سور صنعاء القديمة ، ويشترط في البيع لهؤلاء الأخيرين الحصول على رخصة خاصة موقعة من عامل صنعاء معنونة الى عاقل مدينة اليهود تحدد فيها الكمية رطلا أو رطلين مثلا حسب طلب المسيحي . أما اليهودي فله الحرية في الشراء والحرية بالشرب ولكن داخل أسوار مدينته ذات الأبواب الثلاثة المحروسة من قبل حراس أشداء من الجند يفتشون الداخل والخارج من قاع اليهود واليه .

واذا عثر على مسلم ثمل في المدينة فتتبع بحقه الاجراءات التالية :—

(أ) يجري التحقيق الدقيق معه عن اسم الشخص الذي باعه الخمر واذا لم يعترف يرفق التحقيق بالتشديد عليه حتى يبوح باسم البائع .

(ب) يجلب البائع حتى يعترف ومن ثم تصدر الأحكام الاعتيادية بحق الاثنين كما يلي :—

أولا — يطلى وجه المسلم شارب الخمر بالقطران ويوضع على حمار يطوف به الجند في شوارع المدينة ليرشق بالحجارة من قبل الأولاد لمدة ثلاثة أيام وبعدها يجري بحقه (الحد الشرعي) .

ثانيا — يهدم الجند دار بائع الخمر من أساسه .

ولقد أدت هذه الأحكام القاسية الزاجرة الى احتياط اليهود احتياطا دقيقا في بيع الخمور أو تقديمها لزائريهم من المسلمين في بيوتهم .

وأتذكر أن أحد الأجانب طلب (قارورة من الخمر) كما يسميها أهل صنعاء من ولد يهودي فامتنع أولا وبعد أن زاد له المبلغ اثني عشر ضعفاً ثمناً للقارورة ، ذهب الولد اليهودي الى القاع وبعد نصف ساعة أحضر القارورة بداخل صحيفة مليئة بالجص تتوسطها القارورة ، واليهودي في اليمن لا تعدمه الحيلة اذا كان الثمن مغريا ، والخمر الصنعاوي يفوق بجودته ومذاقه خمور ايطاليا وفرنسا كما يقول مدمنوه ، وتباع القارورة الواحدة منه بعشرين فلساً بداخل قاع اليهود ويعمل من العنب الأبيض (أي الكشمش الممتاز) .

الفصل الخامس عشر

من أعمال البعثة العراقية العسكرية

الى اليمن

مهمة الموظف المخلص في الحكومة لا تنتهي بانتهاء الدوام الرسمي فهو أبداً مشغول البال بالواجب تجول في رأسه عدة مهام يسعى بتفكيره لحلها وترافقه في اليقظة والمنام والغدو والآصال ، فكيف اذا ما كان في بلاد تعد وطنه أو من جسم وطنه الأكبر والحق يقال إننا وجدنا في اليمن وطناً ثانياً لنا كان وما يزال عزيزاً علينا .

لقد كانت بعثتنا مؤلفة من :—

العقيد الركن (أمير اللواء الركن حالياً) اسماعيل صفوة بن سعيد رئيس البعثة .

معلم المشاة الرئيس الأول (المقدم حالياً) محمد حسن .

معلم المدفعية الرئيس جمال جميل .

معلم الرشاش الملازم (الرئيس حالياً) سيف الدين سعيد .

معلم المخابرة الملازم (الرئيس حالياً) عبدالقادر محمد .

واثني عشر ضابط صف معلمين لصفوف الخدمة المختلفة .

لقد درست البعثة الأوضاع والتشكيلات كلها لتقيين أمدها ولتكون على هدى في أعمالها ، وقد ظهر لنا أن العمل يتطلب جهوداً جبارة وأعمالا لا تقتصر على الجيش والجيش فحسب ، وإنما تتعدى الى مهام أخرى منها

مايتصل باليقظة الفكرية وتجديد الفكر بتعبير أصح والتنوير بالعالم الخارجي وبسط قصة المدنية العصرية ومقتضياتها ، وما تقوم عليها اليوم ، من معارف ومعلومات اقتصادية وتجارية وعلمية وثقافية وصحية وجغرافية لتخلق هـذه البعثة العراقية العسكرية التي اعتمد عليها حارس التاج الأمين ، ورحب بها جلالة الامام وشملها بعطفه ورعايته الجندي اليماني خلقاً جديداً وتصهره في بودقة هذا العصر .

لقد كنا أشد ايمانا وأكثر حماسا وأعظم اندفاعا للخدمة في الوطن اليماني العزيز لنوجد شيئا من العدم ، لنوجد شيئا يعز الأمة العربية في القرن العشرين.

ها أن العالم يرقب هذه البعثة العسكرية العراقية التي تناقلتها البرقيات اللاسلكية ، يرقب أعمالها ، وما ستقدم بعد أن أعيت الامم الجشعة المستعمرة الوسائل لوضع قدم واحدة لها على أديم اليمن ، والعصر يقتضي التأهب أو أن هذا الوقت هو وقت التأهب للاحداث والمفاجآت ورائحة الحرب كادت تنبعث من أواسط وشمالي اوربا وجنوبها .

فهتلر وموسوليني تحللا من كل المواثيق والعهود الدولية يريدان غزو العالم ، وفتح هتلر فمه لابتلاع الشعوب الاوربية ظلما وعدوانا عن طريق الخداع والتضليل ولديه أهبة مجهودات عشرين عاما للحرب بجيش منظم ومدرب ومزود بأحدث الاسلحة وأفتكها .

وموسوليني يطالب بالبحر المتوسط ويدعوه « بحرنا » ! ترى أية خواطر هذه لدى جندي عربي ينظر الى هذه الاشياء جميعا ويستعرضها ثم يلتفت الى بلاده العربية ويقارنها بالدول الكبرى وحتى الدول الصغرى المستعدة للدفاع عن كيانها ودرء خطر العدوان عن بيضتها ؟.

لقد أحسنت الدبلوماسية العراقية كل الاحسان في ايفاد هذه البعثة العسكرية الى اليمن ، وقد كانت عزماتنا ملتهبة للعمل لنستطيع الانتاج سريعا وهذا العالم يرقب أعمالنا ، واعتمدنا على الله تعالى ليهدينا سواء السبيل ، ويوفقنا ويخرجنا من هذه المهام التي تعد أشق مهمة أنيطت بنا في حياتنا في خدمة الدولة ، لكن ثقتنا بالله وايماننا بالقومية العربية والثقة الغالية التي أولانا اياها سيدنا الوصي وولي العهد الأمير الهاشمي الجليل عبدالآله المعظم ورجال حكومته المحترمون والثقة الغالية والعطف السامي الذي منحنا اياهما جلالة الامام يحيى حميدالدين المعظم ، كل ذلك جعلنا نندفع الى العمل بقوة وحزم ولذة ، لنؤدي هذه الخدمة المقدسة على أكمل وجه وأوفى صورة تقر بها أعيننا وتنشرح صدورنا وتطمئن نفوسنا .

وتقضي عليّ فضيلة الامانة على سر المهنة أن لا أنشر ما لا يباح نشره من أعمالنا التي قمنا بها لخدمة اليمن وتنظيم الجيش اليماني ، إنما أنشر خطوطا بارزة للاعمال العامة التي قمنا بها :ـــ

لقد أنعشنا المدرسة العسكرية المتوكلية ففتحنا فيها دورات لصنوف الجيش المختلفة كالمشاة والمدفعية والرشاشات الثقيلة والرشاشات الخفيفة وغيرها ، وقد تهيأ خلال السنة الاولى نحو ١٠٠ ضابط للمشاة و ٢٠ ضابطا للمدفعية و ٢٠ ضابطا للاسلحة الخفيفة ، واستطاعت المدرسة العسكرية ايضا أن تخرج دورتين تسلم خريجوها وظائفهم في الجيش وأقامت القطعات التي نظمتها البعثة عدة مظاهرات تناولت جميع صفحات المعارك الحديثة كما تبادلت التعاون التام في المعركة بين المشاة والمدفعية والاسلحة الساندة الاخرى ، ولقد كان سعادة العقيد الركن (أمير اللواء الركن حاليا) السيد

اسماعيل صفوة رئيس البعثة يشرف ويدير بنفسه هذه المناورات والتمارين الموحدة التي كانت تجري خلال كل فصل من فصول التدريب بما عرف به من حزم وثقافة .

وفتحت البعثة العسكرية العراقية الى اليمن أيضا عدة دورات للضباط اليمانيين لتدريبهم على قراءة الخرائط العسكرية وصوغ الاوامر العسكرية وكتابتها واستعمال الحك (القمباز) وغير ذلك مما لم يكن معروفا لديهم .

وأنشأت البعثة الى اليمن وحدات انموذجية كفوج النموذج الاول وسرية رشاش انموذجية وبطرية صحراء انموذجية لتقتدي بها سائر قطعات الجيش اليماني ويعود الفضل في انشائها الى رئيس البعثة نفسه .

يضاف الى ذلك كله أن ضباط البعثة العسكرية العراقية الى اليمن أخذوا على عاتقهم تدريس العلوم غير العسكرية في المدرسة العسكرية كالجغرافية والتأريخ والحساب والهندسة والمثلثات والجبر والطبيعيات ، فتقبل طلابهم في المدرسة العسكرية هذه العلوم العالية أحسن قبول علاوة على تخريجهم في الدروس العسكرية النظرية والفنون الحربية العملية أحسن وأحدث تخريج .

وبالاضافة الى كل ذلك فان أعضاء البعثة العراقية الى اليمن قاموا بالقاء محاضرات كثيرة في المدارس الرسمية العديدة وكانوا هم الذين نبهوا الافكار الى إنشاء هذه المدارس وهم المشرفون على الامتحانات النهائية والعامة . وهكذا كان أعضاء البعثة رسل ثقافة لحكومة العراق وبالخاصة وزارتي الدفاع والمعارف .

مثلوا العراق خير تمثيل في اليمن وطبقوا مناهج العراق في هذا الصدد أحسن تطبيق فوحدوا الثقافتين ، وقد قدر جلالة الامام يحيى حميد الدين المعظم هذه الخدمة تقديراً عظيما مما جعله يلح على بقاء البعثة واستمرارها في عملها أطول مدة ممكنة لأن جلالته حفظه الله أخذ يلمس بيديه السكرتين

ويرى بعينيه الثاقبتين أثر البعثة العراقية البارز في تقدم أمته وأبناء أمته وجيشه المظفر المعزز ، غير أن سعادة رئيس البعثة قرر نهائيا العودة الى العراق بعد استحصال الموافقة من الحكومة العراقية .

ولقد كان سعادته موضع احترام جميع الاوساط اليمانية رسمية وشعبية وكذلك الضباط زملاؤه فانهم والحق يقال ملكوا محبة الجميع واحترام الجميع وهل أدل على هذا من ان صنعاء اقفلت ابواب اسوارها واقامت حفلة وداع فخمة مؤثرة خارج اسوارها وفي ثكنة المدفعية بشكل لم يشهد تاريخ اليمن نظيراً لها ؟.

واليماني كما عرفتك به في الفصول السابقة لا يبكي حتى عند موت أعز الناس لديه ولكنه بكى كثيراً عند وداعنا .

وقد كان هذا الموقف المثير للعواطف أمراً لا أستطيع تصويره بالقلم وهذا مما يدل على اعتراف اليمانيين العرب بالجميل وحبهم للعراق ومليك العراق ووصي العراق وحكومة العراق والشعب العراقي النبيل .

إنهم نبلاء حقا وكرماء حقا يرعون الذمة والفضل والمعروف كل الرعاية ويحفظون الجميل شيم القحطاني العريق . فهذه صفحة من صفحات أعمال البعثة العراقية العسكرية الى بلاد اليمن السعيدة عرضت فيها موجزاً من تلك الاعمال وقد قلت خلال هذا الفصل بأن فضيلة الامانة على سر المهنة تقضي بعدم ذكر ما لايباح نشره وهذا معروف مألوف في جميع العالم لكن الشيء الذي أرضى منا الضمائر وشرح منا الصدور هو قيامنا بالواجب في خدمة الديار اليمانية ، وأداء هذه الخدمة المقدسة خدمة لعرشنا الهاشمي العراقي المفدى وقوميتنا العربية الشريفة وان الجيش اليماني أصبح يضاهي اليوم ما يماثله من الجيوش العربية المنظمة .

الفصل السادس عشر

المعاهدات الدولية

المعاهدات مع الدول العربية والاجنبية . المعاهدة العراقية اليمانية .
المعاهدة اليمانية السعودية . المعاهدة الانكليزية اليمانية . معاهدة
صداقة بين دولتي اليمن وهولندا . عهد التحكيم بين مملكتي
اليمن والمملكة العربية السعودية . معاهدة صداقة
وتجارة بين امبراطور أثيوبية ومملكة اليمن . المادتان
الثانية والتاسعة من ميثاق جامعة الدول العربية .
معاهدة اخوة عربية بين العراق والمملكة
العربية السعودية . وثيقة انضمام مملكة
اليمن الى معاهدة التحالف العراقية
السعودية معاهدة تسليم المجرمين
بين العراق واليمن

بذلت بعض الدول جهوداً جمة لعقد المعاهدات على اختلاف ألوانها مع حكومة اليمن ولاسيما الدول التي لها نفوذ في البحر الأحمر وهي انكلترا وفرنسا وايطاليا ، غير أن جلالة الامام استطاع أن يستغل هذا التنافس على بلاده البكر ويخرج بها سالمة من كل تدخل أجنبي حتى الآن . أما المعاهدات التي عقدت مع الدول العربية والأجنبية فاليك تفاصيلها :—

١ — المعاهدة اليمانية العراقية — أبرمت في ٢٢ ذي الحجة ١٣٤٩ وهي تتألف من ثلاث مواد وتتضمن المادة الأولى اعتراف حضرة صاحب الجلالة

ملك العراق بالمملكة اليمنية . والمادة الثانية يسود سلم دائم وصداقة وطيدة بين المملكتين . حررت هذه المعاهدة في صنعاء سنة ١٣٤٩ هجرية ووقعها بالنيابة عن صاحب الجلالة باني مجد العراق الخالد الملك فيصل الأول فخامة السيد (طه الهاشمي) وعن ملك اليمن (عبدالله بن حسين العمري) .

٢ — المعاهدة اليمنية ـ السعودية — أبرمت في صفر ١٣٥٠ هجرية وهي المسماة بمعاهدة (الطائف) وبهذه المعاهدة يتنازل ملك اليمن عن البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو آل عائض في نجران وبلاد يام ، كما يتنازل ملك المملكة السعودية عن أي حق يدعيه من حماية أو احتلال أو غيرها في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التي كانت بيد الأدارسة .

وهذه المعاهدة نظمت المسائل المعلقة بين الامام يحيى والملك عبدالعزيز وحددت الحدود وأنهت الخلافات التقليدية القائمة بينها منذ حادثة مقتل الحجاج اليمنيين ، وصفت مشاكل الدولتين وأقامتها على أساس لا يزال معمولا به حتى الآن .

٣ — المعاهدة الانكليزية ـ اليمانية — ١١ شباط ١٩٣٤ . وهي المسماة بمعاهدة الصداقة والتعاون المتبادل التي قام بعقدها بالنيابة عن جلالة ملك بريطانيا العظمى وامبراطور الهند وممالك الدمنيون اللفتننت كرنل برنارد راودف رايلي المحترم . وعن جلالة ملك اليمن سعادة القاضي محمد راغب رفيق المحترم .

المادة (١) — يعترف جلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممالك البريطانية وراء البحار وامبراطور الهند باستقلال جلالة ملك اليمن ومملكته استقلالا كاملا مطلقاً في جميع الأمور مهما كان نوعها ،

المادة (٢) — يسود السلم والصداقة بين الفريقين المتعاهدين الساميين اللذين يتعهدان بالمحافظة على حسن العلائق بينهما من كل الوجوه .

المادة (٣) — يؤجل البت في مسألة الحدود الجنوبية اليمنية الى أن تتم مفاوضات تجري بينهما قبل انتهاء مدة هذه المعاهدة بما يتراضى الفريقان المتعاهدان الساميان عليه بصورة ودية وباتفاق كامل بدون أي منازعة أو مخالفة . والى أن تتم المفاوضات المشار اليها فالفريقان المتعاهدان الساميان يقبلان أن تبقى الحالة الحاضرة فيما يتعلق بالحدود في تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة ويتعهد الفريقان المتعاهدان الساميان أن يمنعا بكل ما لديهما من الوسائل أي تعد من قواتهما في الحدود المذكورة وأي تدخل من أتباعهما أو من جانبهما في تلك الحدود في شؤون الأهالي القاطنين في الجانب الآخر من الحدود المذكورة .

المادة (٤) — سيعقد الفريقان المتعاهدان الساميان بعد العمل بالمعاهدة الحاضرة ما يلزم من المعاهدات لتنظيم الأمور التجارية والاقتصادية على أساس المبادئ الدولية العامة مع التراضي والموافقة بينهما .

المادة (٥) :

١ ـ رعايا كل من الفريقين المتعاهدين الساميين الذين يقصدون التجارة في بلاد الفريق الآخر يكونون تابعين للقوانين والأحكام المحلية ويتمتعون بنفس المعاملة التي يتمتع بها رعايا الدولة الأكثر رعاية .

٢ ـ كذلك سفن كلا الفريقين المتعاهدين الساميين وشحناتها وتعامل ركاب تلك السفن في موانئ بلاد الفريق الآخر بنفس ما يعامل من كان في سفن الدولة الأكثر رعاية هنالك .

٣ ـ الغرض بهذه المادة خاص بجلالة ملك بريطانيا العظمى وارلندا والممالك البريطانية وراء البحار وامبراطور الهند .

آ ـ لفظة (بلاد) ينبغي أن يعد معناها مملكة بريطانيا العظمى المتحدة وارلندا الشمالية والهند وجميع مستعمرات جلالته والبلاد المحمية والبلاد المنتدب عليها من قبل حكومة جلالته في المملكة المتحدة .

ب ـ لفظة (رعايا) ينبغي أن يعد معناها رياعا جلالته اينما سكنوا وجميع أهالي البلاد التي تحت حماية جلالته وكذلك جميع الشركات المؤسسة في أي بلد من بلاد جلالته تعتبر من رعايا جلالته .

ج ـ لفظة (سفن) ينبغي أن يعد معناها جميع السفن التجارية المسجلة في أي بلد من بلاد اتحاد الشعوب البريطانية .

المادة (٦) — هذه المعاهدة تكون أساساً لكل ما يكون الاتفاق عليه من المعاهدات المتتابعة بين الفريقين المتعاهدين الساميين بعدم اعطاء المساعدة والمسامحة لأي حركة ضد الوداد والاتفاق القائم الصميم بينهما .

المادة (٧) — يصادق على هذه المعاهدة بأسرع وقت ممكن بعد التوقيع وتبادل حجج التصديق في صنعاء ويعمل بها من تاريخ تبادل حجج التصديق وفيما بعد تبقى معمولا بها لمدة أربعين سنة وتقريراً لذلك وقع المندوبان المفوضان المشار اليهما على المعاهدة الحاضرة ووضعا ختميهما عليها ، وقد نظمت هذه المعاهدة بنسختين باللغتين الانكليزية والعربية واذا نشأت شكوك في تفسير موادها فالفريقان المتعاهدان الساميان يعتمدان النص العربي وحررت في صنعاء في اليوم ٢٦ من شهر شوال ١٣٥٢ للهجرة الموافق يوم ١١ شباط ١٩٣٤ ميلادي . محمد راغب توفيق برنارد راودف رايلي

وزير خارجية اليمن حاكم عدن

ولقد أثبتنا نص هذه المعاهدة ليطلع القارئ العربي على العلاقات القائمة بين اليمن وبين الحكومة البريطانية المجاورة في عدن والمحميات الأخرى .

— المعاهدة اليمنية ـ الهولاندية المسماة بـ (معاهدة الصداقة) —

(بسم الله الرحمن الرحيم)

معاهدة صداقة

بين دولة اليمن ودولة هولاندة

حضرة صاحب الجلالة ملك قطعة اليمن المستقلة وحاكمها المطلق الامام يحيي بن محمد حميدالدين المعظم . وحضرة صاحبة الجلالة المعظمة ملكة بلاد هولاندة المستقلة وحاكمتها المطلقةويلهلمينا المبجلة . رغبة منهما في تأسيس روابط الصداقة بين الدولتين وتوثيق عراها على قاعدة القوانين الدولية العامة قد قررا عقد معاهدة صداقة ولهذا الغرض عين :—

من طرف جلالة ملك اليمن الامام يحيي حضرة الكاتب الأول لعرش الدولة اليمانية حضرة صاحب السعادة القاضي محمد راغب (الآن وزير الخارجية) .

ومن طرف جلالة ملكة هولاندة حضرة مفوضها بجدة صاحب السعادة المسيو . ك . ادريانه . مندوبين مفوضين وقد اتفقا على المواد التالية :—

المادة (١) — يسود سلم بين دولة اليمن ودولة هولاندة وبين رعايا كلتا الدولتين سلام لا يمس وصداقة خالصة مطلقة .

المادة (٢) — سيكون مع كل من الفريقين الساميين المتعاهدين إنشاء العلاقات السياسية والقنصلية بينهما في الوقت الذي سيقرران تعيينه وعند ذلك

يتمتع الممثلون السياسيون والقنصليون من كل منهما في بلاد الدولة الأخرى بالمعاملة المقررة بمبادئ القانون الدولي العامة بشرط أن تكون هذه المعاملة متساوية .

المادة (٣) — كل من رعايا الفريقين الساميين المتعاقدين الذين يقصدون التجارة في بلاد الفريق الآخر يكونون تابعين للقوانين والأحكام المحلية ويتمتعون بنفس المعاملة التي يتمتع بها رعايا الدولة الأكثر رعاية من كل الوجوه ، وكذلك تعامل سفن كل من الفريقين المتعاهدين وشحناتها في موانئ الفريق الآخر بنفس المعاملة التي تتمتع بها سفن الدولة الأكثر رعاية وشحناتها من كل الوجوه .

المادة (٤) — حاصلات أرض كل من الفريقين المتعاهدين ومصنوعاتها تعامل في دخولها الى بلاد الفريق الآخر فيما يتعلق بتعيين الرسوم والضرائب الكمركية وأخذها بنفس المعاملة التي تعامل بها حاصلات ومصنوعات الدولة الأكثر رعاية ، وكذلك تأكيداً لهذا تعامل حاصلات الارض والمصنوعات التي تخرج من بلاد أحد الفريقين الى بلاد الفريق الآخر فيما يتعلق بتعيين مقادير الرسوم والضرائب الكمركية وأخذها بنفس المعاملة التي تعامل بها حاصلات الارض والمصنوعات التي تخرج الى بلاد الدولة الأكثر رعاية .

المادة (٥) — دونت هذه المعاهدة في نسختين أصليتين متساويتين باللغة العربية واللغة الهولاندية ، واذا نشأت شكوك في تفسير مادة من المواد أو تفسير قسم من أي مادة كانت فالطرفان يعتمدان النص العربي ، من حيث انها كانت في ملحقات هولاندة في خارج أوربا بعض قوانين وأحكام مخالفة لقوانين وأحكام المعاهدة فيما يخص دولة هولاندة سيكون مقتصراً

على بلاد مملكة هولاندة الاوربية وسيكون ابرامها وتبادل الوثائق بأقرب وقت قصير نافذ المفعول بمجرد تبادل الوثائق المبرمة . وقد اتفق الفريقان على عقد هذه المعاهدة لمدة خمس سنوات اعتباراً من تاريخ تبادل الوثائق المبرمة على أنه اذا أراد أحد الفريقين المتعاهدين الغاء هذه المعاهدة بعد انقضاء مدتها يجب أن يشعر الفريق الآخر بمراده قبل انتهاء المدة بستة أشهر وإلا استمرت هذه المعاهدة ولا تلغى إلا بعد مضي ستة أشهر من حين إشعار أحد الفريقين للآخر بارادته الغاؤها . وتبيناً لهذا قد صار توقيع هذه المعاهدة في حضرتي مفوضي الفريقين المشار اليهما ووضعا أختامهما عليها وتحررت بصنعاء اليمن في ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٥١ هجرية الموافق ١٢ مارت سنة ١٩٣٣ .

محمد راغب رفيق	مندوب مفوض عن جلالة ملكة هولاندة
الكاتب الأول	كورتليس ادريانه

بسم الله الرحمن الرحيم

عهد التحكيم

بين مملكة اليمن والمملكة العربية السعودية

بما أن حضرة صاحب الجلالة الامام الملك يحيى ملك اليمن والملك عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية قد اتفقا بموجب المادة الثامنة من معاهدة الصلح والصداقة وحسن التفاهم المسماة (معاهدة الطائف) والموقع عليها في السادس من شهر صفر سنة ثلاثة وخمسين بعد الثلاثمائة والالف على

أن يحيلوا الى التحكيم أي نزاع أو اختلاف ينشأ بينهما وبين حكومتيهما وبلديهما متى عجزت سائر المراجعات الودية على حله فان الفريقين الساميين المتعاهدين يتعهدان باجراء التحكيم على الصورة المبينة في أدناه :—

المادة الاولى — يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يقبل باحالة القضية المتنازع عليها على التحكيم خلال شهر واحد من تاريخ استلام طلب اجراء التحكيم من الفريق الآخر اليه .

المادة الثانية — يجري التحكيم من قبل هيئة مؤلفة من عدد متساو من المحكمين ينتخب كل فريق نصفهم ومن حكم وازع ينتخب باتفاق الفريقين الساميين المتعاقدين وإن لم يتفقا على ذلك يرشح كل منهما شخصاً فان قبل أحد الفريقين المرشح الذي يقدمه الفريق الآخر فيصبح وازعا وإن لم يكن الاتفاق على ذلك تجري القرعة على أيهما يكون وازعا مع العلم بأن القرعة لا تجري إلا على الاشخاص المقبولين من الطرفين فمن وقعت القرعة عليه أصبح رئيساً لهيئة التحكيم ووازعاً للفصل في القضية وإن لم يحصل الاتفاق على الاشخاص المقبولين من الطرفين تجري المراجعات فيما بعد الى أن يحصل الاتفاق على ذلك .

المادة الثالثة — يجب أن يتم اختيار هيئة التحكيم ورئيسها خلال شهر واحد من بعد انقضاء الشهر المعين لاجابة الفريق المطلوبة منه الموافقة على التحكيم لقبوله لطلب الفريق الآخر وتجتمع هيئة المحكمين في المكان الذي يتم الاتفاق عليه في مدة لا تزيد عن شهر واحد بعد انقضاء الشهرين في أول المادة وعلى هيئة المحكمين أن تعطي حكمها خلال مدة لا يمكن بأي حال من الاحوال أن تزيد عن شهر واحد من بعد انقضاء المدة التي عينت للاجتماع

كما هو مبين أعلاه ويعطى حكم هيئة التحكيم بالأكثرية ويكون الحكم ملزماً للفريقين ويصبح تنفيذه واجباً بمجرد صدوره وتبليغه ولكل من الفريقين الساميين المتعاقدين أن يعين الشخص أو الأشخاص الذين يريدهم للدفاع عن وجهة نظره أمام هيئة التحكيم وتقديم البيانات والحجج اللازمة لذلك .

المادة الرابعة — يعتبر هذا العقد جزءاً متمماً لمعاهدة الطائف الموقع عليها في هذا اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلثمائة والألف ويظل ساري المفعول مدة سريان المعاهدة المذكورة وقد حرر هذا من نسختين باللغة العربية يكون بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة وقرار بذلك جرى توقيعه في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلثمائة والالف .

خالد بن عبدالعزيز   عبدالله بن أحمد الوزير

معاهدة صداقة وتجارة

بين امبراطور أثيوبية ومملكة اليمن

إن حضرة صاحب الجلالة ملك ملوك أثيوبية قداماي هيلاسلاسي الأول المعظم .

وحضرة صاحب الجلالة ملك وحاكم اليمن المطلق الامام يحيي بن الامام محمد بن يحيي حميدالدين المبجل .

رغبة في تأسيس روابط الصداقة بين الدولتين العاليتين وتوثيق عراها على قاعدة القوانين قد قررا عقد معاهدة صداقة وتجارة ولهذا الغرض عين :ـ

من طرف امبراطور أثيوبية صاحب السعادة سافي تزوزومسقل وصاحب العزة ليبح اندراكة ماساي ومن طرف، حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن الامام، حضرة صاحب السعادة القاضي محمد راغب بن رفيق مندوبين مفوضين من الدولتين المشار اليهما وقد اتفقوا بعد تثبيت وثائق اعتمادهم على المواد التالية :—

المادة الأولى — يفتتح بين الامبراطورية الاثيوبية والمملكة اليمانية سلام دائم وصداقة تامة مطلقة.

المادة الثانية — يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على تقوية علاقاتهما الودية والتجارية وعلى أن يسهلا تبادل المنتجات بينهما.

المادة الثالثة — لكل من رعايا الامبراطورية الاثيوبية والمملكة اليمانية الحرية في الدخول والاقامة للتجارة في بلاد الفريق الآخر من المتعاقدين الساميين اللذين اتفقا على أن يعاملوهم وتجارتهم بالأحكام المحلية ويتمتعوا بما يتمتع به رعايا الدولة الأكثر رعاية.

المادة الرابعة — من المتفق عليه أن رعايا الفريقين الساميين المتعاقدين يكونون في كل أمورهم ومعاملاتهم خاضعين للقوانين والمحاكم المتبعة عادة في البلاد المقيمين بها.

المادة الخامسة — سيكون لكل من الفريقين الساميين المتعاقدين في الوقت المناسب وبموافقتهما إنشاء سفارة وقنصليات والى أن يكون إنشاء العلاقات السياسية والقنصلية هذه يتفقان على أن يعطى لرعايا كل منهما المقيمين في بلاد الفريق الآخر المساعدة والصيانة اللازمة.

المادة السادسة — بهذه المعاهدة لا يسمح الفريقان المتعاقدان لأي حركة

ضد صداقتهما الصميمة ويجتهدان في التقرب أكثر مما هي عليه الآن في المعاونة وفي ازدياد علاقاتهما ، وعلى روح هذه المعاهدة تبنى الاتفاقات والمعاهدات التي سيكون عقدها في المستقبل .

المادتان الثانية والتاسعة من ميثاق

جامعة الدول العربية

مادة ٢ — الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها .

كذلك من أغراضها تعاون الدول المشتركة فيها تعاوناً وثيقاً بحسب نظم كل دولة منها وأحوالها في الشؤون الآتية :—

(أ) الشؤون الاقتصادية والمالية ويدخل في ذلك التبادل التجاري والجمارك والعملة وأمور الزراعة والصناعة .

(ب) شؤون المواصلات ويدخل في ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد .

(ج) شؤون الثقافة .

(د) شؤون الجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين .

(هـ) الشؤون الاجتماعية .

(و) الشؤون الصحية .

المادة التاسعة — لدول الجامعة العربية الراغبة فيما بينها في تعاون أوثق

وروابط أقوى مما نص عليه هذا الميثاق أن تعقد بينها من الاتفاقات ما تشاء لتحقيق هذه الأغراض .

والمعاهدات والاتفاقات التي سبق أن عقدتها أو التي تعقدها فيما بعد دولة من دول الجامعة مع أية دولة أخرى لا تلزم ولا تقيد الأعضاء الآخرين .

معاهدة أخوة عربية وتحالف

بين العراق والمملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الجلالة ملك العراق

حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية

بناء على الروابط الاسلامية والوحدة القومية التي تجمعهما وبغية المحافظة على سلامة بلادهما وبناء على ما تقتضيه الحاجة الماسة للتعاون فيما بينهما والتفاهم في الشؤون التي تهم مصلحة مملكتيهما فقد اتفقا على عقد معاهدة أخوة عربية وتحالف وعينا عنهما لهذا الغرض مندوبين مفوضين :

عن حضرة صاحب الجلالة ملك العراق

صاحب الفخامة نوري باشا السعيد ـ وزير خارجية المملكة العراقية ـ حامل وسام الرافدين من الدرجة الأولى ومن النوع العسكري .

عن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية

صاحب السعادة الشيخ يوسف الياسين ـ السكرتير الخاص لجلالة الملك ورئيس الشعبة السياسية في ديوان جلالته .

وبعد أن تبادلا وثائق تفويضهما فوجداها مطابقة للاصول تحالفا وتعاهدا على المواد الآتية :

المادة الأولى

(أ) يتعهد كل من الفريقين المتعاقدين الساميين تعهداً متقابلا بأن لا يقوم بأي تفاهم أو اتفاق مع فريق ثالث على أي أمر يضر بمصلحة الفريق المتعاقد السامي الآخر أو بمملكته أو مصالحها أو يكون من شأنه تعريض سلامة مملكته أو مصالحها للاخطار أو الاضرار .

(ب) يتشاور الفريقان المتعاقدان الساميان فيما بينهما كلما اقتضى الأمر لتنفيذ الأغراض التي رمت اليها مقدمة هذه المعاهدة .

المادة الثانية

يتعهد الفريقان المتعاقدان الساميان بأن يحسما جميع الاختلافات التي تقع بينهما بطرق المفاوضة الودية وبأن يرجعا في حالة تعسر حل الخلاف بالطرق المذكورة الى الطرق التي ينص عليها في بروتوكول يلحق بهذه المعاهدة ويتم الاتفاق عليه في أقرب وقت من تاريخ ابرامها .

المادة الثالثة

اذا أدى أي نزاع بين أحد الفريقين المتعاقدين الساميين ودولة ثالثة الى حالة يترتب عليها خطر يؤول الى الحرب يوحد الفريقان الساميان المتعاقدان حينئذ مساعيهما لتسوية ذلك النزاع بالوسائل السلمية وفقاً للتعهدات الدولية التي يمكن تطبيقها على تلك الحالة .

المادة الرابعة

(أ) في حالة وقوع اعتداء على أحد الفريقين المتعاقدين الساميين من جانب دولة ثالثة بالرغم من المساعي المبذولة وفق أحكام المادة الثالثة أعلاه وكذلك في حالة وقوع اعتداء مفاجىء لا يتسع معه الوقت لتطبيق

أحكام المادة الثالثة المذكورة على الفريقين المتعاقدين الساميين أن يتشاورا في ماهية التدابير التي يراد القيام بها بقصد توحيد مساعيهما بالطرق المفيدة لرد الاعتداء المذكور .

(ب) ويعتبر من أعمال التعدي :—

١ – إعلان الحرب .

٢ – إستيلاء دولة ثالثة على أراضي أحد الفريقين المتعاقدين الساميين بقوة مسلحة ولو بدون إعلان حرب .

٣ – هجوم دولة مماثلة بقواتها البرية أو البحرية أو الجوية على بلاد أحد الفريقين المتعاقدين الساميين أو بواخره أو طياراته ولو بدون إعلان حرب .

٤ – إعادة أو أسعاف التعدي بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

(ج) ولا يعتبر من أعمال التعدي :—

١ – الالتجاء الى حق الدفاع الشرعي أي مقاومة عمل من أعمال التعدي حسبما جرى تعريفه أعلاه .

٢ – القيام بتطبيق المادة ١٦ من ميثاق عصبة الأمم .

٣ – الأعمال المتخذة بناء على قرار صادر من عصبة الأمم ومجلس أو مجلس عصبة الامم أو تطبيقاً للفقرة ٧ من المادة ١٥ من ميثاق عصبة الامم على أن يكون العمل في هذه الحالة الاخيرة موجهاً نحو الدولة البادئة بالهجوم .

٤ – قيام دولة ثالثة بمساعدة دولة أخرى هجم عليها أو خرقت حدودها من قبل أحد الفريقين المتعاقدين الساميين خلافا لاحكام معاهدة

نبذ الحرب الموقع عليها في باريس في ٢٧ آب ١٩٢٨ والتي انضم اليها الفريقان المتعاقدان الساميان .

المادة الخامسة

في حالة حدوث اضطراب أو فتنة في بلاد أحد الفريقين المتعاقدين الساميين يتعهد كل منهما تعهداً متقابلا بما يلي :—

١ ـ اتخاذ كل ما يمكن من التدابير :—

(أ) لعدم تمكين المتمردين من الاستفادة من أراضيه ضد مصلحة الفريق المتعاقد السامي الآخر .

(ب) ولمنع رعاياه من الاشتراك في الاضطراب أو الفتنة أو من مساعدة المتمردين أو تشجيعهم .

(ج) ولمنع ايصال أي نوع من المساعدات الى المتمردين من بلاده مباشرة أو بالواسطة .

٢ ـ عند التجاء المتمردين لاراضي أحد الفريقين المتعاقدين الساميين على الفريق المذكور أن يجردهم من السلاح ويبعدهم حالا لمنطقة لا يمكنهم أن يأتوا منها بأي ضرر لبلاد الفريق الآخر حتى يبت في مصيرهم بين الفريقين المتعاقدين الساميين .

٣ ـ اذا اقتضى الامر اتخاذ تدابير مشتركة لقمع الاضطراب أو الفتنة يتشاور الفريقان المتعاقدان الساميان في طريقة التعاون الواجب اتباعها لهذا الغرض .

المادة السادسة

نظراً للاخوة الاسلامية والوحدة العربية التي تربط المملكة اليمانية

بالفريقين المتعاقدين الساميين فانهما يسعيان لطلب انضمام حكومة اليمن الى هذه المعاهدة . ويجوز لاية دولة عربية أخرى مستقلة أن تطلب الانضمام لهذه المعاهدة .

المادة السابعة

يتعاون الفريقان المتعاقدان الساميان على توحيد الثقافة الاسلامية العربية والاساليب العسكرية في بلادهما بتبادل بعثات علمية وعسكرية للاطلاع على الاساليب المتبعة في المملكتين وتوحيدها ما يمكن توحيده منها وللاستفادة من المعاهد العلمية والعسكرية والتدرب فيها . أما عدد أفراد كل بعثة فيحدد بالمذاكرة بين الفريقين المتعاقدين الساميين من وقت لآخر .

المادة الثامنة

يجوز أن يقوم الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون لكل من الفريقين المتعاقدين الساميين بتمثيل مصالح الفريق المتعاقد السامي الآخر عندما يطلب ذلك في البلاد الاجنبية التي ليس فيها ممثلون لذلك الفريق وليس في هذا ما يمس بأية صورة من الصور بحرية ذلك الفريق في تعيين ممثلين مستقلين له اذا أراد ذلك .

المادة التاسعة

من المتفق عليه لدى الفريقين المتعاقدين الساميين انه ليس في هذه المعاهدة ما يخل بحقوق وتعهدات الحكومة العراقية المنصوص عليها في ميثاق عصبة الامم ومعاهدة التحالف المنعقدة بين العراق وبريطانيا العظمى في ٣٠ حزيران ١٩٣٠ كما أن الفريقين المتعاقدين الساميين متفقان على مراعاة الاحكام الواردة في المادة السابعة عشرة من ميثاق عصبة الامم وملاحظة

المبادئ التي انطوت عليها معاهدة نبذ الحرب الموقع عليها في باريس في ٢٧ آب ١٩٢٨ والتي انضم اليها الفريقان المتعاقدان الساميان .

المادة العاشرة

اذا قام أحد الفريقين المتعاقدين الساميين باعتداء على دولة أخرى فللفريق المتعاقد السامي الآخر انهاء أحكام هذه المعاهدة بدون سبق انذار على أن هذا الانهاء لا يؤثر على الصداقة التي تربط المملكتين ولا يخل بالمعاهدات والاتفاقيات المذكورة في المادة الحادية عشرة من هذه المعاهدة .

المادة الحادية عشرة

يبقى نافذاً كل ما لا يتعارض مع أحكام هذه المعاهدة من أحكام المعاهدات والاتفاقيات الآتية المنعقدة بين المملكتين الى أن تعدل أو تلغى بمعاهدة أخرى :—

١ ـ معاهدة المحمرة المؤرخة في ٧ رمضان المبارك سنة ١٣٤٠ هجرية الموافق ٥ مايس ١٩٢٢ ميلادية .

٢ ـ بروتوكول العقير رقم (١) المؤرخ في ١٢ ربيع الثاني سنة ١٩٤١ هجرية الموافق ٢ كانون الأول سنة ١٩٢٢ ميلادية .

٣ ـ بروتوكول العقير رقم (٢) المؤرخ في ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٤١ هجرية الموافق ٢ كانون الأول ١٩٢٢ ميلادية .

٤ ـ اتفاقيـة بحرة المؤرخة في ١٤ ربيع الثاني سنة ١٣٤٤ هجرية الموافق ١ تشرين الثاني ١٩٢٥ ميلادية .

٥ ـ معاهدة الصداقة وحسن الجوار وبروتوكول التحكيم المؤرخين في ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٤٩ هجرية الموافق ٧ نيسان سنة ١٩٣١ ميلادية .

٦ – معاهدة تسليم المجرمين المؤرخة في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٤٩ هجرية الموافق ٨ نيسان سنة ١٩٣١ ميلادية .

المادة الثانية عشرة

يتعهد الفريقان المتعاقدان الساميان بأن يبدأ خلال سنة منذ تاريخ تنفيذ هذه المعاهدة بالمفاوضة لعقد اتفاقيات في المواضيع الآتية :ـــ

١ – الاقامة وجوازات السفر والمرور .

٢ – الشؤون الاقتصادية والمالية والكمركية .

٣ – تنظيم طرق المواصلات والمراسلات .

المادة الثالثة عشرة

تعتبر هذه المعاهدة نافذة منذ تاريخ تبادل وثائق ابرامها .

المادة الرابعة عشرة

تبقى هذه المعاهدة مرعية لمدة عشر سنوات منذ تاريخ تنفيذها وتعتبر مجددة لمدة عشر سنوات أخرى اذا لم يخبر أحد الفريقين المتعاهدين الساميين الفريق المتعاقد السامي الآخر برغبته في انهائها قبل سنة من تاريخ انتهاء أجلها .

كتبت في بغداد في اليوم العاشر من شهر محرم الحرام الخامس والخمسين بعد الثلاث مئة والألف هجرية الموافق لليوم الثاني من شهر نيسان العام السادس والثلاثين بعد التسع مائة والالف ميلادية .

رقم ٣٠٨٦

التأريخ ٢ نيسان ١٩٣٦

صاحب السعادة الشيخ يوسف الياسين

إشارة الى المادة الأولى من معاهدة الأخوة العربية والتحالف التي وقعنا عليها هذا اليوم أتشرف بأن أوضح أنه من المفهوم لدى الفريقين المتعاهدين الساميين أن التفاهم والاتفاق مع دولة ثالثة لا يشمل الأمور الاقتصادية والمالية .

نوري السعيد

وزير الخارجية

١٠ محرم سنة ١٣٥٥هـ

٢ نيسان سنة ١٩٣٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الفخامة وزير الخارجية الافخم

بالاشارة الى كتاب فخامتكم المرقم ٣٠٨٦ والمؤرخ في ١٠ محرم الحرام سنة ١٣٥٥ هجرية الموافق ٢ نيسان سنة ١٩٣٦ ميلادية الذي توضحون فيه أن التفاهم والاتفاق مع دولة ثالثة المشار اليه في المادة الأولى من معاهدة التحالف الموقعة بتاريخ هـذا اليوم بيني وبين فخامتكم لا تشمل الأمور الاقتصادية والمالية واني موافق على تفسيركم هذا وأن المقصود به هو التفاهم أو الاتفاق الذي يمس كيان الدولة وسلامتها .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

التوقيع

يوسف الياسين

وثيقة انضمام مملكة اليمن

الى معاهدة الأخوة العربية والتحالف المنعقدة

بين العراق والمملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن ملك اليمن الامام يحيي بن محمد حميد الدين غفر الله له آمين
(بخط الامام) .

نصرح بعد انعام نظرنا في معاهدة الاخوة العربية والتحالف المنعقدة بين صاحب الجلالة ملك العراق وصاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية الموقع عليها في بغداد في اليوم العاشر من شهر محرم الحرام من العام الخامس والخمسين بعد الثلاثمائة والالف هجرية وبناء على الروابط الاسلامية والوحدة القومية التي تربطنا بجلالتهما وحيث انا نشعر كما يشعر جلالتهما بالحاجة الماسة للتعاون فيما بيننا وبينهما والتفاهم في الشؤون التي تهم مصلحة مملكتيهما ومملكتنا وبغية المحافظة على سلامة بلادنا وبلاديهما قد انضممنا الى معاهدة الأخوة العربية والتحالف الآتية الذكر مع درج المواد التي اشتركنا ووافقنا عليها نصاً ومعنى وتخصيصاً وتماماً والمواد المذكورة هي كما يلي :—

المادة الأولى

يتعهد كل من الفرقاء الساميين المتعاهدين تعهداً متقابلا بأن لا يقوم بأي تفاهم أو اتفاق مع فريق آخر على أي أمر ضد مصلحة أحد الفرقاء المتعاقدين الساميين أو مملكته أو مصالحها اذا كان من شأنه تعريض سلامة

مملكته أو مصالحها للاخطار أو الاضرار وسيتشاور الفرقاء السامون المتعاقدون فيما بينهم بكلما اقتضى الحال لتنفيذ الاغراض المختصة بالروابط الاسلامية والقومية العربية التي رمت اليها مقدمة معاهدة الحلف .

المادة الثانية

يتعهد الفرقاء السامون المتعاقدون بأن يحسموا ما عساه يحدث من الاختلافات التي تقع بينهم بطرق المفاوضة الى طريق التحكيم التي تنص عليها المادة الثامنة من معاهدة الطائف العقودة بين المملكة اليمانية وبين المملكة العربية السعودية في السادس من شهر صفر الخير سنة الثلاث والخمسين بعد الثلاثمائة والالف .

المادة الثالثة

اذا أدى نزاع بين أحد الفرقاء السامين المتعاقدين ودولة أخرى الى حالة يترتب عليها خطر يؤول الى الحرب يوحد الفرقاء السامون المتعاقدون حينئذ مساعيهم لتسوية ذلك النزاع بالوسائل السلمية وبالمفاوضة الودية .

المادة الرابعة

في حالة وقوع اعتداء على أحد الفرقاء السامين المتعاقدين من جانب دولة أخرى بالرغم من المساعي المبذولة وفق أحكام المادة الثالثة وكذلك في حالة وقوع اعتداء مفاجىء لا يتسع معه الوقت لتطبيق أحكام المادة الثالثة المذكورة حينئذ يتحتم على الفرقاء السامين المتعاقدين أن يتشاوروا في ماهية التدابير التي يجوز القيام بها بقصد توحيد مساعيهم بالطرق النافعة والمفيدة لرد الاعتداء المذكور . ويعتبر من أعمال التعدي :—

١ ـ إعلان الحرب .

٢ ـ استيلاء دولة على إحدى دول الحلف بقوة مسلحة ولو بدون إعلان حرب .

٣ ـ هجوم دولة بقواتها البرية أو البحرية أو الجوية على بلاد إحدى دول الحلف أو بواخره أو طياراته ولو بدون إعلان حرب .

٤ ـ اعانة أو اسعاف المعتدي بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

المادة الخامسة

في حالة حدوث اختلال أو اضطراب أو فتنة في بلاد أحد الفرقاء السامين المتعاقدين يتعهد كل منهم تعهداً متقابلا بما يلي :—

١ ـ اتخاذ كل ما يمكن من التدابير :

أ ـ لعدم تمكين المتمردين من الاستفادة من أراضيه ضد مصلحة الفريقين المتعاقدين السامين الآخرين .

ب ـ ولمنع رعاها من الاشتراك في الاختلال أو الاضطراب أو الفتنة أو مساعدة المتمردين أو تشجيعهم .

ج ـ ولمنع ايصال أي نوع من المساعدات الى المتمردين من بلاديها مباشرة أو بالواسطة .

٢ ـ عند التجاء المتمردين لأراضي أحد الفرقاء المتعاقدين السامين على الفريق المذكور أن يجردهم من السلاح ويبعدهم حالا لمنطقة لا يمكنهم أن يأتوا منها بأي ضرر لبلاد الفريق الآخر حتى يبت في مصيرهم بين الفرقاء السامين المتعاقدين .

٣ ـ اذا اقتضى الأمر اتخاذ تدابير مشتركة لقمع الاختلال أو الاضطراب أو الفتنة يتشاور حينئذ الفرقاء السامون في طريقة التعاون الموافق الواجب اتباعها لهذا الغرض .

المادة السادسة

يجوز أن يقوم الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون لـكل من الفرقاء المتعاقدين السامين بتمثيل مصالح الفريق الآخر عندما يرغب ويطلب ذلك في البلاد الأجنبية التي ليس فيها ممثلون لذلك الفريق وليس في هذا ما يمس بأي صورة من الصور بحرية ذلك الفريق في تعيين ممثلين مستقلين له اذا أراد ذلك .

المادة السابعة

من المتفق عليه لدى الفرقاء المتعاقدين الساميين انه ليس في هذا ما يمس أو يخل بحقوق وحرية وتعهدات حكومات الفرقاء السامين المتعاقدين مع الدول والحكومات الأخرى والهيئات الدولية وبعلاقاتهم معها .

المادة الثامنة

اذا قام أحد الفرقاء السامين المتعاقدين باعتداء منه على دولة أخرى فللفريقين السامين المتعاقدين الآخرين انهاء أحكام هذه المعاهدة معه بدون سبق انذار على أن هذا الانهاء لا يؤثر على الصداقة والمحبة التي تربط ممالك الفرقاء السامين ولا يخل بالمعاهدات الأخرى والاتفاقيات المعروفة المعقودة والجارية بينهم .

المادة التاسعة

اذا أراد وطلب أحد الفرقاء السامين بعثة فنية من الفريقين الآخرين لتقويم ثقافة إسلامية عربية أو عسكرية أو أراد ارسال بعثة الى مملكة الفريقين الآخرين للتدرب والتعلم بعد المراجعة في هذا فله ذلك .

المادة العاشرة

يعتبر هذا الانضمام الى معاهدة الحلف نافذاً من تاريخ إقراره من قبل حكومتي العراق والمملكة العربية السعودية ويبقى مرعياً الى أن تنتهي السنوات العشر التي اعتبرت من تاريخ تنفيذ المعاهدت الآتية الذكر من قبل الحكومتين المشار اليهما وتعتبر متجددة لمدة عشر سنوات أخرى اذا لم يخبر أحد الفرقاء السامين المتعاقدين الفريقين المتعاقدين الساميين الآخرين برغبته في انهائها قبل سنة من تاريخ انتهاء أجلها .

خاتمـــة

هذه المواد العشر المصرح بها التي أمضيناها ووقعنا ختمنا عليها طبق المقدمة المندرجة أعلا هذا تقريراً لانضمامنا الى معاهدة الاخوة العربيــة والتحالف وهي موافقة للمواد المندرجة في المعاهدة المشار اليها الاصلية ماعدا بعض موادها التي لا تتعلق بشؤون مملكتنا الخاصة وهذا التحالف قابل لمن أراد الدخول فيه من الدول العربية المستقلة . وبالله نستعين فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .

حرر بصنعاء اليمن في سابع عشر صفر الخير من سنة ست وخمسين بعد الثلاثمائة والالف .

حاشـــية

وسيكون تقديم نسخة مختومة وممضاة طبق هذا التقرير الى حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية لالحاقها بنسخة معاهدة الحلف الاصلية الثانية الموجودة لدى جلالته .

المادة الثامنة

من معاهدة الطائف المنعقدة بين المملكة العربية السعودية

ومملكة اليمن

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين تعهداً متقابلا بأن يمتنعا عن الرجوع للقوة لحل المشكلات بينهما وبأن يعملا جهدهما لحل ما يمكن أن ينشأ بينهما من الاختلاف سواء كان سببه ومنشؤه هذه المعاهدة أو تفسير كل أو بعض موادها أم كان ناشئاً عن أي سبب آخر بالمراجعات الودية وفي حالة عدم امكان التوفيق بهذه الطريقة يتعهد كل منهما بأن يلجأ الى التحكيم الذي توضح شروطه وكيفية طلبه وحصوله في ملحق مرفق بهذه المعاهدة ولهذا الملحق نفس القوة والنفوذ اللذين لهذه المعاهدة ويحسب جزءاً منها وبعضاً متمماً للكل فيها .

عراق — يمن

معاهدة تسليم المجرمين

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الجلالة ملك العراق من جهة

وحضرة صاحب الجلالة ملك اليمن من الجهة الأخرى

نظراً الى رغبتهما في عقد معاهدة بشأن تسليم المجرمين الذين يفرون من وجه العدالة ويهربون من مملكة العراق الى مملكة اليمن ومن مملكة اليمن الى مملكة العراق .

قد عينا مندوبين مفوضين عنهما :ـــ

من قبل حضرة صاحب الجلالة ملك العراق :

توفيق السويدي رئيس الوزراء ووزير الخارجية

ومن قبل حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن :

صاحب السمو الملكي الأمير سيف الاسلام عبدالله

اللذين بعد أن قدم كل منهما أوراق تفويضه ووجدت صحيحة ومطابقة للاصول قد اتفقا على ما يأتي :ـــ

المادة الأولى

تتعهد حكومة اليمن أن تسلم الى حكومة العراق أيا كان من الرعايا العراقيين الذين يرتكبون داخل حدود العراق إحدى الجرائم الواردة في المادة الثالثة من هذه المعاهدة ويوجدون داخل حدود مملكة اليمن .

المادة الثانية

تتعهد حكومة العراق بأن تسلم الى حكومة اليمن أيا كان من رعايا مملكة اليمن الذين يرتكبون داخل حدود مملكة اليمن إحدى الجرائم الواردة في المادة الثالثة من هذه المعاهدة ويوجدون داخل حدود مملكة العراق .

المادة الثالثة

لا يسمح بتسليم المجرمين السياسيين ، أما الجرائم التي يجب تسليم المجرمين فيها (ولا تعتبر من الجرائم السياسية) فهي قطع الطريق أو السرقة أو السلب أو النهب أو القتل أو الجرح أو الغزو أو التعدي الشديد سواء أكان المجرم فرداً أو جماعة وسواء أكان الجرم موجهاً ضد فرد أو جماعة .

وكذلك لا يعتبر جرماً سياسياً كل قيام ضد شخص أحد صاحبي الجلالة أو ضد شخص أحد أقربائه .

المادة الرابعة

إن طلب تسليم المجرمين الذي تقدمه الحكومه العراقية يجب أن يقدم الى السلطة المختصة لحكومة اليمن ، وأن يكون مشفوعاً بالأوراق التالية :—

(أ) ورقة تحتوي على أوصاف المجرم وما يتيسر من المعلومات وذلك لأجل بيان هويته .

(ب) ورقة تحتوي على خلاصة موجزة عن الجرم الذي ارتكبه المجرم .

(ج) صورة أي حكم سابق أصدرته محكمة على المجرم اذا كان ممن سبق أن حكم عليهم وتختم جميع الأوراق المار ذكرها بختم السلطة المختصة .

المادة الخامسة

إن طلب تسليم المجرمين الذي تقدمه حكومة اليمن يجب أن يقدم الى السلطة المختصة في حكومة العراق وأن يكون مشفوعا بالأوراق المذكورة في المادة الرابعة وتختم جميع الأوراق المار ذكرها بختم السلطة المختصة .

المادة السادسة

لا يجوز بمقتضى هذه المعاهدة تسليم أي فرد بسبب أي جرم ارتكبه قبل تاريخ تنفيذها .

المادة السابعة

لا يحاكم أي مجرم يسلم وفقاً لهذه المعاهدة إلا عن الجرم الذي طلب تسليمه من أجله . أما الجرائم التي يكون قد ارتكبها قبل تاريخ تسليمه ولم يسبق

طلب تسليمه من أجلها فلا يحاكم عنها إلا بعد أن يكون قد أعطيت له فرصة كافية لمغادرته القطر فلم ينتهزها .

المادة الثامنة

تبرم هذه المعاهدة من قبل الفريقين المتعاقدين ويجري تبادل وثائق الابرام في المحل الذي يتفق عليه بينهما وينفذ عند تبادل وثائق الابرام .

وتأييداً لما تقدم فقد وقع المندوبان المفوضان المذكوران أعلاه على هذه المعاهدة وختماها بختميهما .

كتب في القاهرة بنسختين باللغة العربيــة في اليوم الثامن والعشرين من شهر ربيع الثاني لسنة ١٣٦٥ الموافق أول نيسان سنة ١٩٤٦ .

سيف الاسلام عبدالله　　　　توفيق السويدي

الفصل السابع عشر

المذاهب الدينية في اليمن

فرقة الزيدية . عبرة وذكرى زيد بن علي وكيد هشام . نصيحة .
زيد يبث الدعاية . مصرع زيد . صفات زيد . يحيي بن زيد .
تعاليم الزيدية . أصناف الزيدية الامام الشافعي

المذاهب الزيدية في اليمن

ينقسم أهالي اليمن إلى مذهبين رئيسيين (الزيدي أو الزيود والشافعي أو الشوافع) فالمذهب الزيدي هو المذهب الرسمي للدولة لأنه يستمد سلطانه من حضرة الامام المعظم الذي هو أمير المؤمنين المتمثلة في شخصه الكريم الامامة والخلافة للمذهب الزيدي ، ولذلك ترى أن جميع موظفي الدولة من أصغر رتبة إلى أعلاها هم من الزيود ، والمذهب الزيدي يتسامح إلى حد بعيد من التسامح ولست تجد أي عصبية مذهبية في اليمن ، ففي الصلاة تجد منتسبي جميع المذاهب الاسلامية يصلون خلف امام الجامع الزيدي ، ومهما أنس فلا أنسى تلك الظلامة التي رفعها البعض من أئمة الشوافع إلى جلالة الامام على أحد السادات الزيود الذي درس الفقه في الأزهر بمصر والذي يعتبر من غلاة الشيعة الزيود ، والذي أخذ يندد بالشوافع في قرام ، فما سمع جلالة الامام هذه الظلامة حتى استدعى الرجل المقصود وأجلس الجميع في حضرته حتى أذن المؤذن : (ان حيّ على الصلاة) وكان الوقت ظهراً فنهض الامام ومن في مجلسه إلى الصلاة وصلى على الطريقة الزيدية (أي انه أسبل بديه) كما يصلي الشيعة وبقي هذا الجمع في حضرة الامام منتظراً أمره حتى

حانت صلاة العصر ، فنهض الامام وصلى بالناس صلاة العصر على طريقة أهل السنة ، وهنا نظر إلى غريم هؤلاء الشوافع قائلاً (تبّاً لك أنا امام المسلمين ولست امام الزيود وحدهم) هيا خذوا هذا الرجل إلى السجن فامتثل المسؤولون لأمر جلالته وسيق السيد الزيدي إلى السجن وبقي في سجنه سنوات لأنه حاول التفرقة بين المسلمين . وأعتقد ان عدم اسناد منصب حكومي إلى الشوافع ناتج من البيئة التي يعيش فيها هؤلاء ، فسكان المنطقة الجبلية كلهم زيود وهذه المنطقة لأعتدال اقليمها تجعل منها خير منبع لأناس ذوي تحمل على المشاق ومشهورين بالصبر والكتمان والمعرفة فضلاً عن اصالة جنسهم العربي الذي لم تمازجه أية موجة من موجات الفتح الافريقي كما هي الحال في سكان تهامة الشوافع . فهؤلاء فضلاً عن كونهم يسكنون بلاد شواطىء البحر الاحمر الحارة والشبيهة بالمناطق الاستوائية فانهم هجين ممزوجة دماؤهم بسكان الشواطىء الافريقية المقابلة للشاطىء الآسيوي. فتراهم يشتغلون بخدمات بسيطة بالزراعة والبعض منهم مملوك للاشراف يسمون بـ (الأخدام) ولقد صهرتهم حرارة الاقليم وحولتهم إلى جماعات متراخية مترهلة غير قابلة على عمل يحتاج فيه المرء إلى التفكير المنظم ، وحولتهم إلى آلات مسترخية قانعة راضية بما هي فيه ، ولقد جبت معظم مناطق تهامة فلم أجد لدى أحد من سكان تهامة آلة من آلات الحرب كالبنادق والمسدسات وغيرها اللهم إلا إذا استثنينا قبيلة الزرانيق التي كسر شوكتها سيف الاسلام أحمد بن الامام وأخضعها بالقوة ، بعكس الحالة في البلاد الجبلية ، إذ تجد جميع سكانها مسلحين بالبنادق والمسدسات والخناجر . يستدل من هذا ان سكان تهامة لا حيلة لهم على تحمل تبعات الحكم وما يراد له من استعداد وجلد وقوة احتمال وصبر على الشدائد .

عبرة وتجديد ذكرى

وفي فرقة الزيدية وتاريخ منشئها عبرة تاريخية ودرس في الثبات على المبدأ وتجديد لمأساة فذة توضع إلى جانب مسأساة الحسين بن علي (ع) .

زيد بن علي وكبر هشام

فرقة الزيدية من فرق الشيعة وهي تتبع زيداً بن علي بن زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) .

رأى زيد انه أحق بالخلافة من هشام بن عبدالملك الأموي عاشر الخلفاء الأمويين في الشام (١٠٥ - ١٢٥ - ﻫ) فنفر وقومه مما نالهم من ظلم الأمويين ما نالهم ، ولقد ذكر المسعودي ان زيداً دخل على هشام فلم يحفل به هو ولا رجال بلاطه فجلس حيث انتهى به مجلسه ، فقال « يا أمير المؤمنين ليس أحد يكبر عن تقوى الله ولا يصغر دون تقوى الله » فانتهره هشام وقال له « أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة وأنت ابن امة » ؟ (وكانت أمه سندية) قال « يا أمير المؤمنين لقد كان إسحق بن حرة وإسماعيل بن أمه فاختص الله ولد اسماعيل فجعل منهم العرب فما زال ذلك ينمو حتى كان منهم رسول الله (ص) . وقد اتهمه هشام بوديعة لخالد بن عبدالله القسري أمير الكوفة من قبل ، فبعث به الى يوسف بن عمر أمير الكوفة في ذلك فاستحلفه فحلف أنه ليس عنده مال لخالد » فخلى سبيله فلما خرج زيد عائداً الى المدينة تبعه أهل الكوفة وحرضوه على الخروج على الأمويين ووعدوه بالنصرة وصار له من الاتباع ما يقارب أربعين الفا .

نصيحة :

ولقد نصحه كثيرون ألا يفعل ، نصحه سلمة بن كهيل فقال له : « نشدتك الله كم بايعك » قال زيد : أربعون الفاً ، قال فكم بايع جدك الحسن؟ قال ثمانون الفاً ، قال فكم حصل معه ؟ قال ثلاثمائة ، قال نشدتك الله أنت خير أم جدك ؟ قال جدي ، قال أفقرنك الذي خرجت فيهم أم القرن الذي خرج فيهم جدك ؟ قال بل القرن الذي فيه جدي ، قال أفتطمع أن يفي لك هؤلاء وقد غدر أولئك بجدك ؟ قال قد بايعوني ووجبت البيعة في عنقي وأعناقهم .

وكتب عبدالله بن الحسن الى زيد يقول : « يا ابن عم ، إن أهل الكوفة ، نفخ العلانية ، خور السريرة ، هرج في الرخاء ، جزع في اللقاء ، تقدمهم ألسنتهم ولا تشايعهم قلوبهم ، لايبيتون بعدة في الأحداث ولا ينوؤن بدولة مرجوة ، ولقد تواترت كتبهم إليّ يدعونني فصممت عن ندائهم ، وألبست قلبي غشاء عن ذكرهم يأساً منهم واطراحاً لهم ، وما لهم مثل إلا ما قال علي بن أبي طالب (ع) إن أهملتم خضتم ، وإن حوربتم خرتم ، وإن اجتمع الناس على امام طعنتم ، وإن أحيبتم الى مشاقة نكصتم » .

زيد يبعث الدعاة . مصرع زيد :

لكن هاتين الرسالتين وأمثالها لم تجد نفعاً ولم تلق اعتباراً لدى زيد فبعث الدعاة الى أهل السواد وأهل الموصل وكانت بيعته التي يبايع عليها الناس « انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة الرسول نبيه (ص) وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين واعطاء المحرومين وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء

ورد الغوالم وإقفال المجمر[1] ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا أتبايعون على ذلك ؟ فاذا قالوا نعم وضع يده على أيديهم ، ولبث على ذلك بضعة أشهر ثم أمر أصحابه بالخروج ، فلما جد الجد تفرق عنه أكثر الذين بايعوه ولم يبق معه إلا ثلاثمائة ، وكانت بينهم وبين يوسف بن عمر ملحمة ثبت فيها زيد ومن معه حتى أصابه سهم في جانب جبهته اليسرى فلما انتزع منه قضى لساعته شهيداً (ع) .

وكان ذلك سنة ١٢٢ هجرية فأخذ رأسه الشريف وبعث به الى هشام في الشام فأمر به فنصب على باب عاصمة الأمويين ، ثم أرسل الى المدينة وبقي مصلوباً حتى مات هشام ، ثم أمر به الوليد الثاني بن يزيد الثاني بن عبدالملك الخليفة الأموي الحادي عشر (١٢٥ — ١٢٦) فأنزل وأحرق .

صفات زيد :

كان زيد الشهيد عالماً تقياً حاضر البديهة قوي الحجة ، ولقد وصفه خصمه هشام بن عبدالملك فقال : « رأيته رجلا جدلا لسنا خليقاً بتمويه الكلام وصوغه ، واجترار الرجال بحلاوة لسانه ، وبكثرة مخارجه في حججه وما يدلي به عند لدد الخصام من السطوة على الخصم بالقوة الحادة . . . ان اعاره القوم أسماعهم فحشاها من لين لفظه وحلاوة منطقه ، مع ما يدلي به من القرابة برسول الله (ص) وجدهم ميلا اليه ، غير متئدة قلوبهم ولا ساكنة أحلامهم ولا مصونة عند اديانهم » .

يحيى بن زيد :

ولقد هرب يحيى بن زيد الشهيد الى خراسان ووصل (بلخ) ومكث فيها

---

(١) المجمر — الجيش يبقى مدة طويلة في أرض العدو ، واقفاله وارجاعه .

متخفياً يبث الدعوة والدعاة سراً ويستعد للثورة ، ثم خرج على الوليد الثاني بن يزيد الثاني الخليفة الأموي فأصيب بنشابة أصابت جبهته ، فكتب الوليد الى يوسف بن عمر ان أنظر عجل العراق [١] (أي يحيي بن زيد) فأحرقه ثم أنسفه في اليم فانزله من جذعه الذي صلب عليه واحرقه بالنار وجعله في قوصرة ثم جعله في سفينة ثم ذراه في الفرات وكان ذلك سنة ١٢٥ ه .

وقد قال أكثر الثقات إن أبا حنيفة كان يميل الى زيد بن علي وينصره ولم يجتمع حوله الشيعة كلهم لنصرته ، فان كثيرين منهم كانوا يقولون بامامة أخيه محمد الباقر ، ثم بابنه جعفر الصادق ، ولأن ـ زيداً ـ كان معتدلا في تشيعه إعتدالا لا يرضي الغلاة ، ولا أدل على ذلك مما رواه الطبري قال : « اجتمع اليه جماعة من رؤوسهم فقالوا رحمك الله ما قولك في أبي بكر وعمر ؟ قال زيد : رحمهما الله وغفر لهما ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيراً ، قالوا فلم تطلب إذاً بدم أهل هذا البيت ؟.. إلا أن وثبا على سلطانكم فنزعاه من أيديكم ! ! فقال لهم زيد : إن أشد ما أقول فيما ذكرتم انا كنا أحق بسلطان رسول الله (ص) من الناس أجمعين ، وان القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا لهم كفراً ، قد ولوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة ، قالوا : فلم يظلمك هؤلاء اذا كان اولئك لم يظلموك فلم تدعو الى قتال قوم ليسوا لك بظالمين ؟ فقال : إن هؤلاء ليسوا كأولئك إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم ، وانما ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه (ص) والى السنن أن تحيا والى البدع أن تطفأ فان أنتم أجبتمونا سعدتم

---

(١) الطبري ج ٨ ص ٢٧٢ .

(٢) يريد بالعجل انهم يعبدونه كما عبد العجل قوم من بني اسرائيل .

وان أنتم أبيتم فلست عليكم بوكيل ، ففارقوه ونكثوا بيعته ، وقالوا جعفر امامنا اليوم بعد أبيه وهو أحق بالأمر بعد أبيه ولا نتبع زيداً بن علي فليس بامام ، فسماهم زيد الرافضة .

ولقد عمل أتباع زيد على تعاليمه حتى كتب لهم النجاح في بعض البقاع كطبرستان واليمن .

تعاليم الزيدية :

وأمامنا كتابا الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري الاندلسي المتوفي سنة ٤٥٦ ه والملل والنحل للشهرستاني المتوفي سنة ٥٤٨ ه المدغم في الأول ، يقول الثاني في كتابه عن الزيدية مايلي ، ومنه يتبين للقارئ تعاليم الزيدية :—

الزيدية أتباع زيد بن على بن الحسين عليهم السلام ، ساقوا الامامة في أولاد فاطمة عليها السلام ولم يجوزوا ثبوت إمامة في غيرهم ، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي بالامامة يكون اماماً واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين .

ومن هذا قالت طائفة منهم بامامة محمد وابراهيم الامامين ابني عبدالله بن الحسن بن الحسين اللذين خرجا في أيام المنصور وقتلا على ذلك ، وجوزوا خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال ويكون كل واحد منها واجب الطاعة .

وزيد بن علي لما كان مذهبه هذا المذهب أراد أن يحصل على الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم ، فتتلمذ في الأصول على واصل بن عطاء — وهو

رأس المعتزلة — مع اعتقاد واصل بأن جده علياً بن أبي طالب (ع) في حروبه التي جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأصحاب الشام ما كان على يقين من الصواب، وأن أحد الفريقين منهما كان على الخطأ لا بعنيه، فأقتبس منه الاعتزال وصارت أصحابها كلها معتزلة، وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل فقال: « كان علي بن أبي طالب أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوضت الى أبي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة، فان عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان قريباً وسيف أمير المؤمنين علي عليه السلام عن دماء المشركين من قريش لم يجف بعد، والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي، فما كانت القلوب تميل اليه كل الميل ولا تنقاد له كل الانقياد. وكانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الشأن من عرفوه باللين والتوءدة والتقدم بالسن والسبق في الاسلام والقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله ألا ترى لما أراد في مرضه الذي مات فيه تقليد الأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه زعق الناس وقالوا: لقد وليت علينا فظاً غليظاً ؟. فما كانوا يرضون بأمير المؤمنين عمر لشدة وصلابة وغلظ في الدين وفظاظة على الأعداء حتى سكنهم أبو بكر رضي الله عنه ».

وكذلك يجوز أن يكون المفضول إماماً يرجع اليه في الأحكام ويحكم في القضايا.

وقد جرت بينه وبين أخيه محمد الباقر مناظرة لا من هذا الوجه بل من حيث كان يتتلمذ على واصل بن عطاء ويقتبس العلم ممن كان يجوّز الخطأ على جده في قتال الناكثين والقاسطين ومن يتكلم في القدر على غير ما ذهب اليه أهل البيت ومن حيث انه (أي زيد) كان يشترط الخروج شرطاً

في كون الامام إماماً حتى قال له يوماً : على قضيت مذهبك والدك ليس بامام [1] فانه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج .

فأنت ترى أن الزيدية لا يتبرمون من أبي بكر وعمر ، ولا هم يشترطون الاجتهاد في الأئمة لذا كثر من تأييدهم الفقهاء والمجتهدون مثل الامام الداعي الى الحق الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل الذي ملك طبرستان من ٢٥٠ — ٢٧٠ هـ وله كتاب الجامع في الفقه ، وكالقاسم بن ابراهيم العلوي الذي تولى على صعدة من أعمال اليمن ٢٤٦ — ٢٨٠ هـ .

أصناف الزيدية :

ويذكر الشهرستاني ان الزيدية ثلاثة أصناف وهي : الجارودية والسليمانية والصالحية والبترية ، فالأولى تنسب الى أبي الجارود . زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي عليه السلام بالوصف دون التسمية فالامام بعده علي والناس قصروا حيث لم يعترفوا بالوصف ولم يطلبوا الموصوف .

أما السليمانية فهم أصحاب سليمان بن جرير فكان يقول إن الامامة شورى فيما بين الخلق ويصح أن ينعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين وانها تصح في المفضول مع وجود الأفضل ، وأثبت إمامة أبي بكر وعمر حقاً باختيار الأمة حقا اجتهاديا .

أما الصالحية والبترية فهم أصحاب الحسن بن صالح بن حي ، والبترية أصحاب كثير النوى الأبتر وهما متفقان في المذهب وقولهم في الامامة كقول السليمانية إلا أنهم توقفوا في أمر عثمان ولا حاجة للتفصيل أكثر من هذا ،

---

(١) أي علياً زين العابدين .

وفي امكان القارئ الكريم مراجعة هذا المذهب وتفاصيله في الكتب الخاصة بالمذاهب والنحل .

الامام الشافعي :

نسبة الى الامام الشافعي احد اقطاب الأئمة الأربعة في الاسلام ، وهو ابو عبدالله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع عالم قريش وفخرها وهو من ولد المطلب بن عبد مناف ، ولد بمدينة غزة سنة ١٥٠ ﻫ وحمل الى مكة وهو ابن سنتين ونشأ بها فقيراً تربيه أمه وما أن شب وترعرع حتى صار نادرة الدنيا ذكاء وحفظا .

وقد حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين واولع بالنحو والشعر واللغة ورحل الى البادية في طلبها ولم يناهز سن البلوغ حتى حفظ منها شيئاً كثيراً ثم تفقه وحفظ موطأ مالك وأفتى وهو ابن خمس عشر سنة ثم رحل في هذه السن الى مالك وقرأ عليه الموطأ من حفظه فقال مالك « إن يكن احد يفلح بهذا الغلام » واضافه وخدمه بنفسه ثم رجع الى مكة وعلم بها العربية والفقه وصحح عليه الأصمعي شعر الهذليين ثم ان الرشيد ولى احد اصدقاء الشافعي عملا باليمن فخرج معه وولي بعض الأعمال فأحسن التصرف ثم وشي به الى الرشيد وقبض عليه فلم يتبين شيئا في امره فأطلقه ثم دخل بغداد سنة ١٩٥ فاجتمع عليه علماؤها واخذوا عنه واملى بها مذهبه القديم .

وفي سنة ١٩٩ أو سنة ٢٠٠ خرج الى مصر فألقى بها عصاه وسكن الفسطاط فكانت دار هجرته وبها املى مذهبه الجديد بجامع عمر ، واستنبط الشافعي مذهبه من القرآن والقياس وبعض الرأي فكان مذهبه وسطا بين

اهل الرأي من اصحاب أبي حنيفة وبين أهل الحديث من أمثال مالك واحمد وتوفي سنة ٢٠٤ وقبره معروف مشهور .

وكان الشافعي افضل من رأى الناس ذكاء وعقلا وحفظا وفصاحة لسان وقوة حجة ولم يناظر احداً إلا وظهر عليه . واجمال القول انه كان إماما في كل شيء حتى الرمي بالسهام فكان يصيب منه تسعة من عشرة .

الفصل الثامن عشر

العودة الى الوطن

شعور ووداع · الى جيزان · الى جدة · الى مكة · الى عرفات ·
دعوات وحفلات · الاستئذان للسفر · حفلة فخمة · الرحيل من
مكة · الى المويه فالدفينة · عفيف والقاعية · الدوادمي ·
الخفيفة · مرات والى الرياض · الرياض . بيوتها . اسواقها .
قصور الملك . الكتاتيب . المرأة · معيشة السكان ·
أمير الولة · خبر من بلادنا · مهندسان
أمريكيان · هواجس وذكريات على طريق الكويت
الى معقلة والنفط · الى الكويت ·
الى البصرة · الى المسيب ·

شعور ووداع :

أي شعور هذا يستولي علينا عند اعتزامنا العودة الى الوطن ؟ انه حنين الى الوطن العزيز وان كنا تفارق اهلا لنستقبل اهلا ، وتفارق وطنا عزعلينا فراقه لنستقبل وطنا لنا فيه أوطار ولنا فيه حاجات ولنا فيه ذكريات ، ذكرياتنا وذكريات آبائنا واجدادنا وآثارهم جميعا . آه ما أمر الفراق ، فراق هذا الشعب النبيل العربي الأبي العزيز الذي ما ذرف دمعة في أعصب الأيام وأشد الخطوب .

لقد ذكرها اليماني عبرة سخينة وسخينة حقا على فراقنا فنحن بين نارين ونحن بين عاطفتين ملتهبتين ، لوعة الاسى على فراق الاحبة اليمانيين ، وحنين

الى الوطن الذي عمرنا به شرخ الشباب بصحبة قوم عاشوا وما زالوا في ظلاله ، انه لفراق صعب فما كان أسهل الاقامة في اليمن ، وما كان أسعدها أياما وشهوراً وأعواماً ، وما كان أقصرها وإن عدت بمقاييس الزمان المصطلحة وإن تخللتها أتعاب وصعاب في العمل المتعب والواجب المقدس الذي لبينا داعيه وأكملنا حدوده ، ولكن ساعة الفراق هذه خلفاها عصراً بكامله ، فما أمرها ، وما أمرها .

وها ان الحكومة اليمانية الجليلة توافق (بعد الالحاح) على سفرنا ، وكان ذلك في ٢٥ مارت ١٩٤٢ (٨ ربيع الأول ١٣٦١) بلغ معالي محمد راغب بك وزير الخارجية اليمانية العقيد الركن اسماعيل صفوة رئيس البعثة العراقية العسكرية الى حكومة اليمن بأن جلالة الامام الملك المعظم سمح للبعثة بالعودة الى العراق على شريطة ابقاء بعض الضباط وضباط الصف لاستمرار ادارة أعمال البعثة وعلى أن ترسل حكومة العراق موظفا صيدليا وضابطا بيطريا للعمل في اليمن .

وأقام لنا في الرابع والعشرين من رمضان ١٣٦١ حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سيف الاسلام عبدالله حفلة إفطار فخمة في دار الصناعة الواقعة في (ميدان شرارة) وهي من أفخم البنايات التي خلفها الأتراك ، دعا اليها أربعين سيداً وأميراً ووزيراً ، وكان بين المدعوين سيوف الاسلام اسماعيل والمطهر وابراهيم وأمراء الجيشين السيد علي بن ابراهيم والشريف عبدالله الضمين وعامل صنعاء السيد حسين عبدالقادر وغيرهم ، واختتمت الحفلة بافتتاح الصلوات على محمد (ص) كما يلي : « اللهم صل على محمد وآله كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد الخ . . » وكان الجميع

يرددون هذا النشيد الديني مدة نصف ساعة تقريباً ثم تلا القارئ سورة من القرآن الكريم وتفرق القوم .

وفي يوم الاثنين المصادف ٩ تشرين الثاني ١٩٤٢ زرنا جلالة الامام في مفرجه فوجدناه على أتم صحة وقد تفضل ولاطفنا كثيراً وشملنا بلطفه الملكي ، وفي اليوم التالي أرسل سعادة رئيس البعثة كتاب شكر ووداع لجلالة الامام ووزير الخارجية يرجوه السماح لنا بالسفر .

وفي يوم الخميس المصادف ١٢ تشرين ١٩٤٢ أقام معالي وزير الخارجية أدبة غداء في داره العامرة على شرف البعثة وخرجنا من لدنه مسرورين مغتبطين وقد بالغ في إكرامنا شأنه في كل مناسبة كهذه المناسبة ، وفي يوم الجمعة تشرفنا بزيارة الامام فوجدنا في مجلسه فخامة رئيس الوزراء عبدالله العمري ومعالي وزير الخارجية محمد راغب بك والسيد عبدالله الوزير والقاضي عبدالكريم المطهر رئيس الديوان الملكي .

وبعد أن مكثنا بحضرته مدة ودعنا قائلا : أدعو لكم وللاسلام والمسلمين جميعاً بالخير والسلام عليكم ، وأرجو منكم تبليغ تحياتي الى ابن أخي الحبيب حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني المعظم وابن أخي العزيز حضرة صاحب السمو الملكي الأمير الوصي وولي العهد عبدالآله المعظم .

وفيما يلي القصيدة التي القاها القاضي محمد الشماحي في حفلة توديع البعثة العسكرية العراقية في دار وزير الخارجية :—

نودع أبناء العراق بأنفس | تودع منها نورها المتألقا
لتوديعهم صنعاً مشت في سوادها | تقبل منهم مشرفياً وبندقا
وتنثر أزهار الثناء عليهم | ومن بذر الاحسان ألفاه مورقا

ثلاثة أعوام أرونا خلالها … جهوداً عليها الجيش طاف وحلقا

جهوداً اليها الملك يحيي لشعبه … دعا وارتضاها للفتوة مشرقا

ونزعته وهو المفدى الى العلا … موجهة من جامها الشعب قد سقى

وإن خطة يدعو اليها إمامنا … دليل على أن النجاح لها انتقى

فلله بغداد وحيي سراتها … وحيي بها عرشاً على الشعب أغدقا

بموردها الرايات أورد مصطف … كصفوة اسماعيل باعا ومرفقا

فتى حازم فيه الفتوة شعلة … يقود شبابا بالمعالي تمنطقا

فمن كل وضاح الجبين بوجهه … تجلى الابا في أوجه متدفقا

بهم فاخرت صنعا وفيهم لها رأت … بنين أبوا دون السماكين مرتقى

وما هز أعطاف الأبوة مثلما … ترى في بنيها نهضة وتفوقا

وان لها في الرافدين لأنجما … لها أمل فيهم سيغدو محققا

على جدهم شادوا الصروح جدودهم … وضموا الى مجد الجدود سرادقا

بنوها بأيدي العلم والعلم واسع … محيطاته لا ترتضي الجبن زورقا

فما فتحت أصدافها وتضاءلت … لغير شجاع عبقري ومنتق

(فمن هاب أسباب المنايا ينلنه) … ومن خاض ظهر اليم بالجهل أغرقا

فما اجتازه إلا همام مغامر … إرادته عن كبحها الدهر أخفقا

بقوته والعلم ربان فكره … غدا فاتحاً ما كان في الكون مغلقا

فسخر متن الجو والبحر والثرى … وغربلها للسر منها مدققا

أطل على الدنيا وللسحب دونه … مدار ولو شاء السماكين لارتقى

أولئك حفاظ البلاد اذا دعت … بهم لم يسمها طامع خطة الشقا

بهم فخرت آباؤهم وبلادهم … وقالت كذا فليحى من حاول البقا

وقالت كذا الأبناء يحيون إنما ... تصون حقوقي قوة لن تمزقا
على قوة العصر الحديثة فلتقم ... لكم نهضة فالسيف أضحى ممخرقا
فلم يدع البارود والنار خاطباً ... مدافعها يلفى بها الحق أشدقا
خطيب له فوق الجبال منابر ... وفي اليم أبراج وفي الجو مرتقى
بفيه لسان طاهر ومصدق ... اذا ما تلا لم تلق إلا مصدقا
بآياته مطوية في غلافها ... اذا أرسلت تاب الظلوم وأشفقا
وعادت الى أوكارها من شراكه ... حقوق لها من ربقة الغصب أطلقا
بأفواه هاتيك المدافع فارتقوا ... منابركم فهي الخطيب هي التقى
لها فاتقنوا صنعاً فليس بخاطب ... لسان معار أو مباع مزوقا
فاني أرى الدنيا أتونا وقودها ... بلا غاية شعب ضعيف تمزقا
على الضعفاء الحرب أج شواظها ... وطارت بها الاطماع غرباً ومشرقا
فلولا شعوب دب في جسمها البلا ... لما أشعل الحرب القوى وأبرقا
فأين بنو الفصحى من الحرب انهم ... لأمواجها من كل صوب بملتقى
وفيهم اذا ما أيقظوا الجد والاخا ... على الدهر سلطان به الشر يتقى
فيا قاتل الله الدخيل فانه ... بوحدتنا للسم ألقى وفرقا
فنمنا قروناً والعدو وجهلنا ... بنا نحو جب الهون والمحو أعنقا
ولم نستفق إلا بآخر نبضة ... اليها غرار الموت كان مفوقا
وذا اليوم إن لم نغتنم لرياحه ... هبوباً سقانا الويل ثمة أطبقا
وقد آن أن تقوى الروابط انها ... تطالبنا سيراً قوياً محققا
روابط تمليها المصالح والاخا ... وجنسية بالدين زادت توثقا
فما جاء دين الله إلا مكونا ... لنا وحدة يأبى سداها التفرقا

وإلا غدت للساخرين مطية ... نؤم بها بحر الجحيم لنحرقا

فما نحن إلا أسرة قد تفرعت ... فأشأم فرع من سباء وأعرقا

فان لم يكن ذاك البناء مدعما ... بوحدتنا في قوة خيم الشقا

وان لنا في ذا الوداع لمسرحا ... به استعرضت نفس الأماني مصدقا

به نظرت مهد العروبة ناظراً ... الى فرعه في الرافدين تشوقا

وبعد انقطاع كاد أول عهده ... يضل غدا بين الشقيقين ملتق

وضمت حواشينا ولم شتاتنا ... وكان من المأيوس ان نتوفقا

وتنظر بغداد لصنعاء غاديا ... وتنظر صنعاء لبغداد طارقا

حواجز أبدتها السياسة بيننا ... رأتها يد الأطماع للصيد باشقا

الى ان أدال الله منهم فحطمت ... ودب الاخا يمشي الهويناء مرهقا

عسى انها في يومنا غير أمسه ... تهب وتمحو ما تراه معوقا

وداعا لاسماعيل صفوة انه ... لبغداد نبض لن يخور ويفرقا

ففي برده رمز العراق مجسم ... يخال لمن وافاه أن يتدفقا

وان به للكهرباء أعنة ... تسيل الى الأفكار علما ومنطقا

وروحا بها الجندية اليوم أدركت ... فنونا عليها الفوز أضحى معلقا

فأب في رفاق فوقك الشكر وارف ... يقابله التحييذ أيان أعنقا

وشكراً ليحيى والولي لعهده ... وشكراً لمن أوفى العروبة موثقا

وفي يوم السبت المصادف ١٤ تشرين الثاني ١٩٤٢ (٥ ذو القعدة ١٣٦١) أقامت لنا صنعاء وجيشها حفلة عظيمة في ثكنة المدفعية خارج سور المدينة تجلت فيها روح العربي اليماني وطيب عنصره وشرف نجاره ، ولم يبق في صنعاء انسان إلا وحضر هذه الحفلة الوداعية المؤثرة صبيانا وفتيانا

وشبانا ورجالا وكهولا وشيوخا ، ولقد تأثرنا كل التأثر من هذا المنظر في ساعة الفراق فبادلناهم شعوراً بشعور ، وعطفا بعطف ، واستعباراً باستعبار ، وركبنا السيارات متكلين على الله بعد ان تركنا وراءنا صنعاء التي أحببناها وأحبتنا واخلصنا فيها العمل فوفت لنا ساعة الرحيل في هذه العواطف الزاخرة بالحب المفعمة بالتعلق والاعتراف بالجميل .

وما زالت قافلة سياراتنا تسير حتى بلغنا في اصيل هذا اليوم قرية (معبر) التي شهدناها لدى قدومنا لأول مرة الى اليمن ، فبتنا ليلتنا في هذه القرية . وفي صبيحة يوم الأحد استأنفنا السفر الى (عبال) التي كنا قد شهدناها أيضا لأول مرة لدى شخوصنا الى مملكة اليمن وبتنا ليلتنا فيها ، وفي صبيحة يوم الاثنين تحركنا من عبال الى (بجيح) فـ (باجل) وبتنا ليلتنا في هذه ، وفي يوم الثلاثاء غادرنا باجل الى الحديدة واقمنا في الحديدة ثلاثة ايام استأنفنا بعدها الرحيل منها الى (الزهرة) وبتنا ليلتنا فيها ، وفي صبيحة السبت ٢١ تشرين الثاني استأنفنا السفر من الزهرة الى (ميدي) وميدي هذه آخر قرية تقع على الحدود اليمانية السعودية ، ولقد كنا في سفرنا بطريق العودة الى الوطن من صنعاء الى ميدي ننزل ضيوفا على عمال جلالة الامام يحيى حميدالدين المعظم فكانوا والحق يقال يقومون بواجب الضيافة خير قيام ولم يبخلوا بشيء مما اضطرنا لأن نحفظه لهم على صفحات قلوبنا وسيبقى أثره عالقا بأذهاننا ما عشنا .

الى جيزان :

وفي يوم الأحد المصادف ٢٢ منه أقلتنا سياراتنا من ميدي مشيعين بالاحترام معقبين ساحل البحر الاحمر فوصلنا جيزان الساعة الثانية بعد الظهر بعد

مسيرة سبع ساعات ونصف الساعة في طريق سبخ حتى ان سياراتنا توقفت غير مرة لأن إطاراتها ساخت في رخي تربة السافي ، وما ان وصلنا جيزان التي هي اول قرية للمملكة العربية السعودية حتى استقبلنا أميرها خالد السديري صهر جلالة الملك عبدالعزيز السعود فأكرم وفادتنا واقام لنا وليمة عشاء فاخرة كما انه هيأ لنا كل ما يقتضيه واجب الضيافة العربية ، ولقد أقمنا في جيزان ثلاثة أيام منتظرين وصول السفينة الشراعية المخصصة لنا .

الى جدة

وفي يوم الاربعاء ٢٥ منه رست سفينة تجـارية متوسطة الحجم أشبه ما تـكون بهذه السفن الشراعية التي تمخر دجلة بين بغداد والبصرة ، فدخلنا هذه السفينة لتقلنا إلى جدة وفي الساعة (١٢٠٠) من اليوم المذكور تحركت السفينة من جيزان إلى جدة وكانت أمواج البحر تتلاعب فيها من كل جانب وكانت أشعة الشمس الـكاوية تتقاذفها من كل جانب أيضاً وبقينا على هذه الحال في تلك السفينة المتواضعـة التي لم يقيض الله لنا غيرها خمسة أيام (كوامل) .

وفي يوم الأحد المصادف ٢٩ منه بلغنا جدة ونحن نشكر الله على السلامة وما أبعد الفرق بين ذهابنا وبين ايابنا ، ففي الأيام الأول ذكريات أنس وطرب في الباخرة نوركندا الانكليزية ما زالت عالقة في أذهاننا . فنزلنا من السفينـة إلى مدينـة (جدة) الباب البحري الأول للحجاز واتجهنا إلى (أوتيل جدة) لنحل ضيوفاً على الحكومة السعودية .

الى مكة

أقمنا في جدة خمسة أيام وفي يوم الخميس المصادف ٣ كانون الأول ٩٤٢ أقلتنا السيارات مودعين ببالغ الحفاوة من القائمين على ضيافتنا بجدة ميممين شطر مكة المكرمة

وقد اتصلت بها قلوبنا قبل أجسامنا فبلغناها في اليوم المذكور ونزلنا في دار فخمة على شارع الصفا الدار المعدة لنا ، وفي اليوم الثاني (الجمعة ٤ منه) تشرفنا بزيارة جلالة الملك عبد العزيز السعود فنلنا من لدن جلالته الألتفات السامي كما أننا زرنا سمو الأمير سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية فقابلنا بمنتهى البشاشة واللطف والا كرام .

وتشرفنا للمرة الثانية بالمثول بين يدي جلالة الملك عبد العزيز السعود (يوم الجمعة ١١ منه) وقد تفضل جلالته وحادثنا ملياً عن حالة بلاده وآرائه في السياسة والحرب كما عرض لأحوال البلاد العربية الأخرى ودام حديث جلالته نحو خمس وثلاثين دقيقة وبعدها زرنا أنجال جلالة الامام يحيي حميد الدين الذين أمّوا البلاد المقدسة لأداء فريضة الحج وهم سيف الاسلام الحسن. وسيف الاسلام علي . وسيف الاسلام ابراهيم . وسيف الاسلام اسماعيل . وسيف الاسلام يحيي .

وزرنا يوم الأحد ١٣ منه سمو الأمير فيصل بن السعود باعتباره نائب الملك في الحجاز ، وفي نفس اليوم تلقينا بطاقات الدعوة إلى حفلة عشاء تقام على شرف البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن فلبيناها في الوقت والمكان المعينين و كانت حفلة فخمة و كنا نحن الضباط الأربعة على مائدة جلالة الملك ابن السعود وكان الأمراء الكرام سيوف الاسلام اليمانيون أنجال جلالة

الامام المعظم على مائدة ولي العهد للمملكة العربية السعودية ورؤساء وفود حجيج بيت الله الحرام للبلاد العربية بأجمعها ووزراء الدول العربية المفوضون لحكومات العراق ومصر وتركيا وايران والقائم بأعمال المفوضية الهولندية وغيرهم من كبار الشخصيات .

الى عرفات :

وفي يوم ١٦ منه (٨ ذي الحجة) توشحنا بملابس الأحرام وسرنا إلى جبل عرفات وكانت الوقفة عليه يوم الخميس ٩ منه ، وهناك شاهدنا جبل النور الذي تشرف بوقفة النبي المصطفى محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي صلى الله عليه وآله .

وفي منتصف ليلة ٩ـ١٠ ذي الحجة رجعنا إلى المزدلفة حيث بتنا فيها الليل وقضينا مراسيم الحج فيها ، وفي صبيحة ١٠ ذي الحجة بعد أن رمينا الشيطان الأكبر بالحجارة بقينا في (منى) ثلاثة أيام العيد كنا فيها على أسعد حال وأتم بال وأيمن وقت قضيناه في حياتنا في ظلال موسم الحج المبارك الذي تفاءلنا به كل خير ، وقد تشرفنا بزيارة الملك ابن السعود وفي اليوم الثاني من العيد وبعد أن أتممنا فرائض الحج عدنا إلى مكة المكرمة يوم ١٢ ذي الحجة .

دعوات وحفلات :

طال مكثنا في مكة المكرمة كنا خلاله معززين مكرمين أقيمت لنا حفلات متعددة سواء كانت رسمية أوخصوصية لكن الصبغة الرسمية كانت

في معظمها هي الغالبة وكانت أبهة موسم الحج المبارك تضفي على الحفلات اعتباراً وأهمية وفخامة علاوة على أهمية واعتبار مكانة القائمين بها .

ولقد دعانا في يوم ١٤ كانون الأول ٩٤٢ (١٦ ذي الحجة) سعادة مدير معارف اليمن السيد علي المؤيد إلى تناول طعام الغداء مع سيوف الاسلام أنجال جلالة الامام الملك يحيى حميد الدين المعظم المقيمين في مكة المكرمة بدار أحمد السليمان شقيق وزير مالية الحكومة السعودية الواقع في محلة (جرول) وقد بالغ الداعي في إكرام ضيوفه حسبما تقتضيه الضيافة العربية وقد خرجنا بعد انتهاء حفلة الغداء وقصدنا زيارة جلالة الملك ابن السعود مستأذنين منه السفر .

الاستئذان للسفر

تشرفنا هذا اليوم بمقابلة جلالة الملك فرحب بنا وسألنا عن صحتنا وراحتنا فأجابه رئيس البعثة بان الجميع مرتاحون ومسروورون ولله الحمد ومقدرون الكرم العظيم الذي لاقيناه من رجال حكومة جلالته منذ وطئت أقدامنا أراضي البلاد السعودية ، إذ في كل مكان هيئت لنا وسائط الراحة والترف بشكل شمل جميع أعضاء البعثة ضباطاً وأفراداً ، فأجاب جلالة الملك: كلا إنكم سترون خدمة أكثر مما تظنون ، ثم لاطفنا وشملنا بعطفه الملكي السامي ونهضنا مستأذنين من جلالته السفر فوافق على أن تعين حكومته لنا يوم السفر ، وبعد ساعة طلب معالي وزير المالية السيد عبد الله السليمان سعادة العقيد الركن اسماعيل صفوة رئيس البعثة وكلمه بشأن السفر وعن عدد السيارات اللازمة للسفر ، فاتخذت بهذه المقابلة كافة الترتيبات والتجهيزات وهيئت لنا جميعها من خيم وقدور وخوان وحراس والمواد الغذائية على اختلاف أنواعها

على شكل يضمن راحتنا حيث لم ينقصنا شيء على طول الطريق من البلاد السعودية إلى العراق .

حفلة فخمة

وفي يوم الجمعة ٢٥ منه (١٧ ذي الحجة) أقام لنا صاحب السعادة الفريق فتحي باشا أمير الحج المصري عامئذ حفلة عشاء فخمة في أوتيل بنك مصر ، المعتبر من افخم المباني الموجود في مكة المكرمة ، حضرها صاحب السمو الملكي الامير فيصل السعود نائب الملك في مكة ونحو مائة من الذوات تجلى في هذه الحفلة كرم الداعي وذوقه الراقي . وقضى المدعوون سويعات لذيذة مشبعة بالود والأنس، وكانت الحفلة من أفخم الحفلات بعد مأدبة جلالة الملك كما هي خاتمة الحفلات .

الرحيل من مكة :

أقمنا في مكة المكرمة ستة وعشرين يوماً من اليوم الثالث من كانون الاول ١٩٤٢ إلى اليوم السابع والعشرين منه كانت كلها أيام بركة وسعادة إذ نلنا فيها كل شيء وأول شيء نعمة الحج المبارك الذي كم كنا نمني أنفسنا منذ أعوام طويلة في أن تتيح لنا الفرص لأداء هذه الفريضة المقدسة ، ولكن شاء الله تعالى أن ننعم بحج بيته الحرام وان نقوم بهذه الفريضة في أسعد الاوقات وأيمن المناسبات فشكراً له وألف شكر على ما أنعم علينا .

نحن في يوم الثلاثاء ١٩ ـ ١٢ ـ ١٩٤٢ وها قد وضعت أمتعتنا وكافة لوازمنا في السيارات وفي الساعة ٩٫٣٠ تحركنا من مكة المكرمة ووصلنا في الساعة ٤٫٣٠ . ب . ظ إلى قرية (الشرائع)، والقرية هذه فيها ماء ونخيل

ومقهى وفي الساعة ١١٠٠ وصلنا قرية (الزيمة) فوجدنا بها ينبوع ماء قراح يتفجر من جبل على مقربة من القرية ، وكان منظر هذه القرية أجمل ما شهدته بعد مغادرتنا مكة المكرمة إذ قطعنا منطقة من الجبال الجرد لا ماء فيها ولا نبت فظهرت لنا قرية الزيمة الواقعة على بعد ٧٠ كيلو متراً تقريباً شرقي مكة كأنها قطعة من الجنان اليانعات .

وفي الساعة ١١٣٠ ب.ظ . بلغنا المرحلة الاولى وهي مكان مكشوف اسمه (العشير) يبعد ١١٢ كلومتراً من مكة بعد أن تركنا الطريق المؤدي الى الطائف على يميننا وعقبنا طريق الرياض ونصبنا الخيام ونحرت الذبيحة وبوشر بعملية الطبخ لاعداد الطعام وعمل القهوة ، ومن الغريب أن الطقس انقلب فجأة من الحر الشديد الذي لقيناه في مكة وعقارها إلى برد شديد بعد مسيرة قصيرة في بضعة عشر كيلومتراً .

الى المويه فالدفينة :

وفي الساعة ٧٣٠ من صبيحة يوم الاربعاء المصادف ٣٠ ـ ١٢ ـ ٩٤٢ تحركنا من العشير بعد أن بتنا فيها ليلتنا متجهين نحو الشرق والشمال الشرقي في أرض حصوية صحراوية لا ماء فيها ولا نبات إلا النباتات الشوكية التي ترعاها الأبل وفي الساعة ١١٫٤٥ قبل الظهر وصلنا (المويه) التي تبعد عن العشير ١٦٠ كيلومتراً وهي نقطة فيها محطة لاسلكية وبئر ماء ومحطة تموين للبنزين خاصة بالحكومة السعودية، وهنا وردت على سعادة العقيد الركن اسماعيل صفوة رئيس البعثة برقية من جلالة الملك ابن السعود يرجو فيها للبعثة سفراً سعيداً .

وفي الساعة ٠٣٣٠ب . ظ . تحركنا نحو (الدفينة) وكان الطريق باتجاه الشرق والشمال الشرقي قاطعاً الأرض الصحراوية وفي الساعة ٠٦٣٠ب . ظ .

وصلنا (الدفينة) وهي تبعد ٨١ كيلومتراً عن الموية ، والدفينة هي قرية صغيرة فيها بئر للماء وحولها البيوت البدوية أصحاب أبل وماشية ، فنصبنا خيامنا ولم نجد في طريق الدفينة قرى ولا مياه والاراضي ملحية كما أننا لم نجد كبير صعوبة في السفر .

عفيف والقاعية :

وفي الساعة ٧٣٠ من صبيحة يوم الخميس ٣١-١٢-٩٤٢ تحركنا من الدفينة وكان سيرنا باتجاه الشرق ثم إلى الشمال الشرقي وكانت طبيعة سطح الارض حصوية كاسية ، وبدت لنا الاراضي منبسطة غير انه بعد مسيرة نحو ثلاثين كيلومتراً أخذت الاراضي تتموج فاجتزنا تلولا متناثرة شرقي وغربي الطريق ، وما اقتربنا من (عفيف) والتي تبعد ١١٨ كيلو متراً من الدفينة في الساعة ١١٫٣٠ حتى بدأت سلسلة جبلية تحيط بالطريق وهي تمتد بوجه عام من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي وكانت أعلى المرتفعات في هذه السلسلة هي القريبة من عفيف وهي تسمى بجبال عفيف ، واستمرت هذه السلسلة على شرق الطريق حتى نقطة (القاعية) وتبعد ٧٨ كيلومتراً من عفيف والتي بلغناها في الساعة الثالثة ب . ظ . وحول نقطة عفيف مراع للابل والغنم وفي عفيف بعض البيوت يسكنها صعاليك البدو وفيها نقطة تموين للبنزين للحكومة العربية السعودية ، والاراضي هنا متموجة[1] ولا سيما القسم الشرقي من الطريق ، وبعد وصولنا نقطة القاعية وكل ما فيها بئر عمقها نحو عشرة أمتار أخذت سلسلة الجبال تتحول إلى جبال متقطعة وتلول متصلة وقد

---

(١) أي تلول مبعثرة تتخللها سهول ووديان كالأراضي الواقعة بين الزاب الكبير وأربيل وحتى قرب كركوك في العراق .

لا يتجاوز أعلاها ٣٠٠ قدم ، والملحوظ أن ماء البئر قريب من سطح الأرض وهي غزير متدفق ، وقد أفادنا مهندس الزراعة المرافق لنا السيد رفعت خربوطلي الشامي[1] بأن هذه الأراضي صالحة للزراعة وفي الامكان اسكان هذا البدوي فيها لو أنشئت مشاريع للري وتغيير طبيعة حياته البدوية وارغامه على الاستقرار كما هو جار في اليمن .

والطقس بوجه عام جيد جداً تغلب عليه طبيعة طقس بادية العراق ولا سيما بعد مغادرتنا نقطة (السيل) وتخلصنا من سلسلة جبال السراة المحيطة بمكة والتي تجعل جو مكة أشبه بأتون من نار في شهر كانون الثاني وهو شهر البرد القارس والزمهرير الشديد في العراق .

الدوادمي :

تركنا القاعية واتجهنا الى الدوادمي في الساعة الرابعة ب . ظ . وطبيعة الأراضي التي اجتزناها جبلية من تموج الى تسلق بعض المرتفعات البسيطة الى تلول متوسطة الارتفاع تقع شرقي الطريق بمسافات تزيد أو تقل عن الميلين بعض الشيء ، والملحوظ أن هذه الجبال هي من سلسلة جبال (عفيف) أو متممة لها ويغلب على ظني أن هذه السلسلة برمتها هي من سلاسل جبال (نجد) المشهورة بهضبة نجد .

وفي الساعة السابعة ب . ظ . وصلنا (الدوادمي) التي تبعد تسعة وتسعين

---

(١) رافق السيد رفعت خربوطلي بعثتنا من صنعاء وزميله الدكتور أحمد سامي السمان الذي كان بخدمة الحكومة اليمنية مدة سبع سنوات وقد قتل هذان السيدان بعد اجتيازهما الحدود العراقية ـ السورية في حادثة اصطدام القطار بحلب سنة ١٩٤٣ رحمة الله عليهما .

كيلومتراً من (القاعية) فلاحت لنا بستان للنخيل غربي القرية كأنها قطعة من الجنان بعد مسيرة ٦٠٠ كيلومتراً لم يقع فيها نظرنا على أي أثر للعشب والنبات الناضر ، فمن نقطة (الريعة) شرقي مكة المكرمة بقليل حتى قرية (الدوادمي) لم نجد أثراً للحياة العمرانية في هذه الصحراء القاحلة اللهم إلا بعض قطعان من الأبل والغنم كانت تنتجع الكلأ في هذه الأراضي المجدبة .

والدوادمي قرية صغيرة شيدت بيوتها بالطوب الأحمر (الخلب) وفيها قلعة للحكومة على طراز مفاتيل العراق القديمة وشاهدنا فيها سبعة من السجناء البدو مصفدين بالسلاسل والأطواق الحديدية المقيدة بها أعناقهم تربط سجيناً بآخر ، وعلمنا أن هؤلاء السجناء متهمون بجرائم مختلفة ، واستقبلنا أمير القرية ووراءه (خوي) له يحمل سيفاً يقود رأسين من الماشية هدية لنا على العادة البدوية فشكرنا له لطفه وطيب كرمه وحسن استقباله .

لقد تأخرت سيارات الحمل (اللوريات) التي تحمل أمتعتنا كلها وبقينا ننتظرها في الدوادمي ونحن نرتجف برداً بالرغم من وصولنا الى ديوان الملك الخاص ، وهذا الديوان عبارة عن غرفة كبيرة من الطين مفروشة بالبسط الهندية تحيط بها الوسائد يتصدرها مطرح (دوشك) فوقه طنفسة (زولية) وعليه وسادة على ترتيب رحلة الجمل (حداجة) لجلوس جلالة الملك وراحته . وقد طال انتظارنا لسيارات الحمل ومن يدري ؟؟ فلعلنا نقيم النهار كله أو نبيت الليلة أيضاً في هذه القرية ريثما تصل السيارات البواقي ، ولقد قدر لي أن استمع الى محطة لندن اللاسلكية من المحطة اللاسلكية المقامة في هذه القرية الواقعة في قلب صحراء نجد المنقطعة عن العالم .

وقدر لنا أن نقضي يوم ١٩٤٢/١٢/٣١ في الدوادمي ونبيت الليلة فيها أيضاً لتأخر السيارات .

وفي صبيح يوم الجمعة حيث نكون في يوم العام الجديد (١٩٤٣/١/١) وشهر جديد تفتتحه ونحن في الدوادمي بقلب الصحراء العربية نرفع أيدينا الى رب العلاء أن يعيدنا الى أوطاننا سالمين معافين مكرمين ويحفظ لنا بلادنا وحكومتنا ومليكنا ووصينا الحبيبين وينصر الحق وينهي هذه الحرب الطاحنة انه تعالى السميع العليم .

الخفيفه :

لقد طال الانتظار في الدوادمي وتأخرنا فيها لعطب حصل في احدى سيارات الحمل كما رأيت آنفا فبتنا في الدوادمي وانتظرنا نهار الجمعة حتى الساعة ٩٠٠ أي الى أن تأكدنا وصول سيارتنا هذه ونجاتها بعد الاصلاح وضمان سلامتها في الرحيل ، استأنفنا السفر تواً من الدوادمي بعد شكر القائمين بواجب ضيافتنا ، فعقبنا الجهة الشرقية والشمالية الشرقية أي نفس اتجاهنا الأول وكانت الأرض حصوية رملية في هــذه الصحراء الواسعة الشاسعة ومع ذلك فلم تخل من تلال وانجاد متناثرة على أبعاد من الطريق وكانت سياراتنا وهي من نوع (البوكس صالون) تسير بسرعة معدلها ثمانون كيلومتراً في الساعة ، وما دنت الســاعة ١١ حتى وصلنا الى نقطة الخفيفه الواقعة على بعد ٦١ كيلومتراً من الدوادمي ، وجدنا فيها بئر للماء وبعض بيوت من عرب (صليب) الفقراء المشهورين المعروفين في البلاد العربية ، ولما كان الظلام قد خيم قررنا المبيت في الخفيفه فنصبنا خيامنا وعسكرنا كالعادة

غير أن البرد كان شديداً لاذعا وقد ذكرنا بلادنا في مثل هذا الفصل ، ولا غرو فان نجداً هي من البلاد ذوات المناخ القاري[١] كالعراق بارد شتاء وحار صيفاً ، وقد رأينا قبيلة عتيبة الكبرى تسكن في البقاع الممتدة من نقطة الشرائع حتى مدينة الرياض .

مرات والى الرياض :

تحركت قافلتنا من الخفيفه الساعة السابعة والنصف من صبيحة يوم السبت ٢/١/١٩٤٣ وبعد مسيرة سبعة كيلومترات قطعناها بعشر دقائق بلغنا مبدأ (النفوذ) وهي كثبان رملية يسيرة ، ولو خشيها السواق ، وقد ساخت إطارات سياراتنا في رمالها مرة واحدة ، وبعد أن قطعنا (النفوذ) التي يبلغ طول كثبانها الرملية زهاء خمسة وعشرين كيلومتراً سرنا في أرض غير رخوة وإن كان سطحها رملياً غالباً وحصوياً أحياناً وهي أسهل سيراً من النفوذ حتى وصلنا قرية (مرات) التي تبعد ستة وخمسين كيلومتراً من نهاية النفوذ .

ومرات هذه قرية متوسطة تحيطها من شرقيها وغربيها بعض التلول الصخرية وفيها قلعة للحكومة مشيدة من الطوب الأحمر مقامة على تل صخري وفي مرات محطة تموين للبنزين وفيها بعض البساتين من النخيل وتروى من مياه الآبار وأهلها يشتغلون بالتجارة مع القبائل البدوية وطقسها بارد في هذا الموسم .

ثم تحركنا في اليوم نفسه مستأنفين السفر الى الرياض فعقبنا نفس الطريق والاتجاه في أرض مجدبة صحراوية منبسطة تارة ومتموجة أخرى ولقد صادفنا

---

(٢) المناخ القاري بالنسبة الى القارة هو مناخ الاماكن البعيدة من البحار في داخل القارة التي يكون مناخها حاراً صيفاً وبارداً شتاء ويقابله المناخ الجزري .

في طريقنا بعض البيوت وخرائب بعض القرى المندرسة ، وقد ذكرتني تلك الآثار الدارسة بقول امرئ القيس الكندي :

لخولة أطلال [١] ببرقة ثهمد [٢] تلوح [٣] كباقي الوشم [٤] في ظاهر اليد

وقول النابغة الذبياني :

عوجوا [٥] فحيوا لنعم [٦] دمنة الدار [٧] ماذا تحيون من نؤي [٨] وأحجار

أجل لقد كانت هذه الديار كلها آهلة بالسكان أيام مجد العرب الذي أفلت نجومه بعد كارثة بغداد سنة ٦٥٦هـ . وظلت آهلة بالسكان حتى في أزمان الجاهلية فأين سكانها :—

صاح هذه قبورنا تملأ الرحـــب فأين القبور من عهد عاد ؟
خفف الوطء ما أظن أديم الأ رض إلا من هذه الأجساد

ذكريات عصفت في مخيلتي في هـذه اللحظات في مثل هذه الأبيات وغيرها من تاريخ الأولين وقصص الغابرين وأقوال الأدباء والشعراء والحكماء والمشهورين في ما كنا فيه وما نحن اليوم عليه . وبينا أنا في هذه الذكريات والأحلام والقافلة تسير وإذ لاحت لنا أرض معشوشبة تقع جنوبي الطريق العام وقيل لنا إنها مزرعة الشيوخ [٩] تروى ببئر ارتوازية قد نصبت عليها مضخة فنية .

---

(١) الأطلال — الآثار الشاخصة من الديار بعد دروسها . المفرد طلل .
(٢) برقة ثهمد — موقع .
(٣) تلوح — تظهر .
(٤) الوشم — النقش على اليد بالنيلج أو بصبغ أسود بغرز الابرة في الجلد .
(٥) عوجوا — قفوا .
(٦) نعم — اسم امرأة .
(٧) آثار الدار .
(٨) النوئ — الحفير الذي يكون حول الخباء يمنع المطر .
(٩) تطلق هذه الكلمة على جلالة الملك عبدالعزيز السعود في نجد فقط .

وفي الساعة الخامسة والنصف ب . ظ . لاحت لنا أبنية الرياض المشيدة كلها في الطين واقتربنا من بناية عليها حارس يحمل البندقية وبعد التحقيق والسؤال والاجراءآت الشكلية الطويلة ادخلنا الى المكان المعد للضيوف ، ومن ثم نقلونا الى دار أخرى تستطرق الدار الأولى اليها ولكنها دونها سعة وقد فهمنا بأن الرياض لا علم لها بقدم بعثتنا وإنما ادخلونا الى القصر بدون أمر والمكان الذي ستنزل فيه بعثة أمريكية قادمة اليها للعمل في الآبار .

الرياض :

الرياض إحدى عاصمة المملكة العربية السعودية وبيوتها مشيدة من الطين (الخلب) ومعظمها تتألف من طابق واحد وهنالك قليل منها يتألف من طابقين اثنين وشوارعها ابتدائية غير منتظمة .

وفي المدينة سوق تباع فيها البضائع الخاصة بالبدو كما أن فيها (سوق الهرج) لبيع البضائع المستعملة كما هي الحال في مدن العراق الصغرى ، ومعظمها من الخامات الابتدائية وفيها محطة لاسلكية وتلفون .

وفي الرياض قصر عبدالرحمن آل السعود والد جلالة الملك الحالي وهو كذلك مشيد بالطين ، والبلدة عبارة عن قرية كبيرة من قرى العراق القديمة يحيط بها سور من الطوب كالمدن القديمة التي تخشى الغزو من الصحراء ، والقصور الملكية الخاصة بالملك وانجاله جميعها تقع خارج سور الرياض .

وحول الرياض بعض بساتين النخيل والأثل (الطرفة) وليس في الرياض فاكهة والخضرة نادرة فيها أو بحكم العدم تقريباً ، ليس فيها مدارس سوى بعض الكتاتيب التي تلقن مبادئ القراءة والكتابة وبعض الحلقات الخاصة بدرس الفقه للمذهب الوهابي .

ولقد فتح جلالة الملك ابن السعود حول الرياض بعض الطرق القصيرة المسافة المبلطة تبليطاً بسيطاً ولاسيما ما تؤدي الى قصره . وتغلب على القرية ـ الرياض ـ مظاهر البداوة تماماً ، والنساء فيها يتبرقعن ببرقع أسود ويرتدين العباءة الصوفية السوداء فوق ملابسهن وهي طويلة من المؤخرة تزيد عن ذيول أثوابهن قدمين اثنين وهن على الأغلب الأعم بدويات ساذجات .

معيشة السكان :

الحركة التجارية في التاريخ الذي أكتب فيه لدى وجودنا في الرياض واقفة تقريباً لغياب جلالة الملك وحاشيته ، فهم عند ما يكونون فيها تنشط الحركة لوفود العرب عليها من الأطراف لقضاء مصالحهم .

يبلغ عدد نفوس الرياض ٢٠٠٠٠ نسمة ويرتفع وينخفض هذا الرقم عند وجود جلالة الملك فيها وغيابه عنها ، والقسم الكبير من القبائل البدوية يعيشون على صدقات ابن السعود وكرمه كما هي الحال في مكة وجدة حيث يوزع في مكة كمية كبيرة من الخبز الأبيض كل يوم لعدم وجود عمل للسكان ، ولا ينكر أن معيشة السكان في الرياض متوقفة على التجارة مع القبائل المجاورة في المواسم الخاصة ولاسيما لدى وجود جلالة الملك في عاصمته الرياض .

أمير الرولة :

وفي هذا اليوم ـ الاثنين ـ قدم الرياض أمير قبيلة الرولة السورية الشيخ فواز الشعلان وحل بدار الضيافة فذهبنا للتعرف عليه فوجدناه شاباً تبدو عليه علائم النجابة ، وقد حولته الحضارة الاوربية الى جانبها تماماً ،

وهو يدخن ويتكلم الفرنسية بطلاقة ويجيد الرقص الاوربي كما علمنا .

وللامير فواز الشعلان مركز خطير ومكانة مرموقة في نجد ، وقد سبق لي أن تعرفت بأخيه الصغير في (منى) إذ كانت خيمته بجانب خيمتنا وكنا نزوره وكلا الأخوين مثقف بالثقافة الفرنسية والأخ الصغير يشغل منصباً خطيراً في الحجاز وهو (وكيل) بمجلس الوكلاء أي بمقام وزير وكلاهما حلو الحديث جم الادب ملم بكل الاحوال والاوضاع الاجتماعية والشؤون العربية الخاصة بالقبائل .

مهندسان أمريكيان :

وزارنا مهندسان أمريكيان يشتغلان بحفر الآبار الارتوازية ونصب المضخات عليها ، فعلمنا منهما انهما حفرا حول الرياض وحدها سبع آبار بعمق ٣٠٠ قدم للبئر الواحدة، والماء يسحب منها بواسطة المضخات الماصة ، وحفرا آبار أخرى في جهات الخرج وفي غيرها من الجهات ويؤملان أن تعم الزراعة أكثر من ذي قبل بعد الاكثار من حفر الآبار وبعد ورود الآلات التي ستنصب عليها لغاية الري وبهذه الطريقة يريدان تحضير البدو واسكانهم .

هواجس وذكريات على طريق الكويت :

ولقد قدر لنا في طريق العودة أن ندرس جغرافية الوطن العربي فمن اليمن الى العراق مجتازين السهول والجبال والبحر فالصحارى والانجاد ، وقدر لنا أن نطلع على طبيعة الارضين والمناخات واختلاف الطقس بين صقع وصقع وطبائع السكان وأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والعادات والتقاليد .

وقيض لنا أن نرى المعمور المأهول والقفر المهجور وآثار السلف من الدمن والاطلال ، وأن نتحسر الى أيام عز العرب في دور الازدهار والعمران ، والمدنية التي شادها الجدود على أسس ومبادئ قويمة كانت مفخرة الزمان وأعجوبة الاكوان ، واليوم نتجرع غصص الحسرات وتمتلىء آماقنا بالعبرات حزناً وأسى وكمداً على تلك الايام الزهر الخوالي :—

قد انطفأت تلك النهى منذ أعصر وتومض أحياناً كما يومض البرق

أجل تومض تلك الذكريات السعيدة كلما ذكرنا العرش الهاشمي على ضفاف الفراتين في القرن العشرين ، حيث أن على مفارقهم الرجاء ، وفيهم موئل العزة والكرامة من آل البيت الكرام ، آل هاشم بيت الحسين بن علي القرشي ، فيهم الموئل والرجاء في العراق فيصل الوليد وفيصل الحفيد والوصي الأمين وولي العهد العظيم الأمير الجليل عبدالآله المعظم ، ففي آل هاشم وحده رجاء العرب اليوم في بعث ذلك المجد .

على طريق الكويت :

تلك بعض خلجات نفسي وخطراتها والسيارة تقطع بنا الطريق من الرياض التي غادرناها الساعة الرابعة من مساء يوم الثلاثاء المصادف ٥/١/١٩٤٣ ، سارت السيارة في أرض بلقع مدة نصف ساعة ، وتلك الخطرات تتنازعني وقد نقلتها موجزة من مذكراتي الشخصية وبدأت الأرض بعد قطع تلك المسافة بنصف ساعة تتموج ثم تتسلق بعض المرتفعات البسيطة .

واستمرت الحال على هذا المنوال حتى وصلنا مضيقاً صخرياً صغيراً بين التلول يسمى (البويب) حيث شاهدنا بأن الحكومة السعودية قد نحتت هذا التل الصخري وشقت طريقاً فيه وعبدته بالاسفلت ، وبعد اجتيازنا البويب

والاراضي المتموجة الواقعة شماله دخلنا أراضي صحراوية غير أن سطح الطريق حصوي وصخري على الاغلب ، وكان اتجاه الطريق العام شمالا وشمالا شرقياً .

وهكذا استمرت السيارة تسير بسرعة ستين كيلومتراً في الساعة لمسافة مائة وخمسين كيلومتراً حيث وصلنا نقطة (الرماح) في الساعة الواحدة والنصف ليلا ، ونقطة الرماح هذه عبارة عن خمس خيم يسكنها أمير الرماح وفيها محطة لاسلكية وخمسة أفراد من الشرطة وفيها بئر ماء ، والرماح نقطة ملتقى عدة طرق وقوافل الحيوانات والسيارات القادمة من شرق الاردن والحساء والكويت والبصرة ، والقوافل القادمة من الجوف يجب أن تمر بنقطة الرماح وأمير هـذه النقطة بدوي ذو عبد واحد لا يملك غير الرمال والدعاء للشيوخ .

وبعد وصولنا الرماح بساعتين ذبحت لنا الذبيحة على العادة وأوقدت النار وأعدت القهوة والشاي واجتمع حولها (الخويه) كالعادة ونصبت الخيم في الساعة الرابعة ليلا ودخلنا خيمتنا انا والعقيد الركن اسماعيل صفوة والدكتور أحمد سامي السمان وطلعت خربوطلى رحمهما الله .

الى أمعقلة . والنفط :

وفي يوم الاربعاء المصادف ٦ / ١ / ١٩٤٣ غادرنا الرماح في الساعة الثامنة صباحا وبعد مسيرة خمسين كيلومتراً أخذت الارض تتحول من أرض حصوية متموجة الى أرض رملية وأصبحت معالم الطريق بحراً رملياً سافيا ، وبعد مسيرة عشرين كيلومتراً يتفرع من هذا الطريق فرعين : أولهما يتجه نحو الشرق تماما الى الحسي ، والثاني يتجه الى الشمال الشرقي ، وهذا

الطريق ـ الثاني ـ هو الذي سرنا فيه وهو طريق الكويت ، وبعد أن قطعت السيارات ستين كيلومتراً من هذا الطريق ـ الثاني ـ بعدة ساعة في غمرة هذا البحر السافي من الرمال ، أخذت الارض تتحول الى أرض حصوية نوعا ما ، وهذه المنطقة التي هي جزء من الدهناء خالية من الانسان والحيوان والنبات ، ووقفنا ننتظر سيارات الحمل (اللوريات) التي تخلفت عنا ودام انتظارنا ساعة ونصف الساعة ، والسيارات في مثل هذه الطرق لابد وأن تسير مجتمعة متقاربة على عادة قوافل الحيوانات خشية العطل والعطب .

وما ان التحقت بنا سيارات الحمل المتأخرة حتى استأنفنا الرحيل ووصلنا الساعة الثانية عشر الى نقطة (أمعقلة) وهي نقطة تبعد عن الرماح مائة وخمسين كيلومتراً فيها بئر ارتوازية تسحب المضخات الماصة مياهها وهو من حفر الشركة الاميركية السالف ذكرها ، وبالقرب من هذه البئر المائية (بئر للنفط) وهي من حفريات شركة التنقيب عن النفط في المملكة العربية السعودية ، وهذه الشركة الاميركية منحت امتياز هذه المنطقة ومنطقة الاحساء قبل الحرب الكونية الثانية .

وقد علمنا بأنها عثرت على نفط كثير في هذه الاراضي الغنية بالذهب الأسود ، وتبعد هذه البئر النفطية الموضوعة البحث ٣٦٥ كيلومتراً شمال شرقي الرياض و٣٢٤ كيلومتراً جنوب غربي الكويت أي أنها في منتصف الطريق بين الرياض والكويت تقريبا ، وهذه البئر النفطية مختومة فوهتها فلايستعمل من نفطها ولايستطاع فتح شيء منها، وفي أمعقلة محطة لاسلكية ونحو أربع خيام ومأمور معتمد من قبل شركة التعدين التي مركزها جدة (شركة مهد الذهب).

لقد اجتزنا هذه الصحراء بشق الانفس لكثرة الرمال ، وبعد أمعقلة

أخذنا نهبط رويداً رويداً من هضبة نجد معقبين طريق الشمال الشرقي أيضاً حتى وصلنا مساء قرية (القرية) وهي على بعد ١٦٧ كيلومتراً شمال شرقي أمعقلة ، وكان معدل سير السيارات في هذه الطريق خمسة وأربعين كيلومتراً للصغيرة منها (بوكس) وخمسة وعشرين كيلومتراً لسيارات الحمل ذوات حمل طن ونصف الطن والثلاثة أطنان ، ولدى وصولنا القرية استقبلنا نجل أميرها بالترحاب وادخلنا القلعة وهي كبيرة مشيدة بالطوب (خلب) ووجدنا فيها مفرزة من الشرطة ومحطة لاسلكية وعدة سيارات ، وفي جنوب غربي القرية بيوت أهل القرية وهي مبنية بالطين ، وفي القرية بئر ماء مائه قليل الملوحة وبتنا ليلتنا في القلعة الحكومية التي تقدم وصفها.

الى الكويت :

وفي صبيحة يوم الخميس ٧ / ١ / ١٩٤٣ تحركت بنا السيارات من (القرية) باتجاه الكويت متبعة الجهة الشمالية الشرقية تارة والشرقية طوراً ، وطبيعة الأراضي في هذه الطريق حصوية كلسية على الأغلب وكانت السيارة تسير أحياناً بسرعة مائة كيلومتراً في الساعة ، وهذا مما يدل على صلاحية هذه الطريق لسير وسائل النقل الآلية على اختلاف أنواعها ، ولقد قطعنا المسافة بين (القرية) و (الكويت) البالغة ٢٢٢ كيلومتراً في خمس ساعات بيسر وسهولة ، لم نشاهد في طريقنا شيئاً يدل على الحياة ، وأين العرار أو العرعر الذي عناه الشاعر ساعة فراقه نجد بقوله :—

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار ؟

اللهم إلا بعض بقع صغيرة قريبة من الكويت كانت معشوشبة وفيها بعض قطعان من الغنم والابل ترعى .

لا شيء في هـذه المسافة الطويلة على جانبي الطريق لا مراعي مهمة ولا قبائل ولا أشجار ، ولئن قدمنا لك بأن الطريق لا تصلح إلا لسير الآليات فقط فانها - الطريق - غير صالحة لها أيضاً كلها من الكويت حتى مكة المكرمة ، إن لم تحمل السيارات معها كميات كبيرة من المياه الاحتياطية الكافية لها ولراكبيها حتى في حالة وجود بعض الآبار في الطريق خشية أن تضل الطريق فتتيه عندما تزول معالمها في بحار الرمال السافية .

وفي الساعة الخامسة ب . ظ من هذا اليوم - الخميس - بلغنا بلدة الكويت وفي الحال تركت القافلة ودنوت من سور المدينة ودخلتها من أحد أبوابها فوجدت في المدخل دائرة فيها تلفون أوتوماتيكي وحاسباً ومراقب كمرك فتكلمنا بالتلفون من هذه الدائرة مع سكرتير أمير الكويت وسألته عما وصله بشأننا في أمر مرورنا فأخبرني بأن الأمير لا علم له بوصولنا غير أن الأمير يسمح لنا بالتجوال في المدينة ، وهنا حضر ابن النفيسي وكيل جلالة الملك ابن السعود في الكويت وطلب إليّ أن أسير معه فتبعته حتى أوصلني الى دار السعوديين وقال أنتم هنا ضيوف جلالة الملك ابن السعود فاستقدمت القافلة وتركنا أمتعتنا خارجا من الحراس وحللنا في دار النفيسي . وهنا لابد لي أن أسجل ضرورة وجود قنصلية عراقية في الكويت لكثرة مصالح العراقيين في هذه المدينة .

هذه الكويت :

مدينة الكويت مشيدة على قرن خليج مسمى باسمها ويكتنفها خليج البصرة من ثلاث جهاتها وهي وما جاورها أراض مشابهة للواء البصرة طبيعيا وأصلا. شوارع الكويت عريضة نظيفة منظمة تنظيما عصريا ومخازن أسواقها

ملأى بالبضاعة تحوي كل شيء من الضروريات والكماليات .

وجوها يشبه جو البصرة وهذه الأسواق نظيفة صحية للغاية ، والكويت مفتاح نجد التجاري وهي بلدة مستقلة مربوطة اسمياً بحكومة الهند يديرها الأمير ابن الصباح ، وقد تناولنا طعام الغداء على مائدة رئيس الصحة وهو شاب سوري دكتور مثقف طيب النفس وقد بالغ في الاحتفاء بنا وجلسنا على سطح بيته المشرف على البحر وشاهدنا مئات السفن الشراعية راسية في الميناء .

وفي المدينة جالية ايرانية كبيرة ومعظم السكان عرب اقحاح وفيها دائرة بريد وبرق ومحطة لاسلكية ، وبتنا ليلتنا في الكويت في دار السعوديين .

الى البصرة :

تكهربت مشاعرنا واهتزت أوتار قلوبنا واعترتنا نشوة الفرح عندما استيقظنا في صبيحة يوم السبت ٩/١/١٩٤٠ وتأهبنا لمغادرة الكويت الى البصرة أول ثغر للوطن بعد فراقه ثلاث سنوات ، تحركت قافلتنا من الكويت الساعة العاشرة صباحا وفي الساعة الثانية عشر بلغنا قرية (صفوان) الواقعة على الحدود العراقية ، وهناك وجدنا مدير شرطة البصرة ومعاونه ورئيس بلدية البصرة ومدير ناحية الزبير وعدد من سيارات الشرطة المسلحة وضباطها قد حضروا جميعاً لاستقبالنا فتبادلنا التحيات وخفقت القلوب وشكرنا لحكومتنا هذه الحفاوة واسترحنا هنيهة في مخفر شرطة صفوان شربنا خلالها الشاي ثم واصلنا السفر .

وفي الساعة الواحدة ب . ظ . وصلنا قرية الزبير مركز ناحية الزبير فنزلنا في المكتبة العامة وحضر آمر اللواء السابع للجيش العراقي ورئيس

ركن الفرقة لاستقبالنا فشكرنا لها جميل عواطفها ونبل شعورها ، ثم استأنفنا المسير تتقدمنا سيارات الشرطة المسلحة ودخلنا البصرة وذهب رجال الحرس والسواق السعوديون ونزلوا في (الكباريه) المعدة لهم من قبل حكومتنا العراقية وذهبنا نحن الى فندق (شط العرب) ونزلنا فيه ضيوفا على الحكومة وزرنا سعادة متصرف اللواء وسعادة قائد القوات الجنوبية .

وفي عصر اليوم أقام لنا سعادة قائد القوات الجنوبية حفلة شاي حضرها سعادة متصرف اللواء وآمر اللواء ولفيف من ضباط الجيش ، وبتنا ليلتنا في فندق شط العرب الفخم ، والى الغد حيث قررت السفر الى بلدة المسيب الجميلة مسقط رأسي ، الى حيث أولادي وأهلي بعد فراق دام ثلاثة أعوام سائلا الله تعالى أن يمنحنا الأمن ويعيننا على تحمل أعباء الحياة .

ثبت مصادر الكتاب

١ ـ تاريخنا للمقدادي وزعيتر

٢ ـ الوسيط لأحمد الاسكندري ورفاقه

٣ ـ ضحى الاسلام لأحمد آمين بك

٤ ـ القاموس المحيط للفيروزآبادي

٥ ـ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان

٦ ـ دائرة المعارف للبستاني الجزء ١١ و ٨

٧ ـ مروج الذهب للمسعودي

٨ ـ تاريخ الطبري

٩ ـ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني

١٠ـ الامامة والسياسة لابن قتيبة

١١ـ الفصل في الملل والنحل لابن حزم

١٢ـ الملل والنحل للشهرستاني

١٣ـ الاكليل الجزء الثامن لابن محمد الهمداني اخراج العلامة المرحوم الأب انستاس الكرملي

١٤ـ رحلة اليمن فيما يزول بمذكرة الشجن لمحمد الانصاري

١٥ـ الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي

١٦ـ ملوك العرب للريحاني

١٧ـ الدول العربية وآدابها للمقدسي

١٨ـ أبو الشهداء الحسين بن علي لعباس محمود العقاد

١٩ـ زيد الشهيد لعبدالرزاق الموسوي

٢٠ـ الفرق الاسلامية لمحمود البشبيشي

٢١ـ بلوغ المرام في شرح مسك الختام للعرشي .

٢٢ـ العربية السعيدة لنزيه المؤيد

فهرس المواضيع

الصفحة

الصفحة

* * *

فهرس الصور والخرائط

الصفحة

جدول الخطأ والصواب

بالرغم مما بذلته من جهد فقد وقعت في الكتاب بعض الأخطاء المطبعية التي لا تخفى على القارئ اللبيب ، وفيما يلي أثبت ما عثرت عليه راجياً من القارئ الكريم تصحيحها قبل المباشرة في القراءة :

السطر	الصفحة	الخطأ	الصواب
٨	٦	تقرأ عبارة (شمالي خط الاستواء بعد درجات العرض وتحذف من محلها الحالي .	
١٢	٧	تتخللها وديان تنبع	تتخللها وديان فيها أنهار تنبع
١٦	٧	أرضية شديدة فيها	أرضية شديدة نشأت فيها
١٦	١١	القبائل التهامة	القبائل التهامية
١٥	١٥	انبسط	انبسطت
٢	٢٠	وفي ذلك	وفي ذاك
٤	٢٠	وأعتابها	وأعنابها
٤	٢٠	اذا قسم	إذ قسم
٧	٢٧	والياً عليها	والياً عليها غيره
٦	٢٩	أحسن فيها السيرة في	أحسن السيرة في
١٧	٣٣	وفيمون	وميمون
١٧	٣٣	بن جيوشب	بن حوشب
١٩	٥٣	وفي المسء	وفي المساء

السطر	الصفحة	الخطأ	الصواب
٣	٧٦	الغماء	الغناء
١٠	٧٨	(انطين الحلب)	(الطين الخلب)
٥	٧٩	كافة	كأمه
١٣	٩١	و امسى يجمع	ومنها : امسى يجمع
٩	٩٣	للعيون جلاء	وللعيون جلاء
٣	٩٧	احوالي	احوال
١	١٠٠	التاف	التفاف
١٩	١٠٣	رغبة	علم
١	١١٥	ميراث سكان	ميزات
١١	١١٦	كانت	تحذف كلمة كانت
٤	١١٨	رماه رصاصة	رماه برصاصة
١٩	١٢٠	ارزاقم	ارزاقهم
١٦	١٢٦	هذا المككان	هذا المكان
١	١٥١	(زنة)	و (زنه)
٨	١٥٣	اما ترى	ولذا ترى
٩	١٥٣	يجري في	يجري على
١	١٥٦	ووجدت	وجدت
١	١٦٤	(اصبحتم)	(كصبحتم)
٢	١٦٤	(امسيتم)	(كمسيتم)
٥	١٦٥	مغنية	مقتنية

السطر	الصفحة	الخطأ	الصواب
٤	١٧١	صحيفة	صفيحة
٦	٢٠٥	المذاهب الزيدية	الفرقة الزيدية
٣	٢٠٧	مسأساة	مأساة
٥	٢٠٧	زيداًبن علي بن زيدالعابدين	زيداً بن علي (زين العابدين)
٨	٢١٢	عن دماء	من دماء
١	٢١٣	قضيت	قضية
٤	٢١٣	كثر	اكثر
١٤	٢١٣	ينعقد	تنعقد
٣	٢١٤	الامام	المذهب
١٩	٢١٤	عمر	عمرو
١٥	٢١٦	لنستقل	لنستقبل
١٩	٢١٦	ذكرها	ذرفها
٨	٢١٨	امدبة	مأدبة
١٨	٢٢٤	معزرين	معززين
٢	٢٢٩	اصحاب ابل	واهلها اصحاب ابل
٢	٢٣٠	وهي	وهو
٩	٢٣١	واسقبلنا	واستقبلنا
١٤	٢٤٢	من الحراس	مع الحراس
١٢	٢٤٣	السبب	السبت

بسم الله الرحمن الرحيم



حضرة المقدم محمد حسن بك المحترم حرسه الله والسلام عليكم ورحمة الله

وانا نحمد الله تعالى اليكم على نعمه الكثيرة وأياديه الجزيلة ونسأله المزيد من فضله

وبعــــد فقد وصل الينا محرركم مع الشجرة الجامعة لنسب العائلتين الهاشميتين

الملكيتين وعند التأمل لسلسلة ما اثبتم من نسبنا وجدنا فيه سقطاً

وغلطاً فأمرنا بعمل صورة صحيحة نزودها مع هذا لتدارك اصلاح

الخطأ في الصورة التي ارسلتم ويحسن أن تتأكدوا من سمو الأمير عبد الآله

وصي العرش المعظم حفظه الله عن صحة تدريج ما اثبتم في نسبهم الشريف

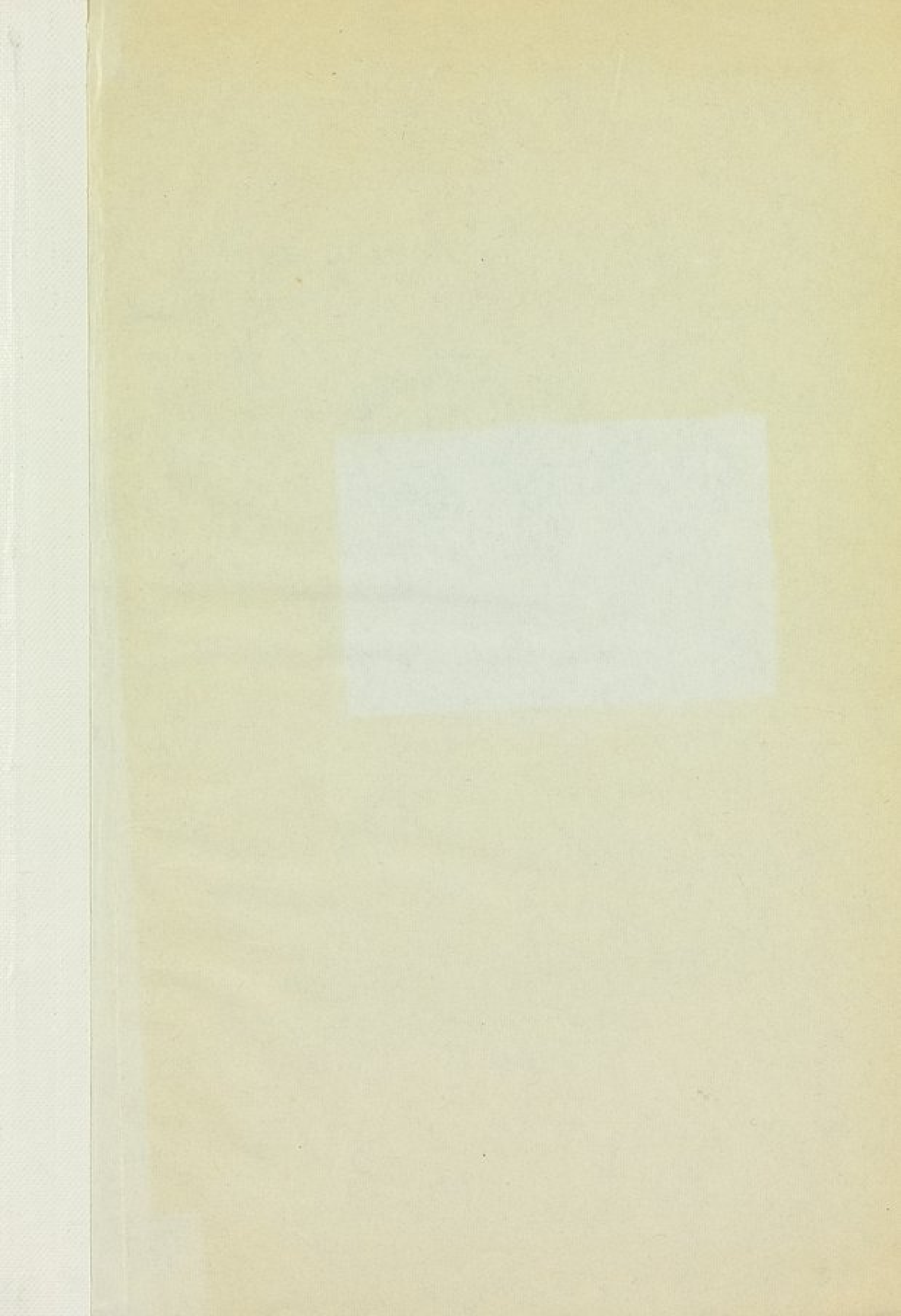
يوفقكم ويختم لنا بالحسنى وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وسلم بتاريخ ٢٨ شهر رجب سنة ١٣٦٦

الرسالة الملكية التي تفضل بها حضرة صاحب الجلالة الامام المعظم ووجهها الى المؤلف عن الشجرة الجامعة للعائلتين الملكيتين وبرى معها الصورة الفوتوغرافية للشجرة الطاهرة التي تفضل بها جلالة الامام المعظم .

شجرة النسب الهاشمية للعائلتين الملكيتين في العراق واليمن
كما أمر بضبطها جلالة الامام وأمر بارسالها الى المؤلف

الحمد لله هذا شجر جامع لنسب العائلتين الهاشميتين الملكيتين في اليمن السعيد وارض الرافدين

من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم ملجا ومعتصم ○ ان عد اهل التقى كانوا ائمتهم ○ او قيل من خير اهل الارض قيل هم



خارطة اليمن

للمقدم : محمد حسن
عضو البعثة العسكرية العراقية في اليمن

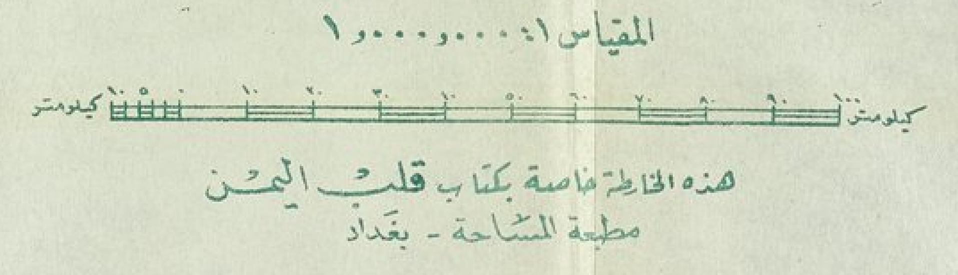
البحر الأحمر

البحر العربي

خليج عدن

الاشارات المصطلحة

الرمز	الاشارة
—+—+—+—	السكك الحديدية
+ + + + +	الحدود الدولية
- - - - - -	الطرق الغير معبدة
～～～	الانهار
～ ～ ～	الوديان
•··•··•	التلغراف



الاشارات المصطلحة

الرمز	الاشارة
△	نقطة تثليث
♉	جامع او مزار
∴	خرائب قديمة
⌂	منارة
●	عيون وآبار
◉	العاصمة

ارقام المرتفعات تشير الى وحدة المتر

HEART OF YEMEN

Lt. Col. MOHAMMED HASSAN

Member of Iraqi Military
Mission To the Yemen
1940 — 1943

يطلب من المكتبة الأهلية ببغداد

لصاحبها

السيد شمس الدين الحيدري

طبع الغلاف بمطبعة المساحة ببغداد